

العربك

ربيع الأول ١٤٠٩ هـ - نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ م

تأليف
أحمرار
للبيع

جرائد
١٣٢٤
عربي



الصقور و رولكس الدقة والأناقة

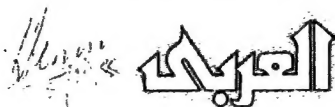


ساعة فريدور داي، ديت من الذهب الأصفر والأحمر والأخضر مرصعة بالماص.

منذ حضارة بلاد ما بين النهرين، كانت رياضة الصقور. ولا تزال حتى يومنا هذا، رياضة النبلاء. الشقر طائر قوي، النيق وسريع الحركة. يروض ويعلّم خصيصاً فن الصيد. هذا الترويض والتعلّم يتم على يديّ اختصاصيين لمدة طويلة تدوم أكثر من ثلاثين يوماً. العناية عنها هي التي بها تصنع كل ساعة رولكس. حتى اليوم لا تزال رولكس تصنع من قطعة معدن واحدة وتُصنّعت يدوياً، سواء من الذهب الخالص أو الفولاذ أو الأستين معنا. ظل ساعة تتميّز إفرادياً بمجموعة تجارب فائقة قبل أن تمنح شهادة الكرونومتر السويسرية الرسمية. جمال رولكس غني عن القريض وقيمتها تدوم وتدوم لسنوات وسنوات طويلة جداً. مجموعة ساعات رولكس راقية ومتكاملة لترضي أصحاب الذوق الرفيع. رولكس والصقور رمز الدقة والأناقة.


ROLEX


رولكس



مجلة ثقافية مصورة تصدر شهرياً عن وزارة الإعلام
دولة الكويت

للوطن العربي ولكل قارئ للعربية في العالم

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

1000

Issue No. 360 NOV. 1988, P. O. Box 748

Postal Code No. 13008

Kuwait, A Cultural Monthly - Arabic

Magazine in Colour Published by :

Ministry Of Information - State Of

Kuwait:

ص.ب : ٧٤٨ - الصفاة

الرمز البريدي 13008 - الكويت

تلفون : ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١

رقياً: "العربي" الكويت - تليكس 44041K1 MTR

تلفون فاكس : ۶۴۶۳۷۵

المراسلات باسم رئيس التحرير

يُتَّفَقُ عَلَيْهِمَا مَعَ الْإِدَارَةِ - قِسْمُ الْإِعْلَانَاتِ

مُرْسَلُ الطَّلِبَاتِ إِلَى : هَتَمِ الْإِشْتِرَاقَاتِ - لِلْمَكْتَبِ الْفَنِيِّ

وزارة الاعلام - ص.ب : ١٩٣ - الكويت

على طالب الاشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية

أوشيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الإعلام طبقاً لما يلي :

الوطن العربي ٤ د.ك. بينا في دول العالم ٦ د.ك.

سوریا ۱۰ لرات

الامارات ٥ دواهم

المغرب ٣ دراهم

لیپی ۲۵۰ درہما

اوروپا دولاران اوجنيه استراني

فرنسا ۱۵ فرنگ

امریکا دولاران

تلفون: ۴۰۰ علم

الجمعة ٤ دقائير

السعودية ٥ ومالات

البحر الشمالي ٣ دالات

۵. رسالت

سَلَطْنَةُ عُثْمَانَ ربيع ورمال

لِيَسْمَعُوا نَارَ

الحکومت ۴۵۰ فلیٹا

المسألة ٢٥٠. فليسا

الأدوية؟ فليس

الحدث ٢٠٠٠ فلس

البكرين ١٠٠ فلس
الجنين ٢٠٠ فلسا

مفت ۲۰ قشما

السودان، قوتشا

1

محتويات العدد



- أبو جمل ... غشاء جدت !
- د. وسية الحوطي ٩٢
- الجديد في العلم والطب
- د. إعداد : يوسف زعلوي ١٢٧
- سلامة البشرية في سلامة البيت ١٣٠

أدب وفنون :

- حنين (قصيدة)
- د. عبد الحميد محمود ٣٠
- حكايات في الأدب والفن والتاريخ
- د. عبد الحميد يونس ٤٦
- سر اللغز (قصة مترجمة)
- د. إبراهيم أحمد الشنطي ٨٨
- قراءة نقدية لكتاب : « المرجح والمؤجل »
- د. صلاح حزين ١٠٤



- الكوكابين شيباتيا المخدرات ص ٤٠

قضايا عامة :

- حديث الشهر : تعلم كيف تناقش !
- د. محمد الرميحي ٨
- يا حرب ! الزراعة .. الزراعة
- د. سمير رضوان ٢٣
- أرقام : الفقر في حيون الأغنياء
- د. محمود المراخي ٣٧

عروبنة وإسلام :

- الإسلام بين الإخاء والعلماء
- د. عبد العزيز كامل ١٨

استطلاعات مصبورة :

- بعد ربع قرن على الثورة : ودعان .. العودة إلى
- الجهاد الأكبر
- د. سليمان الشيخ ٦٨
- تابلند .. أرض الأحرار تباع كل شيء ، حتى
- الإنسان !
- د. سليمان مظهر ١٣٢

طب وعلوم :

- الكوكابين شيباتيا المخدرات
- د. جمال الدين موسى ٤٠



وجها لوجه :
د. علي الوردي
من ٩٧

للجنة

تحرير ومراجعة

بإعانة أي مادة

للتأليف والنشر

والوزارة

تحرير ومراجعة

عن تأليف

فيهما من آراء



■ وفلان .. العودة إلى الجهاد الأكبر ص ٦٨

■ أجنحة الروح (قصة)

- محمد سمارة ١٢١

■ البحث عن الزمن المفقود

- د. زينب عبد العزيز ١٥٨

■ جمال العربية :

- صفحة لغة : دهن ، ودهن

- د. حسن عباس ١٧٦

- صفحة شعر : هكذا هي الآياه : دمرحي

فيلان ، للشاعر بدر شاكر السياب ... ١٧٨

■ قصيدتان

- زهور دكسن ١٨١

من تدبيري العكري :

■ قضية : ملزق الإبداع الأدبي ، أو الروح الأسيرة

- غالب ملسا ١١٦

تربية وعالم نفس :

■ عصور إنسانية عرفت الفلق

- د. عبد الستار ابراهيم ١١٠



صورة الغلاف

بيع الأطفال أصبح نجارة رائجة في بلد
يتاجر في كل شيء .. حتى
الإنسان .. رغم جهود حكومة
نابلاند لوقفها ..

[طالع الاستطلاع ص ١٣٢]

البيت العربي

مجلة الأسرة
والمجتمع

■ الطفح الجلدي الحاد لدى
الأطفال

د. صباح السامرائي ١٦٢

■ أصوات مميزة يحدنها جسم
الإنسان

د. عامر خالد ١٦٦

■ هو-هي ١٧٠

■ طبيب الأسرة : في البيت حامل
مريضة بالسكر

د. حسن فريد أبوغزالة ١٧٢

■ مساحة ود : الاستثناء والقاعدة

د. أبو المظني أبو النجا ١٧٥

العربي - العدد ٣٦٠ - نوفمبر ١٩٨٨ م

تاريخ وتراث وأشخاص :

■ جبران بين أبناء جيله

د. علي شلش ٣٤

■ أفق المعرفة الجغرافية عند العرب في العصور
الوسطى

د. محمد علي الفراء ٥١

■ مصرع مأمور البداري

د. صلاح عيسى ٥٦

■ وجهها لوجه : د. علي الوردي

د. جليل العطية ٩٧

■ أسواق القاهرة القديمة

د. قاسم عبده قاسم ١٥٢

مكتبة العكري :

■ كتاب الشهر : الطاقة اليوم وغداً . الحياة مع
الجهول

د. بهاء الدين محمود ١٨٣

■ من المكتبة العربية : بيئة العقل العربي

د. رافع عبد الرحمن ١٨٩

■ مكتبة العربي : مختارات

..... ١٩٤

أبواب ثابتة :

■ عزيزي القاري ٧

■ واحة العربي ٦٦

■ مسابقة العربي الثقافية ١٩٦


■ حل مسابقة العدد (٣٥٧) ١٩٨

■ معركة بلا سلاح « الشطرنج » ٢٠٠

■ حوار القراء ٢٠٢

■ الكلمات المتقاطعة ٢٠٧

بين رحلتين

 خلال ثلاثة أشهر فقط قامت الكويت بتحرك دولي واسع ، كان مظهره رحلتين رسميتين للقيادة السياسية الكويتية ، رحلة الشيخ سعد العبدالله الصباح ولي العهد رئيس مجلس الوزراء إلى واشنطن ، وقد كانت سابقة في الزمن ، وكانت رحلة عمل هدفها الرئيسي الشأن الكويتي والعربي ، وعندما التقى فيها رجل السياسة الكويتي الواسع الإدراك بالقيادات السياسية الأمريكية أظهرت المحادثات المتعددة قدرة الكويت المستقلة على الإبحار في خضم السياسة الإقليمية المتلاطمة آنذاك ، وأكدت على الثوابت المحلية والعربية والدولية .

وكان لتلك الرحلة صداها ونتائجها ، ليس كبا للكويت جغرافيا فقط ، بل كسب لكويت التاريخ التي ظلت - ومازالت - مستقلة في اتخاذ قرارات عظيمة الشأن بعيدة النظر . وكان لأهل السياسة في واشنطن أن يروا ويسمعوا ثم يقتنعوا بأن بلدا كالكويت كانت - ومازالت - بلاد مبادئ في الداخل والخارج .

وكانت الزيارة الثانية رحلة ميمونة قام بها أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح إلى مقر الأمم المتحدة ، وقد تحدث فيها إلى أعضائها الذين يمثلون كل البشرية باسم المسلمين جميعا ، كريس لمنظمة المؤتمر الإسلامي . تحدث إليهم باسم الحق والعدل ، ووضع النقاط على الحروف في شأني قضايا رئيسية هم العرب والمسلمين ، والعالم أجمع ، وهي مشكلات العالم الثالث الاقتصادية والاجتماعية ، وحقوق الانسان ، والحرب العراقية الايرانية وذيوها ، والانتفاضة الفلسطينية ، بل القضية الفلسطينية برمتها ، ثم لبنان ، وأفغانستان ، والوفاق الافريقي ، ثم التفرقة العنصرية ، وهذه قضايا يشغل بها عصرنا بأكمله .

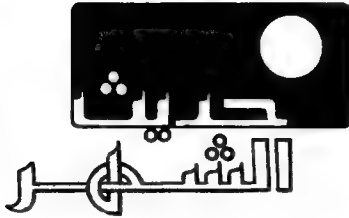
وفي عالم يسوده الحوار والانفراج ، وبشر تهدهم الحروب والمجاعات والسيول ، يرتفع صوت الكويت - كما كان دائما - داعيا إلى الحكمة والعدل ، مؤثنا كما قال سمو أميرها ، بالوحدة الانسانية الكبرى وبحقوق الانسان لأنه محور التقدم وغايته .

بقي أن نذكر أن الرحلتين قد تمتا على متن الطائرة (الجابرية) التي تعرضت للارهاب الأسود من قبل ، علامة ومغزى عميقان للمواجهة بين العدالة والأمن والأمان ، وبين التيار المضاد لحركة التاريخ والسلم .

وإنه لموقف لا مساومة فيه ، ولا تنازل عنه .

وتبقي الرحلتان من الرحلات الميمونة التاريخية المهمة في مسيرة الكويت الصاعدة نحو تحقيق تقدمها ورفاعة شعبها ، بهم الرجال المخلصين الدؤوبين على فعل الخير وتسجيل دروس القلوة والفخار . □

« المحرر »



بقلم الدكتور
محمد الرميحي

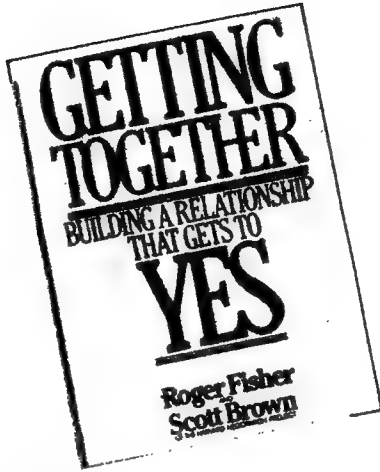
تعلم كيف تفاوض !

يروى أن « محمد علي » ، والي مصر الشهير ، قد أمر بترجمة جملة من الكتب إلى العربية ، منها كتاب ميكافيل الشهير « الأمير » (صدر ١٥١٣ م) الذي يعالج فيه حيل الحكم والسياسة . وتقول الرواية : إنه بعد قراءة بعض فصوله المترجمة أمر محمد علي بوقف الترجمة ، لماذا ؟ لأنه على حد تعبيره - حسب ما جاء في الرواية - يعرف من الحيل أكثر مما يعرف هذا الأمير الأوربي !

لكن ظل « كتاب الأمير » يلاقي قبولاً لدى قراء كثيرين على مدى العصور ، خاصة من يهتم منهم بالإدارة والسياسة . لقد سبق أحد الكتاب العرب المجهولين تقريباً ذلك الأمير الأوربي في وضع مخطوطة كان عنوانها : « رقائق الحلل في دقائق الحيل »^(١) ، وقد ظلت تلك المخطوطة مئات السنين مجهولة إلى أن قام بتحقيقها أوربي ،

(١) طبع أخيراً بالعربية بعنوان « السياسة والحيلة عند العرب » تحقيق ريتنه غوام ، قامت بنشره مكتبة الساقية - لندن ١٩٨٨ .





وترجمت إلى عدة لغات أوروبية . هذه المخطوطة تناقش أيضاً الحيل السياسية ، لكن عند العرب .

هذه النوعية من الكتابات كانت وما زالت تشد الانتباه ، ويقبل عليها القراء . ولا عجب أن يكون الكتاب الذي بين أيدينا عن « المفاوضات : مداخلها وحيلها » قد بيعت منه حتى الآن مئات الآلاف من النسخ . عنوان الكتاب الفرعي هو « كيف تبني علاقات تؤدي بك إلى الوصول إلى كلمة نعم ؟ » .

كاتباً هذا الكتاب لهما تجارب في مثل هذا النوع من الموضوعات ، بل لقد اشتركا في تدريس مادة التفاوض ، وساهما في لعبة التفاوض التي تجربها بعض المؤسسات الأمريكية لاختبار موضوع تفاوضي معين .

محور الكتاب - كما قلت - هو : كيف تقوم بعمليات تفاوضية ناجحة ، ويرتكز ذلك على القدرة والامكانية لكيفية إقامة « علاقات جيدة » مع الأطراف الأخرى . بناء هذه العلاقات - كما يرى الكاتبان - هو حجر الزاوية الذي لا يستغنى عنه في إنجاح أي تفاوض ، سواء أكان هذا التفاوض بين خصمين فردين ، أو زوجين ، أو ضمن العائلة والجيران ، أو - وهذا هو الأهم - بين الدول !

إن أردنا أن نحسن الناتج فعلياً أن نحسن في طريقة الأداء

واضح هنا أن (العلاقة الجيدة) و (العلاقة) مرتبطتان في ذهن المتكلم . أو كالقول بأن العلاقات بين الولايات المتحدة واليابان سيئة نظراً للفائض التجاري بينهما الذي يميل لمصلحة اليابان .

من هذين المثالين وغيرهما ، كثيراً ما يختلط موضوع (العلاقة) مع (المصالح) . وينصح الكاتبان أن نفكر بشكل مستقل (بالعلاقات) ، أي بموضوع العلاقة وليس بنتيجتها ، فالعملية والنتيجة مختلفتان ، صحيح أنهما متصلتان ، أي أن الواحدة منها تؤثر في الأخرى ، ولكنهما ليستا عملية واحدة .

مثال ذلك فصل من الفصول الدراسية . (فعلية) التعليم تعتمد على المحاضرات ، التمرينات ، المناقشات ومن ثم الامتحانات . هذه (العملية) مختلفة عن (موضوع) الدرس نفسه ، سواء أكان رياضيات أو كيمياء أو تاريخاً . أو لغة ، لكن (العملية) و (الموضوع) متصلان ، فالطريقة التي نعلم بها الموضوع تؤثر على تعلم التلاميذ ، فإن أردنا أن نحسن في النتائج فعلياً أن نحسن في الطريقة ، (في العملية) التي نقوم بها .

مثال آخر في الإدارة : فمهما كان إنتاج الإدارة التي نعمل بها - بمجلة ثقافية شهيرة أم إنتاج أجهزة تلفزيون - فإننا نحتاج إلى فصل عملية الإدارة ، من اتخاذ قرارات وتعامل مع موظفين مثلاً ، عن نتائج تلك الإدارة ، فكلما كانت الإدارة جيدة كان الإنتاج جيداً ، فإن فشلنا في التفكير بأن (العلاقة) منفصلة عن الهدف ، غاص الهدف في التفاصيل وضاع . وهكذا هي المفاوضات ، يجب أن تفصل (موضوع المفاوضات) عن (العلاقات السياسية) .

المشكلة أن معظم الناس عندما يفكرون في (علاقة) يفكرون في النتائج . فصاحب المؤسسة يفكر في الأرباح وعدد الزبائن ، ويفشل أثناء ذلك في النظر بطريقة تعامل مؤسسته مع الناس ، وكيف يمكن تطوير هذا التعامل ، وفشله في هذا الأمر يقود إلى فشل المؤسسة .

البعض يستبدل (العلاقة) (بالمصلحة) ويجعل نجاح العلاقة أو فشلها متوقفاً على الموافقة أو الرفض في مسائل جوهرية ، فأننا أصراً - مثلاً - على أنك إما أن توافق معي على موضوع ما ، وبالتالي تتكون بيننا (علاقات جيدة) ، أو أن أستسلم لك في موضوعات جوهرية حرصاً على تطوير



(علاقة جيدة) معك . وكلتا الفكرتين خاطئتان ، فهما تسدان الطريق أمام علاقة صحية يمكن أن تحل مشكلات قد تظهر لاحقاً .

في العلاقات الدولية نجد هذا الخطأ يتكرر ، فالولايات المتحدة تقول : لا علاقات جيدة مع منظمة التحرير الفلسطينية - مثلاً - إلا بعد اعترافها « بإسرائيل » ، وذلك استسلام لمنطق غير مقبول .

هناك حلقة أخرى من حلقات التفاوض الناجح يشير إليها الكاتبان ، وهي ألا تحاول أن (تشتري) علاقة أفضل بتقديم (تنازلات) تعتقد أنها جوهرية ، فالبعض يعتقد أن تقديم مثل هذه التنازلات كهدية يمكن أن يبتاع علاقات طيبة . وذلك خطأ فادح ، فالعلاقات الطيبة ليست للبيع ، وهذا النوع من الشراء لن يمكننا من بناء علاقات جيدة ولا يمكننا من حل مشكلات جديدة في المستقبل . في العلاقات الشخصية نرى كيف يؤدي ذلك الى مأس ، فالزوجة التي تعطي الزوج كل شيء من أجل بناء علاقة جيدة في معظم الأوقات تفقد استقرار بيتها . . وكذلك الأب الذي يعطي ابنه كل شيء من أجل بناء علاقة جيدة معه ، ينتهي به الأمر بفقدان ولده لسبب أو لآخر .

والتنازل ربما يقلل من الخلاف والشجار لوقت ما ، وربما يؤخر ظهور المشاكل ، ولكنه يفقد الآخر إمكانية تطوير قدراته لبناء طريقة جيدة لحل مشاكله ومواجهتها ، فبدون هذه القدرة ستغلو العلاقة ضعيفة أمام أي مشكلة تظهر في المستقبل .

**نصيحة
للزوجة
الاعطى
زوجها
كل شيء
حتى
لا تفقد
استقرار
بيتها !**

في العلاقات الدولية أثبت التاريخ مرة تلو أخرى خطورة بناء علاقة عن طريق الإرضاء ، فشميرلين قد اعتقد أنه اشترى السلام عندما استسلم هتلر في ميونخ عام ١٩٣٨ م ، وستالين نفسه اعتقد هذا الاعتقاد عندما وقع اتفاقية مع هتلر . محاولة (شراء) علاقة هي بالضبط مثل الخفوض للابتزاز ، فكلما دفعت للمبتزين ، زادت احتمالات الدفع في المستقبل .

استراتيجية التفاوض

في معظم الأوقات نحن ندخل في علاقة مع الآخرين ، دون استراتيجية محددة واضحة ، خاصة في قواعد التعامل . نحن ربما نستجيب كرد فعل لما يقوم به الآخرون ، أو نغمرنا بالمواطف فيضيع المنطق ، ونعامل الأمور على طريقة « أحب وأكره » ، وبمنعنا ذلك من اتخاذ استراتيجية عقلانية محددة لعمليات التفاوض . وفي بعض الأوقات تكون لنا استراتيجية في كيفية تحسين العلاقة دون أن نعي أنها استراتيجية فقيرة ومحدودة .

إن أردنا وضع استراتيجية ، لتحسين العلاقات مع الآخرين أو بناء علاقات جيدة على المستوى الاجتماعي أو الدولي ، فهناك خطوات محددة يمكن اعتمادها بهذا الخصوص :

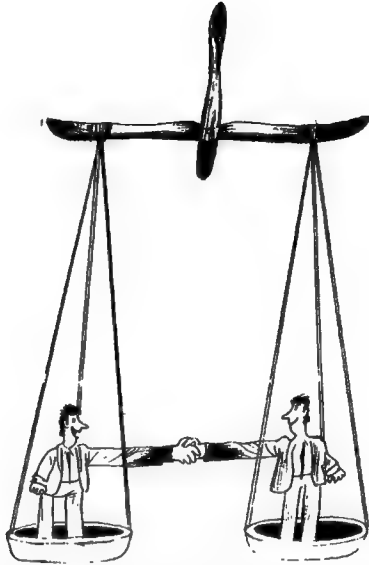
علينا أن نتبعد عن خطأين شائعين : الخطأ الأول أن نتجاهل التصورات والأمان والتوقعات الوطنية ، فنحن كثيراً ما ننسى أن الآخرين ينظرون الى الأمور بشكل مختلف عن نظرتنا إليها .

والخطأ الثاني أننا نحاول أن نبني علاقة عن طريق تصور خاطيء هو أن الآخرين سوف يتبعون قيادتنا ، أو نتبع قيادتهم . وكلا المنظورين خاطئان .

في الحالة الأولى : إن فشلنا في التكهّن كيف يرى العالم بشكل مختلف القضايا التي نعدّها مهمة ، فإن لدينا بالتأكيد صورة خاطئة عن أنفسنا وعن الآخرين ، إذا لم نفهم اختلاف الآخرين في النظر إلى قضايانا ، فإن عدم الفهم هذا سوف يؤثر في قدرتنا على حل المشكلات .

طبيعي جداً أن الناس يهتمون بالأشياء القريبة منهم والمهمة لديهم ، فموت صديق عزيز أهم وأكبر لدينا من وفاة المئات في تصادم قطارين في قارة بعيدة . وقضية فلسطين مثلاً أوضح وأهم بالنسبة لنا - نحن العرب - من قضية نيكاراغوا التي تبدو بعيدة وغامضة لدى كثيرين منا . وبناء

في العلاقات
الدولية
أثبت
التاريخ
خطورة
بناء
علاقة
عن طريق
«الإرضاء»



كما
دفعتم
للمبتزين
زادتم
احتمالات
الدفع في
المستقبل؟

استراتيجية للعلاقات جيدة هو في الاعتراف بأن الناس تنظر الى القضايا والمشكلات من زوايا مختلفة كما أن أولوياتها لديهم تختلف ، فمنظور قائد العمال لمشكلات عمالية ملحة يختلف عن منظور صاحب العمل ، وهكذا .

وكذلك في العلاقات الدولية ، فالبلاد المختلفة لها ثقافات مختلفة ومصالح مختلفة وقيم مختلفة ، وبالتالي تنظر الى الأمور بشكل مختلف .
الخطأ في الحالة الثانية هو الاعتماد على (التبادلية) لبناء علاقات ناجحة ، مثل أن تتوقع من الآخرين أن يقتضوا اثر قيادتنا في موضوع ، أو أن تقتضي اثر قيادتهم . وخطورة (التبادلية) هذه تكمن في أنها قائمة على فكرة (افعل للآخرين ما تحب أن يفعلوه لك) ، لكن هذه القاعدة ليست حقيقة ، فإنك إن امتنعت عن انتقادي في العلن لن يردعني ذلك عن انتقادك والتشهير بك في الخفاء ، وعلى المستوى الدولي : إن لم أردعك بالحرب قد تقوم أنت بشن الحرب عليّ ، وهكذا .

العلاقات عائ طريقة أحب وأكره تفهمها العواطف فيضيق المنطق السوي

من ضمن قواعد الاستراتيجية الناجحة في بناء علاقة جيدة ، يعرض الكاتبان خمس قواعد هي :

- ١ - استقلالية في عدم الموافقة ، فكلما كانت خلافاتك مع الآخرين جادة وحقيقية ، احتجت الى طريقة جيدة للتفاعل معها ، أي أن تكون مستقلاً في اتخاذ قرارك بقول : لا .
- ٢ - استقلالية في التنازلات ، أي لا تتنازل عن مصالحك الحيوية ولا تطلب من الآخرين التنازل عن مصالحهم الحيوية .
- ٣ - زاوية النظر الأخرى : ان تأخذ بعين الاعتبار كيف ينظر الآخرون الى الأمور ، مثل ما تأخذ في الاعتبار نظرتك أنت الى الأمور .
- ٤ - استقلالية في التبادل : لا تنتظر من الآخرين أن يقدموا مثلاً في التنازل ، ولا يجب أن تفترض أن مثالك في التنازل سوف يتبع بالضرورة .
- ٥ - استقلالية المواقف : أن تكون منفتحين وقابلين للاقتناع في أمور عقلانية واضحة مستعدين لإعادة النظر فيمن هو بجانبنا ومن هو بجانب غيرنا .

من خلال هذه النقاط الخمس نستطيع أن نبني استراتيجية واضحة لإقامة علاقة مع الآخرين جيدة ومتوازنة .

وقضايا أخرى

تبقى مجموعة من القضايا الأخرى التي يشير اليها الكاتبان لإكمال مسرح التفاوض ، قد لا يتسع المقام لسردها جميعاً ولكن بعضها ملفت للنظر . فالكاتبان مثلاً يدعوان لموازنة العقل بالعاطفة ، فالعاطفة تثير سلسلة من الأشياء الإيجابية ، كالحب والاعجاب والاحترام ، وأشياء سلبية أخرى كالخوف والكراهية والغضب . وتدخل العواطف في التفاوض قد يعطل قدرتنا على التعامل الناجح مع الاختلافات واتخاذ القرار العقلاني الذي يحتاج الى توازن . بعض الناس تفهمهم العاطفة بسهولة ، وكلما كانت عاطفتنا غامرة (سلبية أو إيجابية) أثرت في حكمنا . فالعاطفة قد تدفعنا لتقديم تنازلات قد نأسف عليها في المستقبل ، أو لتشدد يؤدي الى النتيجة نفسها .

كذلك يدعو الكاتبان الى التفهم ، فنحن لو اتخذنا موقفاً عقلانياً في مشكلة ، فإن المشكلة ربما لا تحل لأننا - أنا وأنت - (لا نفهمها) . وقد



تكون المشكلة نفسها موجودة بسبب وجود سوء فهم ، أو لغياب المعلومات الصحيحة ، لذلك فنحن لا نستطيع أن نحل خلافاتنا دون أن نفهمها ، والفهم الخاطيء أحد أهم عناصر زيادة المشكلات وتفاقمها وعدم القدرة على حلها . والتاريخ حافل بقصص عدم الفهم التي أضرت بالعلاقات الدولية . لعل أهمها ما أثاره جورج باتشوف في كتابه (البيروسترويكيا) عندما ذكر قصة خروشوف في الأمم المتحدة في أوائل الستينيات حين ضرب بحذائه الطاولة - في فورة غضب شديد - وقال (سوف نقبر العالم الرأسمالي) وتناولت وسائل الاعلام الغربية كلمة (نقبر) على أنها تهديد بحرب نووية ، وكانت فهما خاطئاً ، إذ أن المعنى المراد - في الثقافة السوفيتية - لهذا التعبير هو أن نظامنا سوف يعيش أطول من النظام الرأسمالي .

عدم الفهم يأتي نتيجة مجموعة كبيرة من المدخلات ، منها عدم فهم الحديث ، أو عدم ادراك ما يُسمع ، أو الأخذ بمعلومات غير دقيقة . وإذا كان هناك اختلاف في اللغة والعادات والقيم فإن هامش عدم الفهم يكبر ويزداد .

ومن الطريف أن عدم الفهم لا يضع الأشخاص والدول وحدها في مأزق ، بل الشركات التجارية أيضاً . يقول الكاتبان : إن شركة جنرال موتورز انزلت سيارة جديدة في السوق الاسبانية سميتها « شفروليت اغوفيل » ولم تعلم الشركة إلا بعد حين أن « اغوفيل » ، بالاسبانية تعني : لا تمس !! .



والكتاب في النهاية من الكتب المثيرة للخيال في تحديد طريقة التفاوض والحث بشدة على التفاهم الدولي في عصر أصبح الحوار سمته الرئيسية ، ولكنه أيضاً يقرر شيئاً مهماً هو « ألا نجاح للتفاوض من موقف الضعف » ! .

وقد يلحق هذا الكتاب في الانتشار والذيعوع كتاب « الأمير » لميكافيلي ، أو كتاب « السياسة والحيلة عند العرب » ، ولكنه بالتأكيد أكثر عصرية .. □

محمد الزحبي

الإسلام

بين الإخاء والدِّماءِ

بقلم : الدكتور عبدالعزيز كامل

حاول غيرنا من أصحاب الأديان أن يقيم فوق أخاديد الصراع القديمة جسورا من الإخاء والتعايش ، ونجحوا في ذلك . وما زالت أخاديد الصراع الإسلامية تحتاج الى جسور الإخاء .

هذا المعنى ، فلقد ظلت فردية ، دون أن تؤدي الى نتائج عملية جماعية . ثم تأتي إشارة الى أمانة السر الخاصة التي أنشئت في الفاتيكان عام ١٩٦٤ ، وإلى وثائق أخرى تدعو الى الحوار مع كل المؤمنين وذوى الارادة الصالحة ، كل ذلك هو بداية لفجر جديد في العلاقات التي يجب أن تنمو بين الكنيسة والديانات الأخرى القائمة في العالم .

فهنا تأكيد على أن هذا « نهج جديد » في تاريخ الكنيسة . وهو « نهج نابع من سلطة مركزية » أحست بالتحولات التي يمر بها العالم . ومحاولت معها .

وعرض القسم الثاني بعد هذا للمقطع الخاص بالاسلام ، وبين العقائد المشتركة بين الاسلام والمسيحية من ناحية الايمان ومن ناحية الاخلاق - وسنذكر النص بعد قليل - ثم انتقل الى القضية المحورية في التصريح وهي « قضية تيرة اليهود من قتل المسيح » ويذكر أن الكنيسة عملت قبل المجمع الى نزاع كل قول من كتبها الطقسية يكون متافيا للحقيقة التاريخية والكتابية فيما يتعلق باليهود .

نبدأ بنماذج مما بين المسيحية واليهودية في القرن العشرين ، وقد اقتربنا من خواتيمه ، ونفارق بين هذا وبين ما كان بينهم من قديم . ولعل أبرز إنجازات الفكر المسيحي فيه ، إن لم يكن أبرزها جميعا ، أعمال :

المجمع المسكوني الفاتيكاني الثاني

بدأت فكرته عام ١٩٦١ ونشرت قراراته في عام ١٩٦٥ . وصدرت له ترجمة عربية في مصر ، وبعدها بثلاث سنوات صدرت ترجمة عربية ثانية من بيروت ، ١٩٦٩ ، وهي التي أُلهمي الآن عند كتابة هذا المقال .

وهنا هنا نصوص جلت في الجزء الثاني تحت عنوان « تصريح في علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية » (ص ٣٨١-٣٩٥) .

النص الأول عن الاسلام ، والثاني عن اليهودية . ولكن لتف قليلا عند مدخل القسم الثاني من التصريح وعنوانه « الأفكار الرئيسية » . يقول : « لم يسبق لأى من المجمع المسكونية أن تطرق إلى علاقة الكنيسة بسائر الديانات . وإن حدثت محاولات في

في عواصم اسلامية ، وبعضه في عواصم في اوربا والعالم الجديد ، ومازال بعض ذلك مستمرا ، كما أن الحوار مستمر مع مجلس الكنائس العالمي الذي ينظم الكنائس البروتستانتية على الصعيد العالمي ، ويجري المجلس حوارا مع الأديان الكبرى في العالم ، وله كتبه ومطبوعاته الدورية كالفاتيكان .

خط تبشيري يعمل في قلب العالم الاسلامي وفي أطرافه وبخاصة في مناطق الفقر والحاجة ، ومدخله المدرسة والمستشفى وتعليم الحرف اليدوية ، ثم فتح أبواب التعليم الأرقى لمن يقبلون العلم والتبشير معا . . ولهذا الخط غطته العالمية ، ومنها خطط محددة للعالم الاسلامي ، وللاديان الكبرى الأخرى .

وعن اليهودية

يقول التصريح « وبما أن للمسيحيين ولليهود تراثا روحيا مشتركا وساميا يريد هذا المجمع المقدس أن يوحى بالمرقة والاعتبار المتبادلين وأن يعززهما بين الاثنين ، ويحصل ذلك خصوصا بالدروس الكتابية واللاهوتية والحوار الأخوي .

وإن تكن سلطات اليهود وأتباعها هي التي حرضت على قتل المسيح « راجع يوحنا ٦/١٩ » لا يمكن مع ذلك أن يعزى ما اقترف أثناء آلامه ، الى كل اليهود الذين كانوا يعيشون آنذاك دونما تمييز ، ولا الى يهود اليوم . وإن تكن الكنيسة شعب الله الجديد ، يجب مع ذلك ألا ينظر الى اليهود كمن رذمهم الله ولعنهم ، كما لو كان ذلك ناتجا من الكتب المقدسة . فليحرص الجميع اذا في التعليم المسيحي وفي الوعظ بكلام الله على ألا يملأوا شيئا لا يتلاءم مع الحقيقة الانجيلية ومع روح المسيح »

ثم يضيف المقطع تأكيدا يتعلق بالاسامية ، هذا المصطلح الذي حاول اليهود إشاعته ، كأن أي اضطهاد أو عداوة لفرقة منهم لأي عمل قام ، إنما هي عداوة لأبناء سام بن نوح . . وكأنهم وحدهم الذين انحدروا من ذريته . . !! ولكن هذا موضوع آخر .

وهذا ما دفعها أيضا الى أن تتألم في « المجمع » قضية تبرئة اليهود من قتل المسيح . ماذا تعني هذه التبرئة التي كان لها صدى كبير في الأوساط المسيحية ، وخاصة في الأوساط العربية ، نظرا لما بين هذه الأوساط واسرائيل من نزاع وعداة ؟ .

فهناك تعديلات طرأت على الكتب الطقسية رفعت منها ما كان يراه اليهود إساءة لهم وهي نصوص ظلت الكنائس ترددها قرنا بعد قرن ، وكان لها أثرها في رسم صورة اليهودي في العالم المسيحي وهو يسمعا في كتابته .

والآن فلننظر الى النصوص :

عن الاسلام :

« وتنتظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضا الى المسلمين الذين يعبدون الاله الواحد الحي القيوم الرحيم الضابط الكل خالق السماء والارض الحكيم البشر . . وإنهم يملكون يسوع كتيبي ، وإن لم يعترفوا به كإله . ويكرمون أمه العذراء . . وعلاوة على ذلك إنهم يتظفرون يوم الدين عندما يشيب الله كل البشر القائمين من الموت ، ويعتبرون أيضا الحياة الاخلاقية ، ويؤدون العبادة لله لاسيا بالصلاة والزكاة والصوم .

وإذا كانت قد نشأت ، على مر القرون ، تنازعات وعداوات كثيرة بين المسيحيين والمسلمين ، فالمجمع المقدس يحض الجميع على أن يتنسوا الماضي ، ويتصرفوا بإخلاص الى التفاهم المتبادل ، ويعترفوا ويعززوا صوية العدالة الاجتماعية والتجوير الأخلاقية والسلام والحرية لفائدة جميع الناس .

هذا أبرز ما جاء في هذا المقطع من التصريح ، وقد جاءت من بعده - على المستوى العملي - خطوط مقاطعة أبرزها :

خط يستهدف الحوار واللقاء والمزيد من التفهم ، ومهدت له الفاتيكان بإصدار كتب عن أصول الحوار ، منها كتاب خاص بالاسلام . وقالت الأمانة المختصة بالشؤون الاسلامية بالاتصال بالدول والمؤسسات الاسلامية لإجراء الحوار ، وكان بعضه

بهتانا عظيما . وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله ، وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه . ما لهم به من علم إلا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما ، « النساء : ١٥٦ - ١٥٨ » . هذا يعد أن أدامهم الله في الآية قبل ذلك : بنقض الميثاق ، والكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق .

نحن -المسلمين- تؤمن بطهارة مريم ونبوة عيسى ، ونقرأ في كتاب الله قوله عن النصارى « ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أفيهم تغيض من الدعاء عما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتمنا مع الشاهدين » « المائدة : ٨٢ - ٨٣ » .

نحن -المسلمين- فتحنا أرضنا وقلوبنا لكل صاحب دين اضطهده قومه لخلاف مذهبي أو اضطهده أهل دين آخر ، ووصل أهل الكتاب في ديار الاسلام الى مناصب رفيعة ، وعاملهم المسلمون كمواطنين لهم حقوق المواطنة الكاملة مع حرية العبادة كما تنص على ذلك آيات القرآن والاحاديث الشريفة ، وكما وضحه كتب الفقه الاسلامي ..

نحن ، بعد هذا كله ، نتصعب علينا العداوات من العالم الغربي ويتعاون هناك بعض أهله من يهود ومسيحيين

كيف استطاع العقل اليهودي أن يصل الى تحقيق هذه الاهداف ؟ مع أن اليهودية لا تعترف لا بالمسيحية ولا بالاسلام ، ولا تؤمن بنبوة عيسى ولا طهارة مريم البتول ؟

الواقع أن المعايير أقيمت في العالم الغربي بين اليهودية والمسيحية على الرغم من كل الأحقاد والثرات والتصور الواضحة في الانجيل على دور اليهود وقت قيام المسيحية ، هذا فضلا عن المعايير بين المذاهب المسيحية ، ثم بين المسيحية والعالم من حولها .

والواقع أن المعايير ضميعة ومتقطعة بيتا وبين

نذكر المقطع التالي ونكتفي به :

« صلاة على ذلك ان الكنيسة التي تشجب الاضطهادات كلها ضد الناس أيا كانوا تتأسف للقبضاء وللاضطهادات ولكل مظاهر مقاومة السامية التي استهدفت اليهود في أي زمن كان ، وأيا كان مقترفوها . والكنيسة لا تدفعها الى ذلك النوافع السياسية ، بل عبة الانجيل الدنيئة مذكورة التراث المشترك مع اليهود »

كان هذا التصريح نقطة تحول خطيرة في تاريخ العلاقات بين اليهودية والمسيحية . وكان من بعده اصرار من اليهود ، واستقصاء لرفع أي مذمة لهم في أي كتاب ديني أو صلاة من صلوات الصوم في كتائهم ، وامتدت هذه الرقابة والمراجعة الى الكثير من أفاق الحياة العامة .

سطورا من إنجيل متى :

ولكن لماذا كان موقف اليهود من المسيح عليه السلام كما تذكره الاناجيل ؟ نقرأ سطورا من إنجيل متى :

« وكان رؤساء الكهنة والاشيوخ والمجمع كله يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه » ١٦ : ٥٩

« ودبر هؤلاء جريمتهم وحركوا المجمع ليطالب بقتل المسيح على الرغم من ان يلاطس كان يعلم أنه بريء ، ولما أصرروا على أن يطلق أسيرا آخر هو باراباس » وكان الوالي معتادا أن يطلق لهم أسيرا واحدا في عيدهم ، أخذ يلاطس مائة وفضل يديه قدام المجمع قائلا إني بريء من دم هذا البار . أبصروا أتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده - ليُصلَّب - ٢٧ : ٢٤ - ٢٦ »

نظرة إسلامية :

ونحن -المسلمين- تؤمن بقول الله تعالى عن علاقة اليهود بعيسى عليه السلام وأمه الطاهرة التي ضربها الله مثلا كرماني كتابه « ويكفرهم وقولهم على مريم

- انتهاك حرمة المدينة المنورة واستباحتها عام ٦٣هـ بعد موقعة الحرة .

- حصار مكة عام ٦٤هـ ورمي البلد الحرام بالمنجنيق.

- الحصار الثاني لمكة عام ٧٧هـ ورميها مرة ثانية بالمنجنيق واستشهاد عبدالله بن الزبير .

أضف الى هذا الصراعات بين الخلفاء وبعض القادة أو فئيا بين القادة كيا حدث بين الحجاج بن يوسف الثقفي وعبد الرحمن بن الأشعث . ومن قبل ذلك ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي ، وثورة المختار بن أبي عبيد الثقفي باسم محمد بن الحنفية « ابن الامام علي كرم الله وجهه » . . هذا إلى ثورات الحوارج . .

ولك أن تنظر ، وإن كنت لا تستطيع أن تحصى ، كم سال فيها من دماء ، مضافة إلى ما أريق منذ الفتنة الكبرى في عهد عثمان .

طريق الإخاء بعد الدماء :

يستوقفني تعقيب الشيخ محمد الحضرى على مصرع سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه ، في كتابه « تاريخ الامم الاسلامية : الدولة الاموية » (٢ : ٤٦) .

« ولو نظرنا إلى المسألة بنظر صحيح لقلنا : خليفة من خلفاء المسلمين غضب عليه بعض رءس - بعضهم سيئ القصد ، والبعض الآخر تابع لهم ، ثم قاموا عليه وحصلوه وقتلوه بشكل وحشي لا يتفق مع أصول الاسلام ، ثم نحكم بأنهم أخطأوا خطأ عظيما ، ثم ذهبوا الى من له الحق أن يدينهم . ولم يبق منهم من يمكننا الانتقام منه لسوء قصده ، أو تبين الصواب له لحطه . وغاية الأمر أن الباقي لنا من كل ذلك هو الاستفادة مما كان . فالماعقل كل همه أن يتعلم ويفهم ، لا أن يحقد على قوم لم يبق منهم باقية » .

في مصارع الخلفاء الراشدين الثلاثة أو في مصارع الطالبيين « وقد أفرد لهم أبو الفرج الاصفهاني كتابا يرأسه يحمل هذا الاسم تقطر صفحاته دما » . من نحاسب الآن ؟ وهل يحمل كل المسلمين ، أو كل

أنفسنا قبل أن نكون بيتنا وبين غيرنا .

ولقد حاولنا الحوار مع العالم المسيحي ، وكانت - ولا تزال - هناك جهود مبذولة في هذا السيل ، ولكن هذا الحديث الطويل الذي أسوقه اليوم يستهف :

الحوار بين المسلمين :

صحيح أن ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة رضي الله عنهم لقوا ربه شهداء : عمر بن الخطاب قتله فيروز أبو لؤلؤة وهو من سبأيا حروب الفرس وهو غلام المغيرة بن شعبة ، وكانت له صلته في المدينة بالمزنان . وكان من ملوك الفرس ، ثم أقام في المدينة كواحد من الناس لافضل له على واحد . . ولما تكاثرت الصحابة على القاتل لميسكوا به ، أصاب عددا منهم بجراح ، ثم طعن نفسه طمعة قاتلة لما أيقن بوقوعه في أيديهم .

عثمان بن عفان قتله ثائرون عليه من أبناء المدينة ومن البصرة والكوفة ومصر . ولم يحاكم من أجله أحد . وانفتح بمصره باب الفتنة .

علي بن أبي طالب قتله عبدالرحمن بن ملجم في مؤامرة ثلاثية . وتجا من القتل معاوية بن أبي سفيان وعمر بن العاص . ولم يقتل بالخليفة الرابع أحد إلا قاتله .

فلماذا أحصينا من وقع عليهم حكم القتل في استشهاد الخلفاء الثلاثة ، كانوا رجلين . . لا أكثر . . !

ولكن شلال الدم انحدر بعد هذا عتيفا من عام ٦٠هـ ولم يبدأ نسيبا إلا بعد ربع قرن شهد أشد مامر على الاسلام من المآسي بإيدى أبنائه :

- في الخط الأموي كان الخلفاء بعد معاوية : يزيد ومعاوية الثاني مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان .

- وفي خط أهل البيت وبني هاشم كان الحسن ثم الحسين بن علي

- وفي خط قريش كان عبدالله بن الزبير وكانت أبرز المآسي :

- استشهاد الحسين والكثير من أهل بيته في كربلاء عام ٦١هـ

ثيابا جديدة . وكأنك تشهد - من جديد - صراعا مذهيا أو نزاعا على سلطان باسم الدين بين الأمويين والعباسيين وأهل البيت والخوارج في عيط من الملل والأهواء والنحل .

وقد تنتهي الصراعات العنيفة الى حين ، وتضع الحروب أوزارها . ولكن إذا لم نحاول وقت الهدنة أن نعيد النظر في تيرة الأجيال الجديدة من وزر الجرائم القديمة ، وإذا لم نحاول تربية الأبناء على الإخاء والحب ، وإذا لم تركنا توجيه الشباب خاضعا لأسلوب الحقد والكراهية فإن بدور الحقد تعود الى تثبيت جلورها في القلوب والعقول ونجد سوقها وفروعها ، وتسمى الى إيقاد الحروب والصراعات ، متى استعادت قوتها واستطاعت التعبير عن نفسها .

وهذه كلمة الى علماء المذاهب الاسلامية ، ودعوة الى إعادة النظر ، في مناهج التاريخ الاسلامي والتربية الاسلامية ، دعوة الى جامعاتنا ومجامعنا ، أن تتعاون جميعا على تأكيد ركائز ثلاث :

- تربية الأجيال اللاحقة من دماء الأجيال السابقة .
- دراسة هذه المأسى لتأكيد ضرورة الإخاء وأخطار الصراع والأحقاد ، وتطهير أرض الاسلام وعقول أبنائه من تلك الالغام الفكرية .

- دعم الجهود المشتركة الجسامعة بين المذاهب الاسلامية لبناء حاضر الاسلام ومستقبله ، بناء يقوم على سماحة العقيدة ومتطلبات العصر . ونحن في ذكريات المولد النبوى الشريف « ١٤٠٩ هـ » نذكر حديث المصطفى عليه الصلاة والسلام ، حسى أن يكون لنا على طريق الاخاء نورا :

« مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

« رواه البخارى وسلم عن النعمان بن بشير رضي الله عنهم أجمعين » □

أهل مذهب بعينه عقاب جريمة حدثت من حاكم أو قائد ؟ وهل يحمل أنبلوهم من بعدهم ذنب السابقين ، دون أن يشارك الأبناء في هذه الدماء أو يرضوا عنها ؟ من نحاسب الآن على هذه المصارع المزينة على قلوبنا جميعا ؟ ألسنا في حاجة الى تيرة الأجيال اللاحقة من جريمة دماء أريق في أجيال سابقة ، ولم يرض عن هذه الجرائم أهل ذلك العصر ؟ ولصالحه من تزرع الأحقاد القديمة في النفوس الغضة الجديدة ؟ إننا في حاجة الى « نهج جديد » يدرس الماضي لما فيه من عبرة ، ويتوقى المراتق التي أوقعتنا فيها الصراعات السياسية ، وتتازع السلطان ، ورؤية كل فريق أنه كان أحق بالأمر من غيره .

نحن بحاجة حقيقية الى تيرة الأجيال الجديدة أولا من هذه المأسى ومد جسور الإخاء فوق أخاديد الدماء .

أين بنو أمية الآن ؟ وبعضهم مسئول عن هذه الدماء ؟ تماما كمسئولية فيروز أبي لؤلؤة وعبد الرحمن ابن ملجم ، وميزيد بن معاوية ، وقادته الذين انتهكوا حرمة المدينة ومكة ، ومسئولية أبى قائد قاد جنوده الى معركة خاسرة ، دون أن يستمد لها . ولكن هذه كلها أجيال مضت وحسابها عند الله تعالى .

فكيف نتجنب مما حدث « أمصلا » نقي بها نكسات الفتنة وأوبئتها ، وقد أخذت تنتشر مع الصوحة الاسلامية المعاصرة ؟

ثم لو تركنا هذه الدماء القديمة ، لوجدنا دماء جديدة وشارات بين بعض الحكومات والأنشطة الاسلامية ، تكاد أن تكون تمسيدا لبعض الصراعات القديمة ، حين يظن كل فريق أنه يمتلك الحق . وأن غيره على الباطل . ويبدأ العدوان بين حاكم ومحكوم أو بين جار وجار . وأحيانا تردى الثارات القديمة

« ليس حب الشباب متعمقا في قلوبهم ، وإنما في عيونهم . (شكسبير)

يا عرب ! الزراعة.. الزراعة

بقلم : الدكتور سمير رضوان

سوف يضع القرن القادم على عاتق الأمة العربية مسؤولية جسيمة ،
لابد من إمامها عن حملها . اذ سوف يتحتم عليها أن تعتمد على جهودها الذاتية
في انتاج غذائها . وما من سبيل الى تحقيق هذا الهدف الا من خلال استراتيجية
زراعية عربية مشتركة ، ينبغي أن يخطط لها من الآن .



● الزراعة المحمية وسيلة جديدة من وسائل تطوير الثروة الزراعية وتنميتها .

قوة حاسة لديه ، تعرف اليوم باسم حاسة التخاطر أو الاحساس على البعد (تلثاني) .

وليس المواطن العربي المعاصر بحاجة لأي قدر من حاسة التخاطر ، كما يستين بها أخطارا عظيمة محدقة بأمته ، فالمواطن المعادي يرى هذه الاخطار في كل لحظة ، ويحسها ، ويسمع بها ، ويتمايش معها ، حتى أصبحت جزءاً من حياته اليومية . ومع ذلك فلا خير في من رأى خطراً محدقاً بأهله ولم يصرخ ليهب هملرا ، ومقاتلي هذه صرخة هلمسة ، أتمش أن يكون صداها في النفوس أعمق من مجرد اكتشاف شرف مشابعتها في اللفظ لصرخة الفاروق وما أحفظه من شرف .

لعل من الحرب المقولات التي تردت أثناء العقود الاخيرة مقولة أن الاستعمار الغربي قد فرض علينا أن نبقى دولا زراعية ، وحال بيتنا وبين النهضة الصناعية ، وعلى الرغم من أن هذه المقولة تحمل في طياتها مغالطة واضحة ، حيث توحي لسانها أن الزراعة مرتبطة بالتخلف ، فقد شاعت بيتنا ، ولو شككت أن تصبح دعوى لمغالطة الزراعة . ولي

أردت بعنوان هذه المقالة أن أحاكي صرخة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « يا سارية بالجبل .. الجبل » إذ بيتنا كان الخليفة - رضوان الله عليه - قائما يخطب في المسلمين ، تراءى له أن جيش الاسلام الذي كان ساهتد يخوض إحدى معاركه الجهادية ، أو شك عدوه أن يطوقه ، وأن يحكم الحصار حوله . كما تراءى له ألا مفر لجيش الاسلام من الهزيمة المحققة سوى أن يلوذ بهيل في موقع المعركة ، ليحتمي به ، ويروى أن الفاروق قطع موضوع خطبته فجأة ، وصرخ متاديا قائلاً جيشه على بعد آلاف الأميال : « يا سارية ، الجبل ، الجبل » ثم استأنف الفاروق خطبته ، وكان هذه الصرخة لم تصدر عنه ، وتعجب المسلمون من أمر الخليفة ، ولما سألكوا قائد الجيش بعد أن عاد متحصرا ، أقر بأنه ما أن تبين صعوبة موقف الجيش في المعركة حتى غلب اليه أنه يسمع صراخ عمر في أن اعصم يا الجبل ، ففعل . ويرى عليه النفس المعاصرون أن هذه الواقعة لا تقهم الا على ضوء ما كان مهودا عن الفاروق - رضوان الله عليه - من

● يا حارب ! الزراعة .. الزراعة

الصرعات الدولية . كذلك علمتنا تجربة القرن العشرين أن التلوث البيئي قد أسودت سحبه في سموات القرب الصناعات الزراعي ، وأضرقت أقطاره الحقول ، ومن ثم فلا بد لخير التلوث من أن يشق طريقه صوب العالم الثالث . ولست في حاجة الى كثير من التذكير كي تتوقع أن هذه القضايا الساخنة سوف تلتهم في القرن القادم تصرق في ضرامها كل أمة لاتعد عدوها لجاراتها من الآن . من أجل هذا كانت صرختي : « يا حارب ! الزراعة ، الزراعة » .

الغذاء والاستقلال :

تستورد الأمة العربية من الخارج معظم ما تحتاجه شحوباً من غذاء . فليس يبقى على أحد أن مصر مثلاً - وهي كبرى الأقطار العربية قاطبة - لا تنتج إلا رخيلاً واحداً من بين كل أربعة أرغفة يستهلكها المواطن المصري . والغريب أننا أيقنا هذه الحقيقة المذهلة، وأصبحتنا تنمايش معها دون أن نثير فيها أي إحساس بالرعب أو الخوف . فعنى هذا الوضع

احتشادي أن هذه القولة غير المستولة قد أسهمت - على الأقل من الناحية النفسية - في إحمال الزراعة .

وليس هناك ما يمكن أن يضع أمة أمام أحد المحاربين : الزراعة أم الصناعة ؟ فليس ثمة ما يحول دون العمل في المجالين معاً ، ولاتكون النهضة الإجماعية معاً . وعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة في ذهني فقد طرحت هذا الاختيار على نفسي حامداً ، وربما كان ذلك لكي أستقطب اهتمام القارىء - سمي في قضية ، يعلم يقينا مثلي أنها مهمة ، لكن قد ينيب عنه أنها سوف تصبح في غضون القرن القادم قضية . إن تكون أو لا تكون ، كلمة مستقلة .

لو كان لابد من الاختيار فليست التردد لحظة في أن الزراعة تأتي أولاً . لقد ولجنا باب القرن العشرين أمة مقطعة الأوصال ، وعبرته خارقين في مشاكل وخلاصات ألفتنا قسماً من فهم طبيعة العصر وصرعاته . وليس تشاكراً أو مبالغة أن نقول : إن هذا القرن قد تقضى إلا الله ، بيد أن أمة العرب لم تحماه ، فهي لم تتكلم لفته ، ولم تشارك في بناء التقدم فيه ، لأسباب لا مجال لذكرها هنا . وتتضمن الشجاعة أن نترف بأننا نقبل على القرن الواحد والعشرين ونحن أكثر غمراً من ذي قبل ، وأقل لها للغة التقدم ، نحن نقبل على قرن

تستطردنا الأقطار فيه فافرة

أفواها ، ومتربعة

بنا ، وما لم تعد عدتنا

لمواجهة هذه المخاطر .

فلن يكون قصارى الأمر أننا

سوف نضج هذا القرن كما ضجعت

سابقة ، بل إن القرن القادم هو

الذي سوف يضيئنا ، لأكثر الله .

لقد علمتنا تجربة القرن العشرين أن

من لا يتج غذاءه لا يملك لقرنيه في يد ،

كما علمتنا هذه التجربة ، أن الطاقة

والغذاء سلاحان فلا تكان لنا مستخدما في



الغذائية . ويتنبأ ألا تنسى أن حالاً كعالم القرن القادم سوف تقتصر فيه - بالضرورة - الشروط السياسية من قبل مصدري الغذاء بكل صفقة بيع وشراء ، ولن يكون هناك محل لكلمة الاستقلال في الدول المستوردة الا في معاجم اللغة .

الخطر الأكبر الذي يترى بالدول المستوردة للغذاء ومن ضمنها الأقطار العربية ، يكمن في أن معظم الدول المنتجة للغذاء - خاصة الحبوب - سوف تصبح في القرن القادم زاهدة - الى حد كبير - في بيعه ، لأنها سوف تحتاج الى كل ما تنتجه أو معظمه . ومن المتوقع أن ينشأ هذا الوضع الجديد بعد أن يشح انتاج النفط على مستوى العالم ، وهو أمر متوقع خلال القرن القادم . وبعد نزوب النفط كمصدر للطاقة اللازمة كوقود للسيارات على وجه الخصوص لن يتبقى أمام العالم الصناعي الا أن ينتج ما يسمى « بالبيوكحول » كبديل للنفط وقد أنتجت الدراسات التقنية على هذا الموضوع في هذه الدول ، ونتائجها

● كل الأيدي - بما فيها الأيدي الناعمة - يمكنها أن تساهم في التنمية الزراعية .

يساهمة هو أن غول المجاعة مقيم بيتاً ، ينتظر أوامر مصدري الغذاء لكي يشتك بيتاً في أي لحظة . وما يصدق على مصر يصدق على جميع الأقطار العربية بلا استثناء ، وإن يكن بدرجات متفاوتة .

ودعونا نعيد قراءة بعض عناوين الصحف في الأشهر الأخيرة التي مرت عليها حيوتنا مرورا سريعاً ، دون أن تكلف عقولنا مشقة التدقيق في معانيها . ولقد اخترت هيئة عشوائية من عناوين بعض الصحف الكويتية : ٤٥ دولة تحتاج الى ٩ ملايين طن من الحبوب ، ٢٥ مليار دولار حجم الواردات الغذائية العربية ، ٤٥ مليار دولار قيمة الواردات الغذائية للعالم العربي عام ٢٠٠٠ ، دول الخليج العربية ومشكلة الأمن الغذائي ٣٠ مليار دولار « فاتورة » مستوردات الغذاء ٣٥٪ من العرب يعانون من مشكلة الغذاء « ولكي تصبح الصورة أكثر وضوحاً أسجل هنا ملخص بعض البحوث التي نشرت في مؤتمر الاقتصاديين العرب الذي عقد مؤخرًا في الكويت كما أورثته صحيفة « الوطن » ، الكويتية في عددها الصادر برقم ٤٦٧٧ . تقول الأرقام : ان الاستثمارات في مجال الزراعة للأمة العربية تراوحت خلال العقدين الأخيرين بين ٩٪ الى ١٣,٨٪ فقط من مجمل الاستثمارات العربية الكلية ، كما يتضح أن هذه النسبة في تناقص مستمر منذ ١٩٧٠ حتى الآن . والأدهى من ذلك هو أن معدل تنفيذ هذه الاستثمارات المتواضعة الحجم لم يتجاوز أبداً ٤٥٪ فقط . هذه هي الصورة اليوم ، فكيف تراها تصبح في القرن القادم ؟ سوف يزداد القابل - بل وأقبال جميع شعوب العالم الثالث - على استيراد الغذاء ، كنتيجة منطقية لازدياد أعداد السكان . وأغلب الظن أن انتاج الغذاء في بلادنا - بل وعلى مستوى العالم - سوف لا يفي بزيادة ملحوظة ، فذلك ان لم يراجع في كثير من مناطق العالم ، بسبب الجفاف ، واختيار الأراضي الزراعية ، والتصحّر ، وغيرها من المشاكل الحادة . وسوف يصل العالم الى وضع تعدد الدولة فيه أنها محظوظة لمجرد عثورها على من يصدر لها المواد



مشاكل حادة ، تتعلق بنوعية هذا القليل المروض ، ومدى ملائمته للاستهلاك الأدمي . ولا يخفى على أحد مقدار ما يبلغه التلوث البيئي ، خاصة في الدول المتقدمة التي تنتج الحبوب والغذاء . ويخطئ من يتصور أن التلوث في هذه الدول الثانية لا يعيننا كثيرا .

فهر سوف يصبح أقرب إلينا عما نتصور ، فتلوث البيئة هناك يعني - بالضرورة - تلوث الانتاج الزراعي النباتي والحيواني الذي نستورده نحن منهم .

لذا كانت سحب التلوث قد انمطت هناك ، وهطلت أمطاره ، ونجمت في أراضيهم ، طوفان التلوث لن يلبث أن يشق نهرا جبارا مليئا بالمخلفات والحبوب واللحوم ليصب في بلادنا نحن . وقرعة سريعة لعينة عشوائية من عناوين بعض صحف الغرب تكفي لايضاح حجم مشكلة التلوث هناك .

وقد أخذت هذه العناوين من بعض الصحف الألمانية الغربية : « نفايات سامة ملقاة على قارة الطريق » ، أحدث صيحة : « نفايات بجا سيانيد » ، هل تسرب اللين المظفور المحتوي على هرمونات الى الأسواق في الخفاء ؟ ، « اعمال في تحزين النفايات المشعة » .

ومشاكل التلوث التي تثار يوميا في دول الغرب المتقدمة لا تنتهي . لم يمس أحد بعد - فيها أنعمش - كارثة تشيرنوبيل وما خلفته من آثار رهيبة لن تنتهي سريعا . وهناك قضية شغلت الرأي العام الألماني الغربي في الصيف الماضي ، تتعلق بخمسة آلاف طن من اللين المجفف الذي ثبت أنه ملوث بالاشعاع ، وظل هذا اللين مشحونا في قطار يتجول بين ولايات ألمانيا المختلفة ، حيث تأبى كل ولاية منها تفريغه فيها من أجل تنقيته . ولا يعلم الا الله الى أين انتهى هذا اللين المشع الآن . أخشى - عا أخشاه أن أحسد مستوردي العالم الثالث من ذوي الضمائر الحرة قد تطوع بحل هذه المشكلة لهم ، وأصبح اللين الآن في أجواف الأطفال من أبناء العالم الثالث . وهناك قضية أخرى شغلت غرب أوروبا في العلم الماضي ، عرفت باسم « فضيحة سانبا الاشعاع النووي » ، وقد جرت هذه القضيحة شركات صناعية كبرى الى

مخوفة بعناية في انتظار التفتد . سوف يتجون « البيوكحول » من خلال عمليات التخمر الصناعي لمخاصل زراعية غنية بالنشا أو السكر كالحبوب والبطاطس والعنب وقصب السكر والبنجر وما إليها . وتدل الدراسات المخفوظة على أن العالم سوف يخصص مالا يقل عن خمس الرقعة الزراعية على سطح الأرض من أجل انتاج « البيوكحول » فقط ، وعندئذ سوف يغير العالم الصناعي نفسه بين أن يستمر انتاجه الزراعي من أجل انتاج الوقود لسيارات شعوبه وبين أن يبيعه غذاء للأمة العربية مثلا . ولا أحسب أن فينا - نحن العرب - من يختلف على القرار الذي يؤمن أن هذه الدول سوف لا تتردد لحظة في اتخاذه .

الغذاء والتلوث :

ولن تقتصر مشاكل مستوردي الغذاء في القرن القادم على قلة المروض منه ، بل سوف تنشأ أيضا

● ضحكة من القلب .
فالمحصل وفير .



ولا يبدل أمامها سوى أن تنجح في هذا التحدي ، وهي قادرة على النجاح إذا فطرت المخاطر المتشطرة حق قدرها . فهل تفتننا أموال الدنيا شيئا إذا نحن سمعنا لشراء غذاء لا يريد البائع - أو قل لا يستطيع - بيعه لنا ؟ ولن تنجح الأمة العربية في هذا التحدي الصعب إلا من خلال استراتيجية زراعية متكاملة ، يخطط لها الخبراء من الآن قبل الغد . ولن نجدي كثيرا جهود الأقطار العربية منزلة بعضها عن بعض فكل قطر منها يملك بعض المقومات اللازمة لتحقيق هذا الحلم القومي ، لكن لا يملك أي منها جميع المقومات دفعة واحدة . وتقوم الزراعة الناجحة كما هو معروف على الثروة الزراعية ، ومياه الري ، والأيدي العاملة ، والخبرة ورأس المال . أما الثروة الزراعية المعروفة في قطرين عربيين هما السودان والعراق ، ففيها مئات الملايين من الأفدنة الصالحة للزراعة التي لا تنقصها إلا القلاحة . أما المياه فهناك النيل ، وهناك دجلة والفرات ، وهناك بحيرات من المياه الجوفية العذبة ، ينبغي أن تسمى الاستراتيجية العربية للكثف عنها ، وأظن أن أعداد الأمة العربية كانوا أظن منها إلى امكاناتها الزراعية المخطلة ، فحاولوا دائما ضرب الأمة في امكاناتها ، أما الأيدي العاملة والخبرة فاعتقد أن مصر وأقطار أخرى غيرها كفيلة بتوفيرها . أما الأموال فيكفي رأس المال العربي من عائد النفط اخترايا ، وأظن بمن إلى أن يجند نفسه لشرف انقاذ الأمة العربية من الهلاك إذا هو رأى أمامه استراتيجية جادة مدروسة باتقان فمثل هذه الاستراتيجية ضمان أكيد لازدهاره على أي حال ، ولا يبدى أحد أن النجاح في هذا التحدي لمر سهل المثال من قبل أخوة حرف تاريخهم الحديث من الخلاف أكثر مما عرف من الوفاق . وأعترف أن هذه أماني حسنة . فهل ياترى لم يبق للمواطن العادي في وطننا العربي ، في هذا الزمن الصعب ،

سوى الأمان ؟ لست متشائما إلى حد الظن أن يوما سوف يأتي تصبح فيه حتى أمانتنا ترفا فارغا . وعلى العموم مازال من الضروري لنا أن نقي على أمانتنا ، وألا نقرط فيها أبدا . □

قصص الاتهام ، مثل « نيوكم » و « ترائس نيكليار » وغيرها . وتعمل هذه الشركات في المادة على استعادة المواد المشعة من النفايات النووية المستخدمة في الطب والبحث العلمي وما إلى ذلك . وتردد أن رشايي كبيرة قد دفعت لهذه الشركات كي تسرب مواد مشعة تصلح لاستنتاج الأسلحة النووية للدول الأجنبية بصورة غير مشروعة ، كما أن هذه الشركات قد اهتمت بالأعمال في تخزين هذه المواد المشعة ، وفي التعامل معها أثناء شحنها ، مما عرض البيئة للتلوث . ومسألة تخزين النفايات المشعة في الدول الصناعية مشكلة ملحة في حد ذاتها ، تعدد من أجلها الصفقات المشبوهة على المستوى الدولي ، كما تسمى الدول الفنية باستمرار لاستغلال الدول الفقيرة لتخزين هذه النفايات في أراضيها ، بعد أن تغريبا بأموالها . وما يمتينا هنا هو أن نذكر القارئ بأن المادة المشعة يتسرب منها الاشعاع يبطه شديد . ومن ثم فالزمن اللازم لتخزين النفايات النووية لكي تفقد اشعاعها تماما وتصبح آمنة من الناحية البيئية يتعد مئات الألوف من السنين ، ومعنى ذلك أن مثل هذه النفايات المخزنة هي في الواقع مصدر مزمن لتلوث التربة هناك ، بل وأيضا تلوث المياه الجوفية ، ومن ثم المحاصيل الزراعية التي مصيرها أن تصدر اليئا . فإن لم يكن التلوث بالاشعاع ، فهناك التلوث بفائضه لانتهى من المواد الكيميائية الضارة التي تشمت بها البيئة في هذه الدول الصناعية ، وينبغي أن نعلم أن هناك مواطنين أمريكيين وأوربيين ممن يتصفون بالوعي البيئي الرافق ، يرفضون اليوم أن يتناولوا غذاء مما تطرحه الأسواق في بلادهم ، بل هم يهجرون المدن ويسمون إلى أوطان الطبيعة في الأماكن النائية ، ليزرعوا ، وليتجروا غذاء غير ملوث هناك يفتنون به .

وهذا هو الحل :

لن تتمكن الأمة العربية في القرن القادم من حياة استقلال أقطارها ، ولانم امتلاك زمامها يديها ، سالم تتمكن من انتاج غذائها بجهودها الذاتية .

اقرأ في

ديسمبر ١٩٨٨

استطلاعات ملونة

المِراة
الطوارقية
بين العزافة والأصالة

د. بثينة شعبان

متطوعون
حتى تصبح
حياتنا ممكنة!

محمد عبد الوهاب

جورجيا
السوفيتية..
الولاء قديم!

سليمان الشيخ

- الثقافة الإسلامية والتحديات المعاصرة د. رضوان السيد
- طه حسين في ميزان النقد د. احمد مامي
- "إسرائيل" تتجسس في الفضاء! سعد شعبان
- الموشحات والقُدود حلبية أم حمصية؟ د. عمرو موسى باشا
- المرأة في قواعد النحو والصرف محمد حسن الصوري
- الأسبق في "المناجيق" جمال النيطاني
- الفهوة التي نشرها في قفص الانعام د. سامي عزيز

وجمال الجبه
د. مزي بنكي وعلي مغانم

واقرا أيضا للكُتَّاب

د. محمد الرميحي د. رمسيس عبد المليم د. علي صبري فريشلي * صلاح عيسى
حسب الله يحيى د. هادي ملاحون د. علي ألوشاتي د. يوسف عبد الغني

حُبْنِ

شعر :

الدكتور عبد الحميد محمود

دمى إلى دمي يحن
تركت من دمي على الرمال زهرة
فصارت الشموس فوقها ندى
وصارت الرمال حولها مياه
فأورقت
وأورقت
وباح عطرها بروعة الحياة
وأذن الحلم
فراحت الصقور في تسيحة طويلة
وغابت الصخور في الصلاة

• •

مسافر

وكلمها مددت خطوط
تمددت على المدى الرمال
فأضرب الرمال أضرب الرمال
لكن خطوة الفتي لم تخرج المياه
فأستدير متعبا
وبين دعة ...
... وزفرة
يبل عطر ك الندى



فتنبض الحياة في العروق
وتنطق المياه في الشقوق
وأستدير للمسير من جديد
للبعيد
للبعيد
دمي إلى دمي يحزن

هذي خيامهم على مشارف الزمن
ونكهة التاريخ في إيريق قهوة يلدور بينهم
ناديتهم
من فوق نخلة على ضفاف كوثر
يسير مجهدا إلى نهاية المدى
دعيت أم دعوتهم
وحين فاض نور اللقا
أفرزت وجهي للأمام بيتنا
فلم أجد على مشارف السماء
غير الرب الصفراء
ناديت نخلتنا فلم يجب
ناديت ... سيفنا فلم يجب
مضيق صراختنا هباء

فالمبتدى صحراء
والمتهى صحراء
• •
النار فوق قشرة الأمان
من لفحة الشمس
لا بل إنها من لفحة النفوس
واشتهاء الصوبجان
فلنضرب الرمال
لعل حين تيزغ المياه
.. تنطفئ النيران
دمي إلى دمي يحزن
جمعت فوق هودجي مباحري
وسبحتي
وبسملات سجدتي
والسيف والدروع
وعطر أمتي
لملأني إذا فرشتها على المدى
تجمعت هناك زهرة
تدور حولها المياه
وتصبح الشموس فوقها ندى



أرقام

بقلم : محمود المراعى

الفقر في عيون الأغنياء

الأجور الحقيقية - تحت مطرقة التضخم - تراجع قيمتها ، وكانت البطالة - حيث لا أجر ولا دخل - تنتشر نتيجة للركود في المشروعات . وكانت موارد الحكومات تدخل دائرة الفقر أيضا ، وتعجز عن أن تخصص قدرًا مناسبًا للخدمات ، وكان معظم هذه المؤشرات مالية أو نقدية .

الغذاء والصحة - الحياة والموت

على الجانب الآخر كانت هناك المؤشرات المادية المباشرة . الفقراء لا يأخذون كفايتهم من الغذاء الذي يأت جزء كبير منه في العالم الثالث مستورداً . لذا سجلت الأرقام أنه بين عامي (١٩٧٠ - ١٩٨٠) زاد عدد الذين يعانون من نقص التغذية في البلدان النامية - باستثناء الصين - من (٦٥٠) مليون شخص إلى (٧٣٠) مليوناً . وفي دراسة أخرى جرت حول (٣٥) بلداً نامياً اتضح أن (٢١) بلداً منها قد تراجع فيها نصيب الفرد من السمات الحرارية ، وذلك إذا قارنا بين ما كان يحصل عليه الفرد عام ١٩٦٥ و ١٩٨٥ . الصحة وجه آخر للفقر والثراء ، والتعليم وجه ثالث ، ونصيب الفرد من السكن الصحي والماء النقي والكهرباء وأدوات العصر كلها مؤشرات لا تحيط به حول القدرة الاقتصادية .

لفترة غير قصيرة كان العالم يظن أنه يتخلص تدريجياً من عار الفقر ، فالجوعى يشبعون ، والعرايا يلبسون ، ومن لا مأوى لهم يسكنون ، ويبدلون العلاج والغذاء والتعليم . كانت أدبيات التنمية وإحصاءات النمو ترصد كلها زيادة في الدخل والانتاج والاستهلاك ، كما كانت تسجل تراجعاً في نسب الوفيات ، لكن في السنوات الأخيرة أصبح الاتجاه عكسياً ، وجاء آخر تقرير عن التنمية في العالم يقول : « نعم ، الفاقة تزايدت » .

لم يستطع البنك الدولي - وهو صاحب التقرير الصادر في صيف ١٩٨٨ - أن يحصى عدد الفقراء ، لكنه - وهو المؤسسة التي تضم أغنياء العالم - لم يستطع أيضاً أن يتجاهل ظاهرة الفقر . في مناسبات سابقة كانت منظمات الأمم المتحدة قد سجلت ما يشير إلى تراجع الدخل في عديد من البلدان ، وفي دراسات عدة جرى رصد الشرائح التي تعيش تحت خط الفقر . الجديد هو ما يقوله البنك بأن الفاقة تزايدت ، وأن مؤشرات ذلك واضحة .

في حقبة الثمانينيات ، وفي كثير من بلدان العالم تباطأ معدل النمو الاقتصادي ، وسجلت بعض البلدان نمواً سالباً ، أي أن الدخل كان يتناقص عاماً بعد عام ، وفي التفاصيل كان سكان الريف يحصلون على عائد أقل لحاصلاتهم ، وكانت

وقد تراجع نصيب الفرد في الصحة والتعليم في البلدان النامية المنخفضة الدخل بين عامي ١٩٧٥ و ١٩٨٢ . وتشير دراسات البنك الدولي أنه في بحث حول بلدان نامية اتضح أن حصة الفرد من الأطباء تراجع . وفي بحث آخر حول (١٧) بلدا أفريقيا -جنوب الصحراء- اتضح أن نسبة المتعلمين بالتعليم الابتدائي تقل عن ذي قبل ، وعلى عكس الاتجاه التاريخي الذي يشير إلى أننا نعيش عصر التعليم .

هناك إذن -ولأسباب اقتصادية- نقص في الغذاء ، ونقص في الرعاية الطبية ، ومن الطبيعي أن يكون لذلك انعكاسه على نسبة الوفيات ومتوسطات الأعمار .

ومرة أخرى -وعكس الاتجاه التاريخي- تسجل الدراسات أنه من (١٩٦٩ - ١٩٨٣) انخفض متوسط العمر المتوقع في تسع بلدان أفريقية جنوب الصحراء . وكذلك في النصف الأول من الثمانينيات زادت الوفيات بين الأطفال ، نتيجة لسوء التغذية وقلة الرعاية الصحية في عديد من البلدان ، ووصلت النسبة إلى النصف في بعض البلاد مثل زامبيا .

وكل هذه المؤشرات تتجمع لتقول : الفقر يتزايد ، ومن يعيشون تحت خط الفقر في بلدان كثيرة تتضاعف أعدادهم .

لكنهم لا يفسرون

يلجئ البنك الدولي هذه الأرقام ، لكنه لا يتحدث عن الأسباب : هل هي الظروف الطبيعية : الفيضانات والجفاف والتصحر وفساد الهواء من حولنا ؟ هل هي الظروف الاقتصادية التي أعطت زيادة أسعار النفط ، وزيادة أسعار السلع الصناعية ، ونقص أسعار الحاصلات التي يتبناها العالم الثالث ؟ هل هي الديون التي أثقلت كاهل الفقراء ، فأصبح مهم الأول أن يسددوا شيئا عما فلت ، حتى يستمرروا في الاقتراض ، ويواجهوا ما هو آت ؟ هل هي الإدارة السيئة في البلدان النامية - سواء كانت الإدارة السياسية أو الإدارة

الاقتصادية وإدارة الموارد - أو أن الأمر غير ذلك ، ويتعلق باستغلال العالم الأول للعالم الثالث ، وهو استغلال يبدأ بتحكمه في الأسعار العالمية ، ويمتد لإلغائه بالضمانات النووية السامة إلى بحار وأراضي العالم الفقير ، وكأنها قد أصبحت مزملة العالم ؟ البنك الدولي لا يقدم ردا واضحا ، لكنه يطلب من الجميع التكيف مع الظروف ، ويضع بالتعاون مع صندوق النقد الدولي السياسات اللازمة لذلك . ويدرج ضمنيتها في العادة الفقراء أيضا ! ومن الطبيعي - أو هكذا تفترض- أن يكون للعالم الثالث تفسيره للآزمة ، واجتهاده للحل . من الطبيعي أن تقول إن كل الأسباب السابقة صحيحة ، لكن ليس من الطبيعي أن نأخذ موقف المراقب ، أو المترقب ، أو التلميذ البليد في فصول المؤسسات الدولية .

نعم ، هناك ظروف طبيعية ، لكنها ليست كل شيء ، وبعضها يمكن مقاومته ، مثل التصحر ، وفساد الجو .

ونعم ، هناك ظروف دولية وعلمية ، لكن المهم كيف نواجه هذه الظروف ؟

المطلوب : نخط آخر من التفكير ، نخط آخر من الحيلة والاستهلاك والإنتاج ، المطلوب نخط آخر من السياسات الاقتصادية والاجتماعية .

المطلوب : عالم ثالث مستقل ، يتفاعل مع الآخرين ، لكنه لا يقع أسيرا لما يقررون . وبالأحرى ، كان غير العالم تجرئ قسمه دون عدل ، وكان الثراء لدول الاستعمار ، والفقير والتخلف لدول الجنوب التي دأستها أقلام الرجل الأبيض .

أما اليوم فإن هذا الخبر نفسه تجري قسمه بنفس القدر من الظلم الإنساني ، لكن تحت ثياب جديدة ، فالفرقة أخلت من المادة الأولية ، والحرير أهم من الآلة ، وسوق السلاح أهم من سوق الحيز ، وساعة عمل لرجل في الشمال تفوق قيمتها عدة ساعات عمل لرجل جنوب ، حتى لو أنتج الشيء نفسه بالجودة نفسها ! □



جبران ببين أبناء جيله

بقلم / الدكتور على شلش

في عقد الثمانينيات من القرن التاسع عشر ، ولدت كوكبة من المبدعين والمفكرين كان لهم دور عظيم الأهمية في النهضة الفكرية والأدبية العربية المعاصرة ، وما تزال نتائجها تتفاعل مع مكونات واقعنا بعد رحيلهم جميعا . من بين هؤلاء برز جبران خليل جبران بأبداعاته في اللغتين العربية والانجليزية .

فأين هو منهم ؟

وإذا كان معظم البارزين من معاصري جبران ولدوا في مصر ، فيضهم ولدوا في لبنان وسورية . أما الذين ولدوا في مصر فيأت على رأسهم : مصطفى صادق الرافعي (١٨٨٠ - ١٩٣٧) واحمد حسن الزيات (١٨٨٥ - ١٩٦٨) وعبد الرحمن شكري (١٨٨٦ - ١٩٥٨) واحد أمين (١٨٨٦ - ١٩٥٤) ومحمد حسين هيكل (١٨٨٨ - ١٩٥٦) وطه حسين (١٨٨٩ - ١٩٧٣) وعيسى العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٣) وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ - ١٩٤٩) .

ولد جبران خليل جبران (١٨٨٣ - ١٩٣١) في عقد الثمانينيات من القرن الماضي وهو عقد قد شهد مولد جبهة من الشعراء والأدباء العرب ، عاصروا جبران ، وكان لهم وياها دور مرموق في نهضة الأدب العربي الحديث وتوجيهه نحو دروبه المعاصرة . ومع أن جبران نفسه لم يكن متزلا عن معاصريه فمن المهم والمفيد أن ندرس أدبه داخل إطار المعاصرة الذي جمع بينه وبين هؤلاء ، لنرى إلى أي مدى اختلف عنهم أو اضاف إليهم ، وكيف نظروا إلى كتاباته ، وصدى ذلك عنده .

وأما الذين ولدوا في لبنان وسورية فيأتى على رأسهم :

أصين الريحاني (١٨٧٦ - ١٩٤٠) وبشارة الحورى لؤى الاخطل الصغير ، (١٨٨٥ - ١٩٦٨) ونسيب عريضة (١٨٨٧ - ١٩٤٦) ورشيد سليم الحورى أو « الشاعر القروي » (١٨٨٧ - ١٩٨٦) وميخائيل نعيمة (١٨٨٩ - ١٩٨٨) وإيليا أبو ماضي (١٨٨٩ - ١٩٥٧) .

ومن الملاحظ أن اثنين من هؤلاء ولدا على اطراف الشانينيات ، وهما الريحان والمازني ، أما الباقون فولدوا على مدارها . ومن الملاحظ أيضا أن ابداع الأدب ، شعرا ونثرا شغلهم جميعا . ومنهم أربعة زاملوا جبران في أمريكا الشمالية ، وهم الريحان وعريضة ونعيمة وأبو ماضي . والثلاثة الآخرون ساهموا معه في تأسيس « الرابطة القلمية » في نيويورك عام ١٩٢٠ . ومن هؤلاء وأولئك أيضا واحد شاركه في تجربة الاغتراب ولكن عن بعد ، وهو الشاعر القروي الذي عاش في امريكا الجنوبية . بل إن ثلاثة منهم كانوا أكثر قربا من القدماء في الشعر وأقل اقبالا على التجديد ، وهم الرافعي والأخطل الصغير والقروي ، ومع ذلك كانت روح المعاصرة ترفرف على انتاجهم بشكل عام ، وتربط بينهم في سعيهم المشترك نحو مواكبة العصر ، والإحساس بمسؤولية الكلمة وتبعية الأديب .

فللأي مدى - إذن - اختلف جبران عنهم ؟

جيل الاستمرار والتجديد

من المعروف أن عقد الثمانينيات شهد بداية البثخلل الأوروبي الرسمي عن طريق الغزو أيضا . فقد سقطت تونس في أيدي الفرنسيين عام ١٨٨١ ، وسقطت مصر في أيدي الانجليز في العام التالي . وكان معنى هذا ازدهار الصلة الثقافية بين العرب وأوروبا ، بالاكراه أو بالاختيار . وفي هذا الاطار كان جيل جبران مطالبا بالمحافظة على الهوية العربية من ناحية ، والاستمرار في الأخذ من الثقافة الغربية

من ناحية أخرى ، لاسيما في مجال الأنواع والأشكال الأدبية التي لم يطورها العرب ، مثل الرواية والمسرحية والمقالة والنقد ، فضلا عن المضى في المعطاة والابداع .

نجح جبران وأبناء جيله هؤلاء في تحقيق هذه المعادلة الصعبة بوجه عام ، فاستطاعوا أن يحافظوا على الهوية العربية فيما يبدعون ، وأن يطوروا الأساليب الشعرية ، وأن يتنصخوا بتجارب الجيل الأسبق - مثل المولحي والمتفولطي في المقالة والرواية والقصة القصيرة . لكن جبران نفسه لم يصل إلى ما وصل إليه بعض أبناء جيله في القصة والرواية والشعر بشكل خاص ، لاقى الكم ولا في الكيف كما ستوضح بعد قليل .

إذا كان معاصرو جبران هؤلاء قد تميزوا بتنوع الأنواع والأشكال الأدبية في الشعر والنثر ، فقد تميزوا أيضا بعمق الصلة التي ربطت معظمهم بالأدب الأوروبية . لكن جبران والريحان ونعيمة تميزوا بأهم كتبوا بلغة غير لغتهم ، ثم تميز جبران نفسه على زميليه باتساع تجربته إلى حد القصة المعادلة تقريبا بين ما كتبه بالعربية (ثمانية كتب) وما كتبه بالانجليزية (ثمانية أخرى) . وإذا كانت المؤثرات الأوروبية قد ظهرت بوضوح في انتاج أبناء جيله - باستثناء الرافعي والحورى والقروي - فقد ضم إليها جبران مؤثرات أخرى من الفلسفة البوذية والشعر الأمريكي ، فضلا عن الكتاب المقدس بمعديه .

ومن الطبيعي أن يتفاوت جبران ومعاصروه في الأخذ من الثقافة الأوروبية ، والتجريب داخل مجال الأنواع والأشكال التي تركها قديمنا دون تطوير ، بل داخل مجال الشعر الذي لم يكونوا في حاجة إلى العنف في تطويره بمقدار ما كانوا يريدونه على مستوى عصرهم شكلا وموضوعا ، ولذلك تفلوت حصيلة اجتهاداتهم النظرية والتطبيقية على السواء .

وبينا نجح محمد حسين هيكل في تقديم نموذج واضح فنيا من الرواية قبيل الحرب العالمية الأولى ، وهوروايته « زينب » ، نجح ميخائيل نعيمة أيضا في

الشعر المتثور . وبينما لا تزيد مفاسرة جبران في الأشكال الموروثة على المقطوعات والتنويع في القوافي ، نجد بعض زملائه من أصحاب المستوى الأخير يتوسعون في إرسال القافية مثل عبدالرحمن شكري ، أو التقطيع داخل الأبيات مثل نسب هريضة .

وكان أصحاب هذا المستوى المتطلع إلى نموذج عصري للقصة يطلبون من الشاعر أن يحرص على الوحدة العضوية والفنية في القصيدة ، وأن يصور وجدانه ويترجم مشاعره ، لا أن يحاكى أو يتكلف .

وكانوا يطلبون من هذا وذاك المنطق والتحليل والنقد العميق ، مثلاً فعل المقاد والمآزق ونعومة اللين كانوا أكثر زملائهم تنظيراً وتشريعاً . لكن جبران كان مختلفاً ، فلم يكن ناقداً ولا عارفاً بالمنطق والتحليل ، وإنما كان يقول ما يحسه بطريقة أقرب إلى الخيال والتهويم ، مع أنه لم يخرج على ما قاله زملاؤه من أصحاب المنطق والتحليل .

لنتوقف هنا عند مثال يوضح ما نقوله ، ولكن المثال حول مفهوم أصحاب هذا المستوى - ومنهم جبران - للشعر . فقد قال المقاد « إن الشعر هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق » ، وقال طه حسين « إن الشعر كلام مقيد بالوزن والقافية يقصد إلى الجمال الفني » ، وقال المازني « إن الشعر خاطر لا يزال يعيش بالصدر حتى يجد مخرجاً ويصيب متنفساً » ، قال نعيمة « إن الشعر لغة النفس » ، ومع أن هذه الأقوال ليست كل ما قاله هؤلاء عن الشعر ، فهي تتميز بالمنطق وتسربل بالوضوح ، على نقض قول جبران « إن الشعر يقوم روح مقدسة متجسمة من ابتسامة تحي القلب أو تهبة تسرق من العين صدامها » ، أشباح مسكنها النفس ، وغداؤها القلب ، ومشرها العواطف ، وإن جاء الشعر على غير هذه الصور فهو كمنسج كذاب ، نبذه أوقي » .

ومع ذلك لم يختلف هذا التعريف المموه بالخيال مع تلك التعريفات المنطقية الواضحة التي يتسم أحدها الآخر

تقديم نماذج ناضجة ماثلة في القصة القصيرة جمعها في مجموعته « كان ما كان » التي ظهرت عام ١٩٣٧ ، وإن كان نشر بعضها في نيويورك في الفترة من ١٩١٤ إلى ١٩٢٥ . وبينما كان هيكل ونعيمة راثنين في هذا المجال القصصي ، لا نجد في محاولات جبران القصصية ما يرقى من الناحية الفنية إلى صنيع زميله . وبينما جرب معظم معاصري جبران الكتابة في النقد ونظرية الأدب وتاريخه لم يقترب هو من هذا المجال . وفي الوقت الذي كتب فيه بعضهم ألواناً من أدب الرحلات والسيرة العامة والذاتية لم يدخل هو مثل هذه المجالات . وإذا كان قد جرب كتابة الدراما التمثيلية فلم تكن حصيلة ما كتبه فيها تضارع في نضجها الفني حصيلة زميله نعيمة منها . ولذلك تظل أهم الأشكال والأنواع الأدبية التي شارك فيها معاصريه هي القصيدة متورة أو منظومة ، والمقالة .

لقد كتب الجميع الشعر باستثناء ثلاثة ، هم هيكل والزيات وأحمد أمين ، وكتب الجميع المقالة الأدبية باستثناء ثلاثة أيضاً هم الخوري والفروي وأبو ماضي . لكن ظل الجميع - بغير استثناء - يولون الشعر جل عنايتهم . ومع ذلك يمكن أن نلاحظ مستويين واضحين في القصيدة عند من كتبوها منهم : مستوى يلتزم بنموذج القدماء ويضم طه حسين في شعره القليل غير المجموع ، كما يضم الراجعي والاختل الصغير والفروي . ومستوى آخر يتطلع إلى نموذج عصري حتى وهو يستخدم بحور القدماء ، ويضم جبران والريحاني ونعيمة والمقاد وشكري والمآزني وأبا ماضي وهريضة . وهذا المستوى يشكل أغلبية أبناء الجيل ، كما هو واضح . وفيه حرص أصحابه على الدعوة النظرية إلى التجديد مع تقديم تطبيقاتها العملية باستثناء جبران وأبو ماضي وهريضة الذين كانوا أقل زملائهم تشريعاً للشعر وسنا لقوانين الإبداع . وكان جبران أقلهم في المعاصرة مع الشكل باستثناء شعره المتثور الذي خرج فيه نهائياً عن نظام العروض والقوافي . بل إن ما جمع من قصائده السائرة على هذا النظام الموروث يقل عما جمع لكل من زملائه باستثناء الريحاني الذي استقر على

شاعر النثر

الماشقين . يا صائفة الدموع من المواطف
المكنونة . يا صوحية الشعر ، ومنظمة عقود
الأوزان . يا موحدة الأفكار مع نصف الكلام ، مؤلفة
المشاعر من مؤثرات الجمال ، يا خرة القلوب الرافعة
شاربها إلى أعلى الأخيلة . يا مشجعة الجنود ومطهرة
نفوس العابدين ، يا آيتها التمجيدات الأثيرية الحاملة
أشباح النفس . ويأبى الرقة واللفظ إلى امواجك
نسلم أنفسنا ، وفي أعماقك نستودع قلوبنا ،
فاحلينا إلى ما وراء المافة ، وأرينا ما تكنه عوالم
الغيب .

في هذا المثال الميكرو من النثر الجبراني يتمثل رشاش
الصور . وتظهر هذه الصور علينا غير تاركة لنا
فرصة التأمل فيها تحمله من أفكار . ومع أن أكثر
الصور غير محسوس ، فتحة شيء ما يربط بينها ،
وبعضنا عن رتبة أدوات النداء وضعف الارتفاع ،
هو وحدة الانفعال والماطفة . لكن هذه الوحدة
لا تغنى - على المدى الطويل - عن الفكر الشاحب
هنا ، ولا عن الثثرة وتلك هي مشكلة النثر الجبراني
في النهاية ، لاسيا فيما كتبه بالعربية . فما أكثر ما
نواجه فيه من تكرار واستطراد ، ولف ودوران ، وما
أقل ما يخرج منه بزاوية فكرية معبر . ومع ذلك فهو
نثر يتميز بالسهولة أيضا ، كما يتميز بشحنات عاطفية
قوية ، وخيال واسع ، وجمال مفر ، بغير كدح ولا
نحت . لكن أليست هذه كلها خصائص بعض نثر
طه حسين أيضا لاسيا في كتابه « على هامش
السيرة » ؟

بقي على رومانتيكيته

لم تطل حياة جبران مثليا طالت حياة معظم أبناء
جيله . ولم تكن حياته القصيرة نسياناً من التجريب في
أنواع أخرى من الأدب مثل السيرة والسيرة الذاتية
اللتين جربهما العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة ،
ولا فكر في تدوين أسفاره وكتابه رحلاته مثليا فعل
أمين الريحاني ، ولا كانت قدراته الثقافية والعقلية
تؤهله لكتابة النقد . ولم يتفرد من بين أبناء جيله

لكن جبران لم يكتب شعره على طريقة العقاد وطه
حسين والملازم ونعيمة وحدها ، وما كتبه على هذه
الطريقة التقليدية - إذا صح أن نسميها كذلك من
حيث الشكل - قليل كما أشرنا ، وهو قليل تفوق
عليه - كما وكيفا - الكثير الذي كتبه العقاد والملازم
وشكري وأبو ماضي على وجه التخصص . ومع
ذلك عوض جبران هذا القليل بالكثير من النثر الذي
كان أقرب إلى الشعر في الروح والخيال والصور ،
وإن كان غير موزون أو مقفى . وهذه حال ابن جيله
مصطفى صادق الرافعي أيضا الذي كتب شعرا أكثر
عما كتب جبران ، ولكن نثره يظل أفضل من شعره
لا سيما في ثلاثيته : رسائل الأحزان ، السحاب
الأحمر ، أوراق الورد . وعلى الرغم من هذا يظل
جبران أيضا شاعر النثر بين زملائه ومعاصريه . ومن
هذه الناحية تفوق على الرافعي الذي يبدو أنه تأثر به
في ثلاثيته المذكورة . فقد انتجها بعد اشتها جبران
في العربية ، كما تفوق على زميل مهجره أمين الريحاني
الذي نشر شعرا متسورا في مجلة « الهلال »
منذ ١٩٠٥ ، أي في نفس الوقت تقريبا الذي ظهر
فيه أول أعمال جبران بعنوان « الموسيقى » وليس من
الغريب أن يكون نثره في هذا المجال الطول وما تلاه
من أعمال من أهم المؤثرات - بعد ذلك - في تطور ما
سمي « قصيدة النثر » في أدبنا المعاصر .

بم يتميز نثر جبران الشعري أو شعره المنشور ؟
أبرز خواص هذا النثر أنه أشبه برشاش
مع أن تحمل الصور عمل الرصاص . فهو
صور في اندفاع لا يوهه إلا احساسه
باتنه - مهمة الرش ، ولا يوقفه إلا سكون الانفعال
الذي يحركه . وهذه فقرة من « الموسيقى » يخاطبها
جبران بقوله :

« يا ابنة النفس والمحبة . يا إناء مرارة الفراق
وحلاوته . يا أخيلة القلب البشري . يا شجرة الحزن
وزهرة الفرح . يا رائحة متصاعدة من طاقة زهور
المشاعر المضغوطة . يا لسان المحبين ومذمعة أسرار

هؤلاء إلا بالرسم والانتطاع تقريبا عن الكتابة بالمربية بعد عام ١٩٢٠ .

خير أن من أهم الملامح الفنية العامة في أدب جبران ومعاصريه ذلك المزاج الرومانتيكي الذي وجد بينهم - في مرحلة الشباب بصفة خاصة - وطبع كتاباتهم المبكرة بالعديد من الخصائص الرومانتيكية الأوروبية ، وعلى رأسها التمرد ، والماطفة ، والخيال ، والحزن ، والشعور بالغربة ، والميل إلى الفطرة والطبيعة ، واتخاذ المرأة حبيبة ملهمة . ولكن معظم زملائه مالشوا أن تحولوا - شيئا فشيئا - إلى العقلانية والوضوح ، وسالوا إلى الصياغة الكلاسيكية ، وبقي هو على رومانتيكيته ، وزاد عليها شيئا من الرمزية ، وقاوم كلاسيكية التعبير وعقلانيته حتى النهاية . ولهذا كان من أكثر أبناء جيله جذبا للشباب ، كما حدث في الثلاثينيات حين ألهم كثيرين من شعراء جماعة أبولو ، وأثر في بواكير أعمالهم .

هل أخذ بنصيحة العقاد ؟

كيف نظر معاصروه وأبناء جيله إلى أدبه ؟ تفاوتت هذه النظرة - على أي حال - لكنها لم تحجب الإعجاب العام بكتاباته . فشااعر مثل إيليا أبي ماضي أزعجته شكوى جبران شبه الدائمة من الغربة والناس والزمان فقال فيه قصيدة جميلة منها :

أيذا الشاكى وما بك داء

كيف تغدو ، إذا غدوت عيليا

إن شر الجنحة في الأرض نفس

تتوقى قبل الرحيل الرحيل

وترى الشوك في السورود وتسمى

أن ترى فوقها الندى اكليلا

هو عيبه على الحيلة ثقيل

من يظن الحيلة عيبا ثقيل

فتمتدح بالصبح ما دمت فيه

لا تخف أن يزول حتى يزولا

أيذا الشاكى وما بك داء

كن جميلا تر الوجود جميلا

شااعر آخر مثل نسيب عريضة لم يدع فرصة دون الانتهاء على شعر جبران ونثره في مقدماته لأعماله التي نشرها له بمجلته « الفنون » في نيويورك . كذلك فعل ميخائيل نعيمة الذي كتب عنه أول مقال في حياته عام ١٩١٣ . ثم تلاه بمقالين في كتابه « الغريال » عام ١٩٢٣ . وعده « ثورة قبل كل شيء » . « ثورة بحد ذاته » ووصفه بأنه صاحب مفهومية جديدة عن الجمال في التنسيق والبيان . وتنبأ لأدبه بتقديس الذكر وطول العمر ، لانه « ثورة زهرعت اركان حصوننا الأدبية المتداعية ، وجاءتنا بمقاييس جديدة للجمال في البيان » على حد تعبيره .

ومع ذلك لم يثبت نعيمة على هذه الآراء المجاملة طويلا . فعندما قدم الطبعة التي ضمت أعمال جبران المربية عام ١٩٤٩ بدأ في إعادة النظر في أحكامه السابقة ، وأضاف ملاحظات سلبية على كتابات جبران . ومن هذه الملاحظات أن الحياة لم تعد جبران لفن القصة ، فلم يدع فيه أو يحلق ، وأنه ما دان يوما بقوة الواقع وحقيقته . ودان كل حياته بحقيقة الخيال وسلطانه ، وأن مقطوعات الشعر المنشور والمثل والموصلة كانت « الأقرب إلى فوقه ومزاجه وفطرته الفنية من كل ما عداها من ضروب الأدب » وأن فكره بسيط ، لم يقو إلا في كتاباته الانجليزية .

لم يكن معاصرو جبران في مصر في حاجة إلى مجاملته على أي حال . ولكن مما يلفت الانتباه أن هيكل وطه حسين والملازم وإلعقاد أجمعوا في وقت متقارب على الإعجاب بكتابات جبران وموهبته وخياله واستقلال روحه ، وتحميده ، ثم أدخلوا عليه في الوقت نفسه تساهله في اللغة وأصولها إلى حد الركاكة والضعف والخطأ . وكان العقاد أولهم وأوضحهم في بيان هذا الموقف . فقد كتب مقالا عام ١٩١٩ في نقد قصيدة « الواكب » التي قدمها نسيب عريضة بأنها نموذج للشعر الصحيح . وانتكر العقاد هذا الحكم ، وإن اعترف بأن « ناظمها يفكر تفكير شااعر » على حد قوله . ثم أخذ على القصيدة ما وقعت فيه من الخطأ اللغوي ، وضعف التركيب ،

قال في مستهل : « أنا غريب في هذا العالم » وقال في ختامه : « أنا شاعر أنظم ما تنثره الحياة ، وأثر ما تنتظمه . ولهذا أنا غريب ، وسأبقى غريبا حتى تحطفي المنايا وتحملني إلى وطني » .

وفي هذه المقالات الثلاث - بصفة خاصة - يكمن سر جبران ، ويمشش جوهر رؤيته ، ويتضح مفتاح حاله . ويتكون هذا المفتاح نفسه من ثلاث مفردات اشبه بالأعمدة ، وهي : الترد والتحدى والتعالى ؛ فهو يتمرد أولا على ما لا يروق له أو يخالفه ، ثم يتحده ، لكنه يتعالى عليه في النهاية ويتجاوزه .

وكان الأمر دورة ثلاثية المراحل في تفكيره وابداعه على الرغم من بعض الاستثناءات القليلة التي تؤكد هذا النمط ولا تنقضه . وقد كان الترد والتحدى خاصيتين بارزتين في فكر بعض أبناء جيل جبران ، لا سيما طه حسين . ومع ذلك كان طه حسين يزيد عليها المواجهة بدل التعال . ويبدو أن التعال أو الهروب ، كان صعب التحقيق داخل السوطن العربي ، حيث الاشتباك اليومي مع الحياة والبشر والأفكار والصراعات ، أما في المهجر فكان أمرا لا مفر منه أمام المغترب الذي تفصله آلاف الأميال عن وطنه ، وكان التمييز عنه يتم عن طريق الحنين والتصميم عن الشوق إلى الوطن ، أو ذكر الوطن كلما ألمت به نازلة من النوازل .

نستطيع أن نخلص مما سبق إلى أن جبران لم يختلف كثيرا في كتاباته العربية ، شعرا أو نثرا ، عن معاصريه وأبناء جيله . وإذا كان هؤلاء تميزوا بتنوع الأشكال الأدبية والإجادة في هذه الأشكال ، فقد تميز هو بالشعر المتور وأجاد فيه . وإذا كانوا قد واصلوا رحلتهم مع الكتابة العربية فقد خلطها هو بالرسم والتصوير الزيتي ، ثم قطعها ، واتجه نحو الكتابة بالانجليزية التي لا نستطيع ادخالها في مجال المقارنة بينه وبينهم ومع أن أبناء جيله رحبوا بكتاباته وأثنوا على موهبته ، بوجه عام ، فهم لم يغفروا له التهاون في حق اللغة والتعبير ، مما كان مثار غضبه وتعالى

وغلبة العبارة الثرية على النعمة الشعرية . وذكر جبران بأنه « إذا كان يجترس من الوقوع في مثل هذا الخطأ لو كتب بأحدى اللغات الغربية ، فالاتحراس في الكتابة العربية أولى » ، ومع ذلك أشار العقاد إلى أنه قرأ في القصيدة « أبياتا من أصدق الشعر وأحكمه » ثم اختتم قلده ناصحا بقوله « عندنا أنه لو طرق باب الشعر المتور لكان ذلك أفصح مجالا لأرائه وأقرب إلى سلفه وقدرته اللغوية من معالجة الشعر الموزون . وحيدا لو أقل من المعاني الرمزية ، فإنها بقية من بقايا إلهام الكهان الأقدمين ، لا يقيها في العصور الحديثة إلا اشياء أتباع الكهان فيما تصرم من المصور » .

ويبدو أن جبران أخذ بالشطر الأول من نصيحة العقاد ، فلم يكرر تجربته مع الشعر الموزون ، وانصرف إلى الشعر المتور حتى بعد انصرافه عن الكتابة بالعربية في العام التالي . وقد اتفق حكم نعيمة هنا مع حكم العقاد بعد ٢٠ عاما حول قرب الشعر المتور إلى فوق جبران ومزاجه وسلفه .

التعالى على النقد

غير أن جبران - كما ذكر نعيمة في سيرته التي كتبها له بعد وفاته - كان يسمى وراء المدح ، وينشر من النقد والقدح ، وهذا ما يفسر ضيقه الشديد - في بعض كتاباته - بما كان يكتبه عنه معاصروه . وكثيرا ما كان هذا الضيق يتحول إلى عناد وغضب أعشى ، فينفس عنه بالتعالى على النقد والملاحظات السلبية .

ومن أشهر مقالاته في هذا الصدد مقال « لكم لغتكم ولي لغتي » ومقاله « نحن وأنتم » وإذا كان المقال الأول واضح الرمي في عنوانه ، فقد جاء في المقال الآخر قوله في الرد على لوم أبي ماضي وزملائه : « نحن أبناء الكتابة ، والكتابة غيوم تخطر العالم خيرا ومعرفة وأنتم اولاد المسرات . ومهما تصالت مسراتكم فهي كأعمدة الدخان تهدمها الرياح ، وتهدمها المناسير » وفي مقال ثالث بعنوان « الشاعر »

الكوكايين

شعباننا المخدرات

بقلم : الدكتور جمال الدين موسى *

الكوكايين من المخدرات التي بدأت في الانتشار مؤخرا في أماكن مختلفة من العالم . وعلى الرغم من أنه من العقاقير القديمة التي عرفها الإنسان منذ عهد بعيد ، إلا أن الاهتمام الحديث به قد يعود إلى الثمن الخيالي لهذا السم الأبيض الذي أصبح يغري عصابات المهربين على تهريبه وترويجه ، والكاتب يناقش بالتفصيل موضوع الكوكايين وأثره على الإنسان .

بين المخدرات هو أيضا من أغلأها وافدحها ثمتا ، وهو السبب في أن الكوكايين يطلق عليه اسم مخدر الرجل الفتي ، وفي بعض الأحيان يصرف باسم شعباننا المخدرات . والكوكايين منتج طبيعي نباتي يستخرج من أوراق شجرة الكوكا . وهذه الشجرة موطنها الأصلي في أمريكا الجنوبية ، خاصة في بيرو وبوليفيا حيث تتواجد في الوديان الدافئة التي ترتفع فوق سطح البحر مدى خمسة آلاف قدم . وفي الأحوال الملائمة فإن اثنيات يعطى محصولا أربع أو خمس مرات في العام الواحد ، وذلك على

لن نتناول في حديثنا هنا عن الكوكايين ، الصراعات الدامية المختلفة التي تجري في ساحات التهريب ، أو كيفية مكافحة هذا المخدر الذي يحرم التشريعات المدنية والدينية حيازته أو استخدامه أو ترويجه أو تعاطيه ، ولكننا سنعرض لأثره كمخدر على هذا المخلوق الذي ميزه الله على سائر المخلوقات ، وحباه بالعقل الذي يميز بين الخير والشر وبين الصالح والطالح .. الإنسان ! . وبداية ، قد يتساءل القاري : ما هي العلاقة التي تربط الكوكايين بالشعباننا ؟ والإجابة بسيطة : إنه إذا كانت الشعباننا بين الحضور هي من أغلأها وأبغظها ثمتا ، فإن الكوكايين



الأهرون يصبح هيرودس

مدى ٤٠ سنة متعاقبة ...

والكوكاين من أقدم العقاقير ، وقد عرفه هنود الأنكا ، السكان الأصليون لأمريكا الجنوبية فكانوا يقومون بمضغ أوراق الكوكا في القم لمدة ساعات للاستحلاب فتقدمهم بالمادة الفعالة وهي الكوكاين التي تنشط جهازهم العصبي ، ويكون لها تأثير مخدر على المعدة فلا يشعرون بالجوع ..

قرايين للآلهة :

وكان هنود الأنكا يقصرون استخدام أوراق الكوكا على النبلاء ورجال الدين وذوي المكانة المرموقة الجلييلة بين الناس ، وكانت الأوراق تقدم قرايين للآلهة ، وتضغ في القم خلال المعبادات ، وتوضع في أنواء الحق لضمان الترحيب بالتولين في العالم الآخر طبقا لمعتقداتهم .

وبعد الغزو الأسباني ليبرو منع تعاطي الكوكا ، وحرم استخدامها واستعمالها لفترة من الزمن . ولكن لم يلبث الإسبان أن اكتشفوا أنهم هم الخاسرون في عملية التحريم المشار إليها إذ وجدوا أن الهنود - وهم السكان الأصليون في بيرو - يمكن استغلالهم في القيام بأعمال أكثر مع تناول وجبات أقل من الطعام إذا ما سمح لهم بتعاطي الكوكا ، ومضغ أوراق هذا النبات خلال قيامهم بالعمل .

وهكذا بدأ صرف جرابة يومية من أوراق الكوكا لكل عامل ، واستمر اتباع هذا التقليد حتى أصبح عادة سارية متبعة .

وقد يصادف القاريء : وما فائدة هذا الكيس الثاني الذي يحوي رمادا نباتيا ، والاجابة على ذلك أنه لكي تضغ أوراق الكوكا تغمس الأوراق في

ولكن لم تلبث الحكومة الأمريكية أن أصيبت بالفزع من تضاعف عدد الأمريكيين الذين تكونت لديهم عادة تعاطي الكوكايين فمنعت استخدام المقار . وفي عام ١٩٠٦ عملت لائحة الأخلاق والمقايير الأمريكية لتتضمن بندا يمنع استخدام الكوكايين . وبعد ذلك بشان سنوات أي في عام ١٩١٤ صدر تشريع هاريسون الذي بمقتضاه تم تضمين الكوكايين في قائمة المخدرات .

ومنذئذ أصبح احتراز الكوكايين يواجه نفس العقوبات التي تطبق على احتراز المخدرات الأخرى كالافيون والمورفين .

وفي الأربعين سنة التالية قل الاقبال على تعاطي الكوكايين ونجف الطلب عليه .

عود على بدء :

ولكن حدث خلال السبعينيات في القرن العشرين أن عاد الكوكايين الى شارع الاستهلاك ، وأصبح من أكثر المخدرات شيوعا . وكانت الظواهر التي تدل على ذلك هي كثرة كمية الكوكايين التي تضبطها أجهزة مكافحة التهريب والتقاير الطبية عن أحوال المدمنين ومتعاطي المخدرات ونوعية المخدر .

واليوم فإن الكوكايين يباع بأسعار فادحة باهظة لأنه نادر باعظ الثمن بل قد أصبح يطلق عليه كبا أسلفنا شامباتيا المخدرات . كما يعرف هذا المخدر في أوساط التهريب والمخدرات باسم « حذر الرجل الغني » وإن ندرته وشيكة توزيعه المعقدة تضيق جملة إلى سرعه الباعظ .

ويأتي الكوكايين في ثلاثة أشكال ، الشكل الصخري ثم الشكل القشري أي في صورة قشور ، أما الشكل الشائع فهو البودرة .

وعالما ما يتم إضافة مواد أخرى تصنع في المعمل . ومن هذه المواد مادة البروكين ، ومادة البينزوكين ومادة السيد . . .

ويكون الكوكايين الطي في صورة مسحوق بلوري أبيض أشبه بالسكر ومن هنا كانت تسميته بالجليد .

لقد شغل من الرماد النباتي ، تتحول في الفم الى قطعة يسهل مضغها ويستمر المضغ لمدة ساعات ويستمر الاستحلاب ويستمر الشعور بأثر المخدر وتأثيره . . .

فرويد والكوكايين :

وقد عرفت أوروبا نبات الكوكا في القرن السادس عشر لكنه ظل في طي النسيان حتى قرب نهاية القرن التاسع عشر حين بدأ الاهتمام به .

ففي عام ١٨٨٤ بدأ سيجموند فرويد سلسلة من التجارب على النبات ، ونشر عندها من التقاير عن نبات الكوكا وعن الكوكايين .

ولسيجموند فرويد قصة مع الكوكايين . .

لقد كان سيجموند فرويد مدمن أفيون وكان يريد أن يتخلص من أسر هذا المخدر ومن طفياته ومن جبروته ، وأن يقلع عن تعاطيه ، وظن للوهلة الأولى أنه يمكن أن يجد ضالته في الكوكايين للخلاص من أسر الأفيون والفكاك منه .

بدأ فرويد يتعاطى الكوكايين ، وكان من المتحمسين له في بادئ الامر ، بل إنه أطلق عليه اسم « المقار السحري » وادعى أن له قدرة علاجية توافقه يمكنه أن يتخلص المدمن من ادمان الأفيون والمورفين ومن أعراض الهبوط والتعب الشديد .

ولكنه لم يلبث أن وجد في نهاية الامر وبعد التجربة أنه واهم ، وأنه كان يسعى الى سراب ، وأنه عاش لملوبة كبرى فاعترف في نهاية الامر بأعطار الكوكايين ، وبأنه فشل كمعالج لحالة ادمان الأفيون . .

كوكا كولا بالكوكايين . . . !

وكان للكوكايين في أمريكا في نفس الفترة ، أي خلال القرن التاسع عشر قبول عند الجمهور ، وشيوع ورواج كمعالج لكثير من الآلام ، وكان يُضمّن في كثير من الوصفات الطبية . وكان أكثر استخداماته وأصمها وأكثرها شيوعا استخدامه في مشروب الكوكا كولا الأصلي الذي كانت تدخل في تركيبه مواد نكهة مستخلصة من أوراق الكوكا .



المخدرات بواسطة الحقن ، النوع الأكثر شيوعاً

آثار الكوكابين على من يتعاطاه :

إن الكوكابين تخرق فائق القوة يمكنه أن يحدث تغيراً واضحاً في الحالة النفسية والسلوكية ، لمن يتعاطاه ، أي في حالته النفسية وفي وظائف أعضاء جسمه ، وهو بطبيعة الحال تغير وثأثير إلى الأسوأ .

وخلال التاريخ كانت أوراق الكوكا وهو النبات الذي يستخرج منه الكوكابين كما أسلفنا ، تستخدم كأحد المعطيات الطبيعية للطاقة ، فقدره النبات على تقليل الاحساس بالجوع والتعب وحفز النشاط العضلي كانت شيئاً معروفاً، وهو تأثير يعتقد البعض أنه يرجع إلى ما يصاحب تعاطي الكوكابين من زيادة الحامضية في الدم وتنشيط عملية تحويل المواد الكربوهيدراتية في الجسم إلى الطاقة ..

ومع ذلك فإن البحوث التي أجريت في هذا الصدد لم تصل إلى علاقة مباشرة توضح أثر الكوكابين على أعصاب الحركة والعضلات .

إن الكوكابين كمعطر تخرج عنه أتران مختلفان وغير متصلان . أما الأثر الأول فهو أنه يعمل كمخدر موضعي فيقتسب في إيقاف توصيل الاشارات الكهربائية والنهضات في الألياف العصبية لفترة قد تتراوح بين عشرين دقيقة إلى أربعين دقيقة ، وذلك لقدرته على التدخل في حركة أيونات الصوديوم خلال الغليظة العصبية . أما الأثر الثاني أو الفعل الثاني فهو أنه منه ومنشط

قوي للجهاز العصبي المركزي ، وهذا التأثير على الجهاز العصبي المركزي هو الذي يخلق الانتعاش الوتقي والشعور بالثارة ، ويمثل الحافز الأساسي والدافع الرئيسي لتعاطي مخدر الكوكابين .

الآثار العضوية والجراحة المميتة !!!

وإذا نظرنا إلى أثر الكوكابين على التعاطي من الناحية الفسيولوجية أي من ناحية وظائف أعضاء الجسم ، فالتأثير نجد أن له أثراً سيئاً جداً بل شديد السوء .

إن الكوكابين يسبب زيادة في سرعة التنفس وسرعة النبض ، وعدم انتظام دقات القلب ، وانقباض الأوعية الدموية وانكماشها ، وارتفاع ضغط الدم ، وارتفاعاً في درجة حرارة الجسم ، وتصبب العرق ، واتساع أنسان العين واتساعها وتمتدحه ، وارتفاع الالتهاب ودرجة الساتين .

ونظراً لأن مقعول الكوكابين قصير الأجل فإن تعاطي المخدر يتكرر عدة مرات في اليوم الواحد ، وبذا يمكن أن تصل الكمية التي يتعاطاها الفرد في مجموعها إلى عشرة جرامات في اليوم الواحد .

وجرحه الكوكابين المميتة أي التي تؤدي إلى الموت هي جرام وربع تقريباً من المخدر ، وذلك إذا تم تعاطي الكمية كلها مرة واحدة ، والموت في هذه الحالة يرجع سببه إلى القصور الشديد في عملية التنفس .

القلق والهلوسة ومرض العظمة الكاذبة :

غالبا ما يؤدي تعاطي كميات كبيرة من الكوكايين وتواصل عادة تعاطيه الى القلق والهلوسة والأرق والسهاد ، وإلى الشعور الكاذب بالقوة والتفوق ، وإن هذا الشعور بالقوة وهذه الهلوسات الحسية والسمعية والبصرية التي يؤدي إليها الإفراط في تعاطي الكوكايين تكون نتيجتها أن يصاب المتعاطون لهذا السم وخاصة من يتعاطونه عن طريق الحنف بمرض يطلق عليه اسم مرض « العظمة الكاذبة » .

إنهم يصبحون غير اجتماعيين وخطرين على من حولهم وعلى المجتمع الذي يعيشون فيه ، ويتواجدون في رحابة . إن قدرتهم في الحكم على الأشياء وتقديراتهم تختل، كما تحدث في بصيرتهم ، وإدراكهم الحسي تغيرات سريعة إلى الأسوأ . إن شخصيات المتعاطين للكوكايين عتبر بشدة ، ويرز إلى السطح كل ما لديهم من صور الكبت وكل المخزون والمدفون في حنايا نفوسهم من طباع مكبوتة ممنوعة لا يرضى عنها المجتمع .

أما من ناحية السلوك الاجتماعي والسلوك مع الأقران والزملاء ، فإنه يتميز بالعدوانية والتهميم كما تصصف تصرفاتهم بعدم الثبات والخلل ويستولي عليهم الغرغ والهلح لغير ما سبب معقول .

وفي النهاية يكون الشعور العام لمتعاطي الكوكايين هو انقباض النفس والقلق والاضطراب والكآبة والركود النفسي وانحطاط الروح المعنوية .

أعمال العنف :

إن الكوكايين عتار شديد السمية وخاصة على المخ الذي يصبح من تأثير هذا السم مزدهما بالأوهام والفرحات ، فمتعاطي الكوكايين ينشأ لديه شعور بأن الحشرات تزحف على جسمه ، ويأن الناس يتحدثون عنه ، وبأنه مراقب من الجميع ، وأن هناك حيونا ترصد حركاته وتحركاته وتتعب خطواته ، بل يعتقد أن هناك من يدير لقلته .



مراهق يدخن الكوكايين

وعادة ما يحمل مدمن الكوكايين سلاحا ، ولتحت تأثير الوهم الذي يملأ رأسه ويسيطر عليه يصبح قادرا على استخدامه . وإن التقارير الطبية وتقارير رجال الأمن ومكافحة المخدرات توضح وتتضمن الكثير من أعمال العنف التي ارتكبتها وارتكبتها المتعاطون للكوكايين وخاصة من يفرطون في تعاطيه .

الكوكايين والإدمان :

والآن نأتي إلى نقطة هامة وإلى سؤال مهم مطروح ..

هل يسبب الكوكايين الإدمان لدى متعاطيه ؟؟
هل يسبب الكوكايين الاعتماد الطبيعي على المخدر ؟؟

وفي الإجابة على هذا نقول إنه على الرغم من أن

● الكوكايين شبيهاً للمخدرات

الإثارة . ويشعر المتعاطي بأنه قوي مبتهج يمكنه أن يقوم بأي عمل وأن يفعل أي شيء ، ويتخلص شعوره بالتعب كما يتنابه شعور بالقوة والغنى .

هذا الاحساس بالابتهاج والفرحة يستمر من حوالي خمس وأربعين دقيقة الى ساعتين تبعاً لنوعية الكوكايين الذي يتم تعاطيه . وعندما تضمحل الآثار الأولى للمخدر تبدأ آثار الهبوط والكآبة والتعب والانقباض النفسي في الظهور على المتعاطي . ويتسبب الصداع والشعور بعدم الراحة والركود النفسي في رغبة قوية في الصعود مرة أخرى الى قمة البهجة ...

وبذلك وعلى الرغم من أنه لا ينشأ اعتماد نفسيولوجي على المخدر إلا أنه ليس من الصعب أن ندرك الرغبة في استمرارية التعاطي للمخدر التي توضحها هذه الصورة التحليلية والتي جاءت في إحدى الدراسات النفسية التي نشرتها المجلة الأمريكية لعلم النفس .

معالجة التسمم بالكوكايين :

إن معالجة التسمم بالكوكايين تتم على أساس وصف العلاج المناسب لحالة المريض . فالقلق الزائد من تأثير تعاطي العقار يمكن علاجه بإعطاء المريض المهدئات مثل الفاليوم .

وفي حالة تعاطي الجرعات الزائدة وما تسببه من آثار صعبة قاسية مؤلمة ، وضيق شديد في التنفس يعالج المريض في المستشفى الخاص مع عناية مركزة من ناحية التنفس . وبعد العلاج العضوي يتم العلاج النفسي ... □

المتعاطي للكوكايين يتكون لديه اعتماد نفسي قوي على الكوكايين إلا أن استخدام العقار لا ينتج عنه اعتماد طبيعى كما يحدث في حالة من يتعاطون الأفيون والميرون والمورفين ، ولا يتعرض المتعاطي لأعراض جانبية خاصة لدى الامتناع عن تعاطيه . ومعنى الإدمان، أي الاعتماد الطبيعي على المخدر أن المدمن يصبح أسيراً للمخدر فلا يمكنه أن يستغنى عنه ، أو يعيش بدون ، وإذا لم يجده وإذا لم يتعاطه يتعرض للألام مبرحة وأعراض مفاجئة تؤدي به الى الموت ...

ونظراً الى سرعة تمثيل الكوكايين في الجسم فإن كميات كبيرة منه يمكن تعاطيها في وقت قصير نسبياً ، وليس هذا دليلاً أو إشارة الى الاعتماد الطبيعي على المخدر وعلى الرغم مما يبدو من أن تعاطي الكوكايين لا ينتج عنه اعتماد طبيعى ، إلا أن هذا المخدر يتميز باتجاه قوي من جانب المتعاطين للاستمرارية في استخدامه وتعاطيه ، فهو يتسبب في إيجاد مستوى عال من الاعتماد النفسي لدى المتعاطي ، وعادة ما ينتج عنه نوع من أنواع الافراط للمدمن ...

وهذه الصورة غالباً ما يصعب فهمها حيث أن كثيراً من الذين لا يسرفون في تعاطي المخدر ويتعاطونه بين حين وحين يقررون أنه لا تتكون لديهم عادة الإدمان . ومع ذلك فهناك تقارير لا حصر لها عن الافراط في استخدام الكوكايين . ما هو التفسير إذن ؟؟

الذي يحدث أنه بعد تعاطي العقار بفترة قصيرة تنتج حالة من فقدان الحساسية في فراغ الفم ، وغالباً شعور بأن اللسان غير موجود بحيث تلك احساس بالندف في الجسم كله ثم إحساس بدرجة عالية من



فاجنر

□ المعرفة تؤدي إلى الصداقة ، والحقيقة تؤدي إلى النور .

(جوليو كورى)

□ لا قيام للفن الحقيقي إلا إذا كان بشيراً بحياة أفضل يتمتع بها جميع البشر .

(فاجنر)

حكايات ..

في الأدب والفن والتاريخ

بقلم : الدكتور عبد الحميد يونس

يعد الدكتور عبد الحميد يونس الذي فقدناه منذ شهرين واحدا من رواد الأدب الشعبي ، وأول من أدخل دراسة علم الفلكلور وفق مناهج البحث العلمي في الجامعات المصرية والعربية الأخرى . ولقد خلف للمكتبة العربية عددا من الكتب والدراسات عن الحكايات والفنون الشعبية ، بالإضافة إلى موسوعة الأدب والفنون الشعبية .

و « العربي » التي كانت واحدة من المجلات العربية التي تلقت انتاجه ، تنشر آخر مقالاته لها ، عن حكايات في الأدب والفن والتاريخ .

وكان الذهب من أقدس ما في الأرض من معادن . ولذلك نجد مكاته في تراث الشعوب ، على اختلاف أوطانها ، ومعتقداتها ، ومراحل ثقافتها ، ومن الشواهد على ذلك أن بعض القبائل ، في جزر الهند الغربية وأمريكا الوسطى ، تعتقد أن للذهب روحا ، ولذلك فرضوا على أنفسهم كثيرا من المحظورات ، حتى لا تنفضب عليهم تلك الروح وسجل بعض الدارسين أن العاملين في مناج الذهب في بعض المناطق يحرصون على تلاوة دعاء خاص قبل استخراج هذا المعدن النفيس . ومن المعتقدات السائدة قديما أن الشمس هي التي وهبت الذهب لونه الجميل ، وبريقه الخلاب ، ومن ثم فلا يعتمد بريقه من نور الشمس ، ويعد مصدرا للحب والحسب والنها .

لا يزال الذهب هو المعيار الأساسي في وسيلة التعامل بين الناس في المجال الاقتصادي ، وهو الركيزة الأساسية لقدرة دولة ، أو مجتمع على التعامل في المجال الدولي . ولا يقوم ذلك على حصيلة التجربة الانسانية الواقعية في المجال الحضاري ، وإنما يقوم أولا وقبل كل شيء ، على ارتباطه ، منذ أقدم العصور ، بالأساطير . ومن الضروري أن نعيد من الدراسات الميثولوجية الحديثة التي لا تعد الأسطورة مجرد خرافة ، ولكنها كانت المرحلة الأولى في الفكر الانساني ، وهي التي فسرها الانسان مظاهر الحياة والطبيعة والكون ، ولذلك وجدنا أن الذهب ارتبط ، منذ القدم ، ارتباطا وثيقا بالعقائد الدينية ، وما يتصل بها من طقوس .

الامارات البغدادية

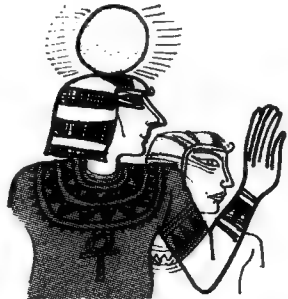
اتسمت رقعة العالم الاسلامي ، وازدهرت حضارته ، واشتهر كثير من حواصمه ومدنه ، بيد ان بغداد التحقت لها مكانا بارزا بين هذه العواصم ، حتى اصبحت في خيلة المسلمين والعرب رمزا للصقل الحضاري في قمة تاريخنا الوسيط . وكلما تذكرنا العصر الذهبي ، وجدنا بغداد هي التي ترمز إلى تلك المرحلة المزهرة ومن اسم هذه المدينة وجدنا لفظا يعبر عن الفخر بالتساب الانسان اليها ، وفي معاجنا لفظ تبغد فلان أي انتسب الى بغداد وتشبه بأهلها ، وعليه زها وتكر ، لأن الانتساب إلى هذه المدينة ظل مزية ، يفاخر بها صاحبها ، ويتصور أنه ارقى وأصل من الناحية الحضارية ، التي جعلت بغداد هي المعلم الأول في العصر الذهبي في الوطن العربي والعالم الاسلامي .

والدارسون احتفلوا بمرآة هذه المدينة واصولها . وأطلق الخليفة العباسي المنتصور على المدينة التي أنشأها اسم مدينة السلام تيمنا بجنة الخلد ، وكان هذا هو الاسم الرسمي ، الذي يكتب به في الوثائق والسكة والاوزان ، إلخ . واستعملت من الاسم صيغ مختلفة ، وبخاصة بغداد ، وتسميات مثل مدينة أبي جعفر ، ومدينة المنتصور ، ومدينة الخلفاء والزوراء . والاكتناع بأن بغداد هي قصبة العصر الذهبي هو الذي دفع الخليفة المنتصور إلى أن يشيد قصرا على نهر دجلة ، تحيط به بستين فسحة ، وأطلق عليه اسم قصر الخلد تيمنا بجنة الخلد ، ودفع الخليفة هارون الرشيد أيضا إلى تشييد قصر الرصافة . واتسمت رقعة بغداد بسرعة ، فكثر مبانها ونشطت فيها الحركة التجارية ، وازدادت ثروة وسكانا ، وتكالب الناس على السكنى في شرقي بغداد ، إذ اجتذبهم هبات المهدي ، ثم عطايا البرامكة الذين كان لهم حي خاص في بغداد .

وتنفي الشراء - وهم لا يزالون يتفنون إلى الآن - بجمال بغداد ، ووصفوها بأنها جنة الله في أرضه . وقد اشتهرت ببساتينها الرائعة وريفها النضير ، وتصورها الفخمة الشاحنة المزينة بزخارف فلغرة على الابواب وفي القاعات ورياشها البديعة الثمينة .

وسجل المؤرخون أن الذهب لم يكن مجرد معدن نفيس ، له قداسته ، ولكنه كان عنصرا حيا عند الفراعنة ، ومن هنا ساد الاعتقاد بأن الذهب هو سائل الشمس الحامي ، الذي يجري في عروقهم . وبالقوا في استعمال الذهب ، لأنهم رأوا أن عوامة الحياة اليهم بعد الموت وعلودهم يقتضي إصعاد الوسائل المادية التي تحقق لهم هذا الهدف . ومن أهم الأساطير القديمة ، التي تدل على ارتباط الذهب بالحياة ، أسطورة ميداس ملك فريجيا بآسيا الصغرى ، فقد كان هذا الملك يمشق الذهب أكثر من أي شيء آخر ، وكان يفتنيه ، ويخترنه في الطابق الأسفل من قصره ، ولقد اعتاد ان يقضى ساعات طويلة كل يوم ، يتطلع إليها الى ذهبه ، ويتفزل فيه ، كما يتفزل العاشق في محبوبته .

وتسجل الأسطورة أن ميداس غنى أن تمنحه الألهة القدرة على تحويل أي شيء يلمسه إلى ذهب ، وتحقق أمنيته ، وفرح عندما وجد أن كل شيء يلمسه في قصره يتحول إلى ذهب . وما لبث أن اكتشف أن طعامه وشرايه قد تحولوا إلى ذهب خالص ، وأدرك أنه سوف يموت لا محالة وكانت المفاجأة الكبرى عندما زارته ابنته ، تشكو إليه أن ازهار الحديقة كلها قد صارت ذهبا . ولما انحنى عليها ليسري عنها ويقبلها تحولت إلى تمثال بارد من الذهب . وتقول الأسطورة إن الملك ميداس استطاع أن يتخلص من هذه اللعنة باستحمامه في مياه ينبرج يقع عند مصب احد الانبار . وحل منه بعض الماء وصبه على ابنته ، فعادت إليها الحياة ، وأدرك الملك ميداس أن هناك اشياء أضمن بكثير من الذهب .





وأصبحت بغداد مدينة دولية ، لأن سكانها كانوا أغلظا من شتى الأمم والألوان والتحل ، ومن وفدوا إليها من أجل المصل والتجارة ومن المجتدين والارقاء ، أو ممن جاءوا لممارسة مهن أخرى ، واستمرت بغداد من أعظم مراكز الفن والعلم والادب على مدى التاريخ ، وأدى ذلك ، إلى أن يحتفل بها التراث الشمي ، وأن تجد ذكرها في هذا التراث على اختلاف مجالاته . والدارسون المتخصصون استصاوا ، وهم يملون و ألف ليلة وليلة ، أن يضموا أصابعهم على الامارات اليفسادية في الكثير من تلك الليالي ، وأن يجدوا القصص الشمي يتخذ من الخليفة هارون الرشيد بطلا ممتازا ، يتجاوز الواقع التاريخي إلى الخيال الشمي .

الرشيد في الخيال الشمي

يلذكر الزركلي في معجم و الأعلام أن هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣ هـ) (٧٦٦ - ٨٠٩ م) ابن همد المهدي ابن المصور العباسي ، أبو جعفر : خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق ، وأشهرهم . ولد بالمرى ، لما كان أبوه أميرا عليها وعلى خراسان ، ونشأ في دار الخلافة ببغداد ، وولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية ، فصالحته الملكة ايريني وانقذت منه مملكتها بسبعين ألف دينار، تبعث بها إلى خزانة الخليفة في كل عام . ويروي بالخلافة بعد وفاة أخيه المهدي سنة ١٧٠ هـ ، فقام بأعبائها ، وازدهرت الدولة في أيامه . واتصلت المودة بينه وبين ملك فرنسا كارلوس الكبير الملقب بشارلمان ، فكانا يتهايان التحف . وكان الرشيد عالما بالادب ، وأخبار العرب ، والحديث ، والفقه ، فصبها له مشعر ، وله محاضرات مع علماء عصره ، شجاعا كثير الغزوات ، يلقب بجبار بني العباس ، حازما كريما متواضعا ، ينجح سنة ويغزو سنة ، لم ير خليفة أجود منه ، ولم يجمع على باب خليفة ما اجتمع على بابيه من العلماء والشعراء والكتّاب والتعلماء . وكان يطوف أكثر الليالي متكررا . قال ابن دحية : « وفي أيامه كملت الخلافة بكرمه وعذله وتواضعه وزيارته العلماء في ديارهم » . وهو أول خليفة لعب بالكرة

والصولجان . له وقائع كثيرة مع ملوك الروم ، ولم تنزل جزيتهم تحمل إليه من القسطنطينية طوال حياته . وهو صاحب وقعة البرامكة ، وهم من اصل فارسي ، وكانوا قد استولوا على شؤون الدولة ، فقلق من تحكمهم ، فلوقع بهم في ليلة واحدة . واخبره كثيرة جدا . ولايته ٢٣ سنة وشهران وأيام .

توفي في ستاباد من قرى طوسي ، وبها قبره . وأهم ملامح شخصية هارون الرشيد إحساسه بالملك ، فقد ولد في قمة الكيان الاجتماعي ، ولد أميرا ، وقدر عليه أن يكون مجاهدا في سبيل الدولة ، ووليا للمهد ، ثم خليفة للمسلمين . ومع أنه من بني العباس الذين قضوا على البيت الأموي ، فقد ورث تقاليد الملك . وكان المحيط الذي يدرج فيه ، إنما يصدر عن ذلك الصراع التظليدي بين الأخوة ، وما يمكن أن يتشب من خصومات بين الاعمام وأبناء اخوتهم . ولا فرق هناك بين ملك القسرب من القيصرية في دمشق ، وآخر كادت تظلمه الكسروية

الوضوح . بيد أن الشخصية العربية إنما تبرز ملامحها في الأدب ، بصفة عامة ، وفي الشعر ، بصفة خاصة . وللشعر العربي أصالته في الاحتفال بالجانب الموسيقي للكلمة ، ولذلك يجمع مؤرخو الأدب على أن اللغة العربية هي أولى اللغات التي كانت تصر على اعتبار القافية الصحيحة عنصراً أساسياً في صوغ الشعر . كانت كل قصيدة من قصائده لابد أن تبدأ باليكاء لفراق محبوب أثارت ذكره نظرة إلى مابقي بعده من أطلال ودمع .

ولما رحل الشعر العربي إلى المدن ، ثبتت دعائم الحب أكثر من قبل ، واكتسب الشعر رقة جديدة ، حلت محل صراحة البادية في إظهار الحب ، كما حلت محل القصائد الشعرية المطولة مقطوعات غنائية قصيرة ، يميز فيها الشاعر عن عواطفه ، ويظهر فيها شخصيته .

ونجد في الشعر الشعبي ما يشبه الطفرة التي أثمرت جنساً أدبياً في مجال الغناء وهو الموال . ونحن جئنا نعلم أن الموال ضرب من الأغاني الشعبية . وتقول الرواية إن هذا النوع من الشعر ابتكره أهالي

في بغداد ، كلاهما شرف موروث ، يتناحر عليه أبناء الأسرة الواحدة ، ويتحارب دونه الأخوة ويتو الأعمام . ولقد أفاد هارون من هذا الجو . ناظره أخوه ابن أمه وأبيه ، واحتمل خوفه وحرصه ، ووجد النصارى الذين يكتون له ، حتى انقادت له المقادير ، وكان التحول من الاسم « هارون » إلى اللقب « الرشيد » بمثابة التحول من الخلافة إلى الملك ، وجمعت شخصيته ، بصورة متناقضة حيناً ومتكاملة أحياناً أخلاقيات شيخ القبيلة ، والخليفة الرشيد والملك الذي يستند إلى الحق الإلهي والشرف الوراثي .

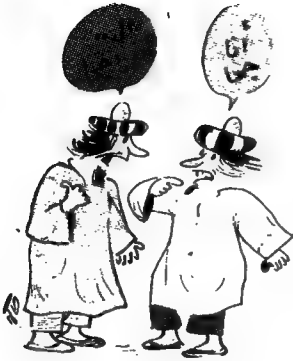
وإذا كان الوجدان الشعبي قد انتخب هارون الرشيد دون غيره ، فلذلك لما أدركه فيه من الفضائل التي أراد تجسيمها وتصعيد الأفراد إليها . ومنها اختلف أصحاب المذاهب حول شخصية وفعاله ، فإنه كان نموذجاً يصلح للانتخاب والتمثيل . ولقد اختلف في الحكم عليه بعض ، فوجدنا من يشده ويحرمه ، ولكنه علم ، سجلت عليه فضائل الفكر العربي والحضارة الإسلامية . كان بمثابة القمة من التاريخ الإسلامي ، وكان الممثل لما أسهم به العرب والمسلمون في بناء حضارة الإنسان ، وكان الشرق في أيامه هو الذي انتهى إليه السلطان . ومن هنا اقترن اسم الرشيد بالشرق وسحره وفنته . واختير هذا اللقب كان له أثره في الحكم على سلوك هذا الخليفة ، واشتهاره بغلبة الحكمة والتعقل والاعتزان . وظلت هذه الشخصية محفورة في ذاكرة الشعب العربي ، يتخذها نموذجاً في السلوك ، كما يجعلها مثلاً للأنسان العربي ، وأسبغ الشعب عليه ما يطمح إليه من حكمة وعدالة ومجد . والرشيد من أهم الروائع التي لازالت حية ومؤثرة في المأثورات الشعبية .

الأدب والشخصية العربية

تلك مجرد النظرة إلى مسار الحضارة في الشرق الإسلامي ، وهذه الانشغالات فيها من سمة الألق ما يستوعب جانباً من التقدم الإنساني الزاهر ، وساحة كبيرة من العالم الإنساني في فجر العصور الوسطى .

والمؤرخون يضعون أصابعهم على التقدم الفكري في مجال الفلسفة والفكر ، وهو على قدر كبير من





له صحة ما ادعاه من رجاحة عقلها، وتمدد مواهبها . وقام باختبارها نفر من العلماء، فاجابت على جميع ما وجهوه إليها من أسئلة في علوم الدين والنجوم والطب واللغة، واستطاعت أن تحل جميع الأحاجي التي طرحت عليها، وأظهرت براعة تامة في لمعي الشطرنج والترد، وأبدت مهارة فائقة في المزف على العود . ثم وجهت إليهم بدورها أسئلة كثيرة، عجزوا عن الرد عليها . وعند ذلك طلب منها الخليفة أن تتولى عليه، فتضمنت أن يرد لها لسيدها، فقبل، وخلع عليها خلعاً، واتخذ سيدها نديماً له .

ومها رد الباحث في غلبة الاختيار والمغالا فيما سجل، أو روي عن أسطورة العصر الذهبي، كما شخصها هارون الرشيد فان الاهتمام بالتراث الشعبي الحي المتطور، وبالعراقة فيها يحفظ به الشعب في ذاكرته من معرفة وفن وأدب يستبج بالضرورة أن نضيف إلى التاريخ، بمهجه التقليدي، ما جبر الشعب العربي من ناحية، والعالم من ناحية أخرى، وما جعل هذه الأسطورة تسم بالسر والروعة . وتنت في الوقت نفسه تبادل التأثير والتأثير بين مختلف القوميات والمعصور . □

واسط، ولكن أهالي بستان هم الذين طوروه . ويقال إن هارون الرشيد لما نكب اليرامكة حرم البكاء عليهم أو رثاءهم، ولكن الوفاء حل جارية لجعفر حل أن تنظم في كل يوم مرثية لمولاها، وكانت في نهاية كل موشع تصبح « يأسواليا » . ومن هنا أطلق اسم مواليا على هذا النوع من الشعر . والموال سمي من المواليا .

وتطور الموال، وانقسم إلى ضريين، هما الموال الأحمر، ويتناول موضوعات الحرب، والموال الأخضر، ويتناول موضوعات الحب . وفي جميع الحالات يجب أن يكون الموال باللهجة العامية الدارجة .

جحا . . والألفاز والأحاجي

هناك شخصية عربية بارزة، ظهرت في عصر هارون الرشيد، وهي شخصية جحا . وبلغ من عالمية هذه الشخصية أن العلماء كثيرا ما يغلطون بين شخصيتين قوميتين : بين جحا العربي الذي ينسب إلى قبيلة فزارة، والذي قيل إنه عاش في عصر هارون الرشيد، والذي أثرت عنه أقوال أصبحت على ألسنة الناس أمثالا سائرة، والذي اشتهر بمواقف وتصرفات، سجلت على أنها من النوادر والملح .

وبين جحا الرومي الذي قيل إن اسمه نصر الدين عوجبة، وعاش في عصر السلاجقة . ومن اليسر أن يضع الدارس خطأ فاصلا بين هاتين الشخصيتين . ونحن نعلم أن جحا العربي يحفظ في جميع أقواله وتصرفاته بمقومات المزاح العربي، وأنه معروف في الليثات العربية كلها بالاسم نفسه، لا يصيبه من التحريف إلا قليل، يمثل به المتعلمون وغير المتعلمين في الحواضر والبادي على السواء .

ومن أهم أجناس الأدب الشعبي « الألفاز والأحاجي » ومن روايتها مسعود في « ألف ليلة وليلة »، وهي أيضا فيها يذكر الرواة، وفيها تسجل الحكايات رائعة عالمية . هي حكاية تودد الجارية . وتروي الحكاية أنها كانت جارية لتاجر ضاح ماله، فطلبت منه أن يمرضها على هارون الرشيد ليشتريها، لأنها تجمع بين الجمال والذكاء، وقيل الخليفة أن يشتريها بالثمن العالي الذي طلبه إذا ثبت

الذي من بطلع على التراث الجغرافي العربي يدرك الاتساع الكبير
المعرفة الجغرافية التي كانت في يد العرب. وقد ظلت الجغرافية العربية
فيها لا تنفد في كل عصر في بحث والاطلاع ، عن مناطق العالم
والبحر ، والاسواق ، بيانات غزيرة ، جديدة ، شاملة عن
التي كان من شأنها ان يكون لها دور كبير في الجغرافيا الحديثة

ولا شك في أن هذه الحركات الإسلامية ، وما إليها حالياً ، وميثاق الديين عند أنفسهم
والأنشطة التي تقوم بها هذه الحركات ، هي أقرب من كراتشي الحالية . أما موافق
كانت من أهم المبادئ التي كانت راسخاً في نفوسهم ، فهي :
الإمام الجفرائي الإمامية ، التي كانت راسخة في نفوسهم ، فهي :
ولم تفت الفتوحات الأولى في عصر خلافة الإمام علي بن أبي طالب ،
حتى أصبحت الدولة الإسلامية ، فقد كانت راسخة في نفوسهم ، فهي :
الكبرى والسودان في المنطقة جنوباً ، والحدود الشمالية ،
شمالاً ، والمحيط الأطلسي غرباً إلى
شرقاً .
وقد نشطت الحركة
الأفكار الأفريقية الواقعة
والغربية ، وكذلك مع البلدان
كانتون . بل وقد أنشأ الرعاة الم
التي كانت مثل مياه ، قلا ، ش

أفريقيا
الأول
وشر

الدين

كل امرأة يتوفى عنها زوجها ، وتمنعهم لأهلهم
ونظام الطبقات الذي يقسم المجتمع إلى متبوذين وغير
متبوذين .

رحلة ابن خرداذبة

وعلاوة على الرحالة سابقى الذكر ، فإن الجغرافي
الشهير « أبا القاسم حبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة »
الفارسي الأصل المتوفى في عام ٣٠٠هـ = ٩١٢م كان
أول جغرافي قدم للجغرافية العربية معلومات جديدة
وقيمة عن مناطق واسعة في القارة الآسيوية ، وذلك
بحكم عمله في البريد إبان حكم الخليفة العباسي
المعتد ، وكان والده من قبل والياً على طبرستان
جنوبي بحر قزوين .

ويصف لنا « ابن خرداذبة » في كتابه « المسالك
والممالك » بالتفصيل الطريق البحري من عدن ،
وموانيء الخليج العربي حتى البحر الأصفر بالصين ،
حيث يصف ميناء « خانفو » العظيم ، وحاصلات
الصين ، وأهبارها . وقد أمدنا بمعلومات قيمة عن
بلاد تقع خارج الصين ، مثل « كوريا » وجزر
« الواق واق » التي من الجائز أن تكون هي جزر
اليابان ، بينما يعتقد بعض بأنها زنجبار ، وكذلك
أورد معلومات مثيرة عن جزر المحيط الهندي ، مثل
« سيلان » التي كانوا يسمونها « سرنديب » ، وسجل
لنا بها شاهده وسمعه من الفرائب والمجانب ، مثل
الأسماك الطائرة ، والحيثان التي يبلغ طولها مئات
القدمات ، ووحيد القرن والفيل . وتحدث عن
اليوفيين وعاداتهم ومعتقداتهم . وقد تحلل ذلك كثير
من الخرافات التي تقبل من قيمة الكتاب .

لكن أكثر الطرق أهمية من حيث الوصف الطريق
الممتد من بغداد إلى وسط آسيا ، وقد أعطانا « ابن
خرداذبة » معلومات مهمة عن الأمم والشعوب
الآسيوية التي تقطن تلك المناطق ، كالأتراك والتتار
والمغول والقبائل التي تعيش في البلاد الممتدة بين
الصين وبحر قزوين مثل الفرغيز . وقال بأن هذه
الجهات تشتهر بالمسك . وبذلك يكون « ابن
خرداذبة » أول جغرافي في العالم كتب عن المظاهر

في الآسيوية
والجغرافية العربية
ويط آسيا حتى حدود الهند
الهند

ومن الذين زودونا بمعلومات جغرافية قيمة عن
وسط آسيا في نهاية القرن التاسع ومطلع القرن
العاشر الميلاديين نذكر « الجيهاني » ، وهو أبو عبد الله
عبد بن أحمد بن نصر ، وينسب إلى « جيهان » في
بلاد ملوراء النهر ، وكان وزيراً في بلاط السامانيين .
ويصف « الجيهاني » بنصفه خاصة سكان
« هندستان » بشكل مفصل .

ومن الجغرافيين الرحالة الذين ساهوا في اتساع
أفق الجغرافية العربية نذكر « الأصبهري » الذي
تكلم في كتابه المشهور « المسالك والممالك » أو
« كتاب الأقاليم » عن التبت وكستان والسهوب
الأوروبية . هذا وقد أملىنا معاصره « ابن حوقل » في
كتابه « صورة الأرض » بمعلومات قيمة عن إقليم
سرقتد ، و« سرجون » ، والمنطقة الممتدة من جبال
طوروس حتى هضبة البامير ، ويصف بإعجاب
شليلد إقليم « الصغد » الذي يقع جنوب شرق بحر
« آرال » . وهو يستغرق - كما يقول - مسيرة ثمانية
أيام ، ويحيز بحبات وحبساتين وحقول الذرة ،
وأنياره وخزائنه ونافوراته ، ولقراءه ومساكنه .

ولعل المسعودي كان أكثر الجغرافيين العرب
الذين كتبوا عن مناطق واسعة في آسيا ، وبخاصة
الأراضي الممتدة من فرغانة حتى بحر قزوين وبحر
أرال . وقد اعتمد في معظم كتاباته عن تلك المناطق
على رحلاته ومشاهداته لمعالم تلك المناطق وأحوالها
وأوضاعها .

رحلة ابن فضلان إلى روسيا

ربما كان من أهم الرحلات العربية إثارة في القارة
الآسيوية تلك التي قام بها « ابن فضلان » ، وسجلها
في مؤلفه الذي أطلق عليه اسم « الرسالة » . ففي
عام ٣٤٩هـ = ٩٦١م أرسل الخليفة العباسي المعتز
بأله سفارة إلى الروس ، وكان يطلق عليها اسم

ابراهيم اللواتي - نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر -
 (٧٠٤ - ٧٧٩ هـ = ١٣٠٤ - ١٣٧٧ م) كانت أكثر
 الرحلات شمولاً ، لأنها زودتنا بمعلومات قيمة ،
 وبيانات غزيرة عن أقطار آسيوية كثيرة . وقد روى
 ابن بطوطة شهادته وملاحظاته وانطباعاته في كتابه
 "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب
 الأسفار" الذي يعرف برحلة ابن بطوطة .

بدأ ابن بطوطة رحلته قاصداً الحج ، فهو يقول :
 " كان خروجه من طنجة مسقط رأسي في يوم
 الخميس الثاني من شهر المحرم الفرد عام خمسة
 وعشرين وسبعماية (٧٧٤ هـ) متجداً حج بيت الله
 الحرام ، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة
 والسلام ، لكن ابن بطوطة لما لبث أن انطلق بعبه إلى
 الأندلس والتجوال في أقطار العالم المعروف ،

والتجوال في بلاد المغرب ، وشبه جزيرة العرب ،
 والهند ، وبلاد الصين ، والهند ، والهند ،
 زحلت ابن بطوطة زحادته وعشرين سنة . وكان
 أكبر رحاله حرفة التاريخ أن ذلك الذي قيل بأنه قطع
 ما بينه على سائر رحلته ، وبلغ ألف ميل ، مما جعله
 أكبر منافس للرحالة الذين قد ملوك بولو ، الذي كان

عاصر قدامه . وقد انكب على دراسة رحلات ابن بطوطة لما حوته من
 معلومات وبيانات قيمة ، وحقائق جغرافية مهمة عن
 سكان الأقطار التي زارها ، وعاداتهم وتقاليدهم
 وعقائدهم ، ونظم الحكم عندهم . لقد وصف ابن
 بطوطة سكان الهند والصين وشعوب وسط آسيا
 والمحيط الهندي . وكان أميناً في سرد أقواله ،
 وبيانات رواياته بالطريقة ، وبخاصة حينما يصف
 عادات الشعوب وعاداتها وتقاليدهم القريضة ، مثل

عادات إقامتهم في الهند في بيوتهم ، نفسها إذا مات
 واحد منهم ، ذلك يقول :

من أخصب ما يرسل من بلاد الهند ، ولذلك جلبوا
 من أخصب ما يرسل من بلاد الهند ، ولذلك جلبوا
 ضم الوفدة ، أحمد بن فضل الله الذي قام بتسجيل خط
 السير ابتداءً ببغداد ومروراً بجهنم والري ونيسابور
 ومرو وبغداد ، ثم بمحاذاة نهر جيحون (الموداريا
 حالياً) إلى خوارزم عند بحر أرال الذي كان يظن
 عليه اسم بحيرة خوارزم . ثم عبر « ابن فضلان »
 مضيق « المست أورد » بين بحري قزوین ولؤل
 حتى حوض نهر الفولجا .

وترجع بحرية رسالة ابن فضلان لأنها تعطينا أول
 صورة يمكن الاعتماد عليها عن روسيا في المصور
 الوسطى . لقد استطاع « ابن فضلان » أن يصف لنا
 بدقة - من واقع اهتمامه وإحساسه الجيد - الاستبس
 الواسعة التي قطعها أثناء الرحلة . وقال عن سكانها
 بأنهم أكثر خلق الله جهلاً ، وهم على عكس حكامهم
 من البلغار . لقد طلقوا على الروس ، وهم سكان

البلد ، والروس ، والروس ، والروس ، والروس ،
 المستشرقين الروس على دراسة المؤلفات العربية عن
 البلاد التي تقع حالياً في جنوب الاتحاد السوفيتي
 وبخاصة المستشرقين « فاسيلي فلاديميروفتش
 بارتول » ، مؤلف كتاب « تركستان من الفتح العربي
 إلى الغزو للغول » ، الذي ترجمه إلى العربية صلاح
 الدين عثمان هاشم ، ونشره المجلس العلمي والثقافة
 والفنون والآداب بالأكاديمية سنة ١٩٨٦ م .

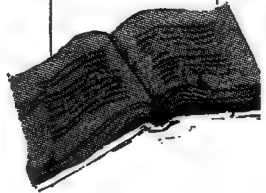
ووصف ابن فضلان طغوس الوفدة عندهم ، فقال
 بأن الروس - سواء كانوا قراء أو أمميين - يرقون
 موتاهم . وقد جرت العادة أن يموت الرجل بحض
 إرادته حالما يموت زوجته . هذا وقد انكب بعض
 المستشرقين الروس على دراسة المؤلفات العربية عن
 البلاد التي تقع حالياً في جنوب الاتحاد السوفيتي
 وبخاصة المستشرقين « فاسيلي فلاديميروفتش
 بارتول » ، مؤلف كتاب « تركستان من الفتح العربي
 إلى الغزو للغول » ، الذي ترجمه إلى العربية صلاح
 الدين عثمان هاشم ، ونشره المجلس العلمي والثقافة
 والفنون والآداب بالأكاديمية سنة ١٩٨٦ م .

ووصف ابن فضلان طغوس الوفدة عندهم ، فقال
 بأن الروس - سواء كانوا قراء أو أمميين - يرقون
 موتاهم . وقد جرت العادة أن يموت الرجل بحض
 إرادته حالما يموت زوجته . هذا وقد انكب بعض
 المستشرقين الروس على دراسة المؤلفات العربية عن
 البلاد التي تقع حالياً في جنوب الاتحاد السوفيتي
 وبخاصة المستشرقين « فاسيلي فلاديميروفتش
 بارتول » ، مؤلف كتاب « تركستان من الفتح العربي
 إلى الغزو للغول » ، الذي ترجمه إلى العربية صلاح
 الدين عثمان هاشم ، ونشره المجلس العلمي والثقافة
 والفنون والآداب بالأكاديمية سنة ١٩٨٦ م .

المعرفة الجغرافية عند العرب في العصور الوسطى

مهمور مأمور البيداری

حكايات
من دفتر
الوطن



بقلم : صلاح عيسى *

« في تاريخ كل وطن .. وفي ثنايا دفتاره .. توجد قصص وحكايات أبطالها مغمورون لم يسمع بهم أحد .. أو أسقط الاعلام أسماؤهم من ذاكرة شعوبهم عن عمد .. فليس مطلوباً أن يحفظ الناس قصص أناس عاديين مثلهم لا يتمتعون بأى فوارق أو معجزات ولكنهم وقفوا ضد الظلم والقهر والقمع .. في دفاتر الوطن أحداث يومية انتصر فيها افراد من عامة الشعب للحق والكرامة والكبرياء .. وهذه صفحة من دفاتر الوطن .. واقعة من تاريخ مصر الحديث .. وعلى الرغم من ان وقائعها ملأت الدنيا ، الا أن المؤرخين والاعلاميين أغفلوا ذكرها كثيراً . على الرغم من أن ذيلها ووقائعها تفوق كل ما يتصور الخيال » .

والعالية !

أسباب كثيرة كانت تحول دون هذا الاشتباك بين الرجلين ، ليس التنازلات الطبقية الشاسع سوى واحد منها ، لكنه أساس معظمها . فقد سبق داسماعيل صدقي « أحد جمعي » في الوجود ، بأكثر من ثلاثين عاماً ، وكان الأول قد ولد عام ١٨٧٥ في الاسكندرية ، وهي مدينة - كانت آنذاك - نصف أوروبية

لم يكن الشيخ « جمعي » حين ميلاد « يتخيل حين رزق بأكبر أبنائه ، « أحمد » - في عام ١٩٠٨ - أن يوماً سوف يأتي ، تشبك فيه غيوط هذا الابن ، بغيوط داسماعيل صدقي باشا - رئيس وزراء مصر ووزير الداخلية ورئيس « حزب الشعب » - وتتداخل قصته البسيطة مع الرواية الضخمة التي كان الباشا الديكتاتور يمثلها على مسرح السياسة المصرية ،



* كاتب وصحافي من القطر المصري

المصرية ، ثم قفز في عام ١٩١٤ فأصبح وزيرا للزراعة ، ثم للاوقاف ، وفي ٢٠ مايو عام ١٩١٥ تخلى عن الحجاب الوزاري ، عقب فضيحة اخلاقية ، مع ابنة أحد زملائه الوزراء ، كان لها دور في قيام الحرب الاولى !

وانتهت الحرب ، فظهر « اسماعيل صدقي » على خريطة « الوفد المصري » الذي شكل آنذاك ليطلب باستقلال مصر . ثم لما قدمته للحلفاء في الحرب من معونة وتأييد ، وكانت البداية مذكرة عن ديون مصر ، كلفه « الوفد » بكتابتها ، كواحد من المشتغلين بشئون المال والاقتصاد ثم اقترح بعض اعضاء « الوفد » ضمه الى عضويته ، فعارض « سعد زغلول » ، وقال ان وضع « اسماعيل صدقي » في القيادة يعطي مثالا للناس ، لانه خرج من الوزارة بفضيحة اخلاقية مدوية ، ثم اضطر « سعد زغلول » للتخضوع لرأي زملائه ، فانضم « صدقي » الى « الوفد » ، وكان أحد الباشوات الأربعة الذين نفوا الى مملكة « بين ٨ مارس (آذار) و٧ ابريل (نيسان) ١٩١٩ » سافروا بعدها الى باريس لمرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح . . وهناك كشف عن نوعه ، فهو - كما يقول في مذكراته - لا يميل الى تحكيم المواطف ، ولا يثق كثيرا بما يسمى بالشعب ، لذلك كان من أوائل الذين دعوا الى التعامل مع الأمر الواقع . ويعبر عن اعتراف مؤتمر الصلح - في معاهدات فرساي - بالحماية البريطانية على مصر ، طالب « اسماعيل صدقي » بأن يتجه « الوفد » للفهم مع إنجلترا . وأن يقبل التفاوض مع « لجنة ملر » ، وهي لجنة تحقيق كانت بريطانية قد اعلنت عن تشكيلها للاستماع الى أسباب شكوى المصريين التي امت الى تورهم ، ولوضع نظام للحكم الذاتي في إطار استمرار الحماية البريطانية على مصر . وفي ٢٤ يوليو ١٩١٩ فصله « الوفد » هو زميله « محمود أبو النصر » ، فعاد الى مصر ، وخفت الأضواء التي لمت حوله كواحد من قادة الحركة الوطنية ، وانضم الى جناح « المعتدلين » من ساسة ذلك الزمان ، وفي عام ١٩٢٢ نجح مع زميله « عبدالحق ثروت » في استصدار تصريح ٢٨ فبراير الذي ألغى الحماية البريطانية ، ومنح مصر استقلالاً ذاتياً مقيداً بعدم التصرف بعيداً عن بريطانيا في أربع مسائل أساسية هي السودان والسليمان ، والامتيازات الأجنبية ، وحقوق الأقليات . وهكذا غرس « اسماعيل صدقي » نفسه على خريطة

معماراً وسكاناً وسلوكاً اجتماعياً ، وولد الثاني في « البداري » إحدى المدن الصغيرة التابعة لمحافظة اسيوط في منتصف الجنوب ، حيث الحياة أكثر جهالة ، وأصعب بما لا يقياس ، ففتان بين الاسكندرية وروس البحر الأبيض المتوسط ، وتلك المدينة الصغيرة التي كانت قريتين كبيرتين ، تتخط حدودهما ، فأصبحتا مشروع مدينة . كان عمتا إذن على كل من الرجلين يحكمان المنشأ أن يحتض طريقاً موازيا لطريق الآخر في الحياة ، وألا يصطدم أحدهما بالآخر ، فبمكس أسرة « جمبدي » التي لم يسبق لأحد منها أن اقترب من السادة ، أو احتك بهم كانت أسرة « اسماعيل صدقي » تحتض بذكريات عن علاقات الود التي جمعتها بعدد من ولادة الأسرة العلوية التي تتوارث عرش مصر . . فقد كان والده « احمد شكري باشا » من كبار رجال الحكومة في عهد « الخديوي اسماعيل » وابنه « الخديوي توفيق » . . وكانت ولادته « فاطمة هاتم » ، كريمة « محمد سيد احمد باشا » رئيس ديوان الأمير « محمد سعيد باشا » - ابن الأمير محمد علي الكبير - وثالث ولادة الأسرة العلوية - وحين ارسل الأمير أول بعثة تعليمية الى فرنسا للتخصص في العلوم السياسية ، كان طبيعياً أن تضم زوج ابنة رئيس ديوانه الذي عاد من البعث ، ليتطلب في وظائف الحكومة ، حتى شغل منصب وكيل وزارة الداخلية في السنوات العشر الأخيرة من عمره ، قبل أن تدركه الوفاة في عام ١٨٩٥ . . وكان منطقياً أن يجد « اسماعيل صدقي » الفرصة ميسرة ليتعلم ويترقى فالتحق بالمدارس الفرنسية بمصر وانتقل منها وهو في سن مبكرة للاستحاق « بمدرسة الحقوق » - معمل تفرغ الوزراء ورجال الادارة في ذلك العهد - وما أن أنهى دراسته العالية ، حتى بدأ رحلة سرية للصعود إلى المناصب العليا ، وقد بدأها وكيلا للنائب العام ، ثم عمل مدة عشر سنوات متواصلة سكرتيراً إدارياً لمجلس بلدية الاسكندرية ، وولياً لقسم القضايا بها !

الصعود

وفي العام الذي رزق فيه الشيخ « جمبدي عبدالحق » بابنه « احمد » - ١٩٠٨ - كان « اسماعيل صدقي » في الثالثة والثلاثين من عمره . وكانت اقدامه قد رسخت في الطريق الى القمة ، فأصبح - وهو ما زال في مقتبل رجولته - سكرتيراً عاماً لوزارة الداخلية : أهم الوزارات

السياسة المصرية ، كواحد من المتصالحين الذين يرون التشدد في الوطنية عمالة لتلك الحشود الكبيرة من «الدخلاء» التي لم يكن - بحكم طبيعته في وسط استقرائي شبه أجنبي - يمكن لها كبير احترام ، فهي تتحرك - في رأيه - بفرانزها لا بعلها ، وبمواقفها وليس بمنطقها .

باشا تحت الطلب

وفي عام ١٩٢٥ أقيمت «إسماعيل صدقي» أنه سياسي محبوب في بعض الملام ، فهو قادر على البش بخصومه ، وعلى إسكانهم ، يملك جلدا على المقاومة ، ولا يستكشف في صراحه السياسي من شيء ، فعين قضت الظروف السياسية التي أحطت مقتل «السحر في ستاك» - سردار الجيش المصري وحاكم السودان - بإقالة الوزارة الدستورية الأولى التي كان يرأسها «سعد زغلول» وحل مجلس النواب الأول - وكانت أغلبية وطنية - وتطلب الانقلاب الدستوري الذي تلا ذلك ، ووزيرا للدخالية ، يستطيع حل مقاومة «الوند» ، وسيطرته المطلقة على الشارع المصري ، وتنفذ - وهو الأهم - على إجراء انتخابات مضمون سلفا لها أن تنبئ «سعد زغلول» وانصاره من الاقضية المتشددين النواحيين إلى الحكم ، حتى يستريح الانجليز ، ويستريح القصر من شغفه وتشده ، هناك تقدم «إسماعيل صدقي» باشا «ليبرز مواهبه الممتازة فاستخدم كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة ، ووضع كل الحائط التي استخدمت فيها بعد لفنتين عملية تزوير لى انتخابات ، فتلصق في الفوازين ، وأمر بتزوير كشوف الناخبين ، ومحاولة شراء ضالصر انصار «سعد زغلول» بللار ورسم خريطة لتوزيع قوات الأمن حول لبنان الانتخابات التي تقدم أنصارا له ، طبقا لعدد هؤلاء الانصار . كانت للمركة صراحا بين مكر «إسماعيل صدقي» ودعائه السياسي ، ومكر هذه الجسور من الدماء والصعاليك الذين يسمون بالشعب . وانتهت للمركة بهزيمة «صدقي» وهزيمة متكررة : تطاهر كثيرون من انصار «سعد زغلول» انهم يؤيدون الحكومة ، فانتفضوا إلى حزبيا ، واستضافوا من امكياتها ، وحين فلزوا بمقاعد مجلس النواب ، كشفوا عن وجههم الحقيقي ، وانتخبوا «سعد زغلول» رئيسا لمجلسهم ، واستطاعوا مرشح الحكومة ، وهكذا جدد الدماء «صدقي» للمرة الثانية فكشف عن وجهه

«الديمقراطي» و بلاحيه وعلى الرغم من أن الدستور يحظر حل مجلس النواب لنفس السبب مرتين ، فقد استصدر قراراً بحل المجلس الجديد وشترك في الحكم بلا برلمان ، سواء كان مزورا أو غير مزور ، واستبدل البرلمان بمواكب من اللادين ، كان يطر حكام الاقاليم ، ومدبري الأمن يستخدم في الشوارع ، أو في الطرق العمومية ، ليهضوا للحكومة ، ويعلموا تأييدهم لها . وهي مواكب كانت تضم عادة فريقاً من المتشددين ، والمجسوين ، والحشراء ، ومن اكرهم رجال الشرطة بالوصيد أو بالاخره ، على الخروج والمتناف .

كان «إسماعيل صدقي» قد انتهى إلى أن الديمقراطية هي تجرد قذيفة ، وأن الشعب هو زحام من النقول الفارغة التي تتميز بالغباء ، وأن بدأ باشطة كتيبة بأن تحركه حيث تريد ، وأن توقفه عند الحد الذي تريد ، وفي صيف ذلك العام ، وضع «إسماعيل صدقي» بصته الثانية الكبيرة على طابع السلطة في مصر ، حين أعاد إحياء أحد اساليب الحكم التي كانت شائعة في العصور الوسطى ، والتي طبقها الحلون في محاولتهم لالحد الثورة ، وهو «المعويات الجماعية» . .

قصص شوارب الرجال

ففي قرية «إعطاب» - إحدى قرى وسط الدلتا - طبق لللازم «أحمد فريد التهامي» - ملاحظ نقطة الشرطة - التعليمات التي أصدرها وزير الداخلية «صدقي باشا» ، فطلب من أهالي القرية أن يجتشدوا جميعا ، لتحية فريق من وزراء العهد ، كانوا سيرون بظلم القرية ، في طريقهم إلى عاصمة الاقليم لانتخاب بعض المشروعات . . وكانت «إعطاب» وما يجاورها من القرى ، من مناطق نفوذ «عمود الاتري» باشا «أحمد انصار» «سعد زغلول» وكان إكرامهم على الخروج لتحية وزراء الانقلاب ، ورفع لافتات تحمل عبارة نميش ((وزارة جلالة الملك)) ، هو نوع من الانذال المقصود ، تعمده ملاحظ النقطه ، فأكثف بنفسه على انتيه على أهالي القرية بالخروج لتحية الحكومة !

وعرج أسالي «إعطاب» إلى الطريق الزراعي ببلاتنتهم وحيرهم . ووقفوا ينتظرون مرور مواكب الوزراء ، وقبل دقائق من مروره ، حلق الأهلالات على حيرهم ، ثم بدأوا يتسربون بنضه إلى الحقول المحيطة بالطريق الزراعي ، وحير الموكب . ودعش الوزراء ،



● صورة من الزمن السعيد تجمع بين سعد زعول واسماعيل صدقي وعبد محمود وعبد الباسل ..
الباشاوات الأربع الذين نفوا إلى مالطة في مارس ١٩١٩ .

وأثارت العودة الى هذه الطريقة من طرق ممارسة السلطة شارة الجبيع ، فقد كانت مصر - من الناحية الشكلية المحضة - بلدا دستوريا ، ينص دستوره على أنه لا عقوبة دون قانون ، ويشدد على أن « العقوبة شخصية ، لا تتعدى شخص من يرتكب الجريمة إلى أقربائه أو أهل قريته ، أو حتى الملتصين لطائفته أو جماعته السياسية .

وهكذا فشل « صدقي » في أن يتكتم على الفضيحة ، أو يحول دون محاكمة « احمد فريد النباهي » ، فعاليته محكمة جنائيات المتصورة بالجن مع الاشغال الشاقة مدة خمس سنوات . ولغيت على آخرين من رجال الشرطة بعقوبات أخف . وقالت في حينيات حكمها الذي صدر في ١٥ يناير ١٩٣٠ - أي بعد خمس سنوات من وقوع الحادث : إن

« صدقي » قد استخدم السلطة التفضيلية آلة حذاب وانتقام وإكراه وتعليب ، واستعرض الحكم القضائي آثار ذلك ، فقال « إنه متى انتهكت الحرمات على هذه الصورة ، لم يتم للظلم في أمة قائمة .. وأن في هذه الاعمال الشنعاء احتقار للشعب يتسبب بتدمير وتوبيد للناس على الاستخفاف بسلطة القانون » .

حين لم يجلدوا بشرأً يستقبلوهم ، بل وجدوا صفا من « الحمير » يحمل كل منها لافتة تقول « تعيش حكومة جلالة الملك » .. بينما كانت ضحكات مكتومة تصاعد من أهالي « الخطاطب » المختفين في الحقول !

واستشاط « صدقي » غضبا .. وأمر بتأديب القرية المشاهدة والإلزام الفلاحون ورفضوا الاشتراك في مواكب التأييد المرتبة ، فقاد ملاحظ الشرطة « احمد فريد النباهي » حملة تأديبية من ٢٠ جنديا مسلحا ، أمرت بفرض حظر التجول على القرية ، وضرب كل من يشاهد منزله واعتقاله ، وتعرض ٣٠٠ من الفلاحين لضرب مبرح ، ألثب الطلب انشراح - فيما بعد - آثاره على أجساد مائة منهم .. وجمع ملاحظ الشرطة عشرات الرجال وأمر جنوده بأن يقصوا شواربهم بمقصات الحمير على مشهد من نسايتهم ، وأجبر كل منهم تحت للضرب بالسياط على أن يختار لنفسه اسم امرأة ، ثم يجيب النداء حين يتنادى بهذا الاسم على صمغ من الناس .. وأكرههم على أن يمزحوا أنفسهم في الوحل . ومنع أذان الفجر حتى لا يكون ذلك دعوة لكسر قرار حظر التجول . واستد « العصاب الجسماني » من « الخطاطب » الى قرى مجاورها من مناطق نفوذ « محمود الاتري باشا » .

نحمد الفتي أحمد

وربما في تلك السنة نفسها التي قتل فيها « صفي » في تزوير الانتخابات ، وانتقل إلى الحكم بالتصليب والمقويات الجماعية .. بدأ الشيخ « جمعيدي حنين » أن حياة ابنه « أحمد » للدراسة لا تبعث شغوف بالحياة لا بالكتب .. أثبت الفتي المولود في « البداري » ثمرة على قيود الدراسة ، وكشف من أنه شغوف بالحياة لا بالكتب .. وكان أبوه قد اختار له « مدرسة الفنون والصنائع » في أسبوط ، ولم يكن هدفه الوحيد من ذلك أن يجهز ابنه عملاً أرقى من الفلاحة ، بل كان يطمح لأن يكون أحد أبنائه « الهندية » من المتعلمين .. وكان للتعليم - آنذاك - بريق يظلف عيون كثيرين من أهالي الريف ، ويدهم مكائهم ، ويعلمو بثرانهم .. ويضيف إلى جامهم .. ومع أن « الفنون والصنائع » كانت مدرسة متوسطة تخرج عمالاً مهرة .. إلا أن الفلاحين كانوا يتحنون غريبتها لقب « الهندس » .. على سبيل الجهل .. والكرم .. لكن أكبر الأبناء حبيب أماله .. وبدأ يتعثر في دراسته .. ثم ما لبث أن غادر المدرسة دون أن يفوز بشهادتها أو حتى علومها .. ليجد نفسه يعيش في « البداري » كمن رقص على السلم .. فلك أنه لم يعد طالباً .. ولم يصبح أفتدياً أو موظفاً ، كما أنه لم يتعلم أن يكون فلاحاً .

ولم تكن « البداري » هي أكثر قرى المركز التي تحمل اسمه أهمية لأن تشغل مكانة المركز - أو العاصمة - إذ لم تكن أكثرها تقدماً أو حضارة ، أو اتصالاً بما يتبعها من قرى ، ولم يكن مستواها يختلف كثيراً عن مستوى القرى التابعة لها .. فاليندر وقراه ، هو أحد مراكز « محافظة أسبوط » الواقعة شرق النيل ، حيث يسود الفقر والجلبد والتخلف ، يعكس المراكز الواقعة غرب النيل التي كانت في وضع اقتصادي واجتماعي أفضل نسبياً ، حيث توجد الطرق ومزارع قصب السكر ومصانعها ، لذلك كانت « البداري » ، بنراً بلا خدمات ، ومدينة بلا مرافق ، فلا منازل للسكنى بلا إيجار . ولا مطاعم ولا فنادق .

وكانت سنوات الدراسة في « أسبوط » ، قد كشفت أمام « أحمد جمعيدي » حلاً من الباهج المحرمة التي تعود عليها فأحبها .. فبدت « البداري » - حين عاد ليقيم فيها - سجنًا لا يعد بتسليّة ، ولا يرفه عن نفس ، ولا يجهز فيه صاحباً يفرى بالصدقة ، بين هؤلاء الفلاحين الذين لم يعودوا أئداده له .. فاحتظ من زميل له في مثل ظروفه هو

« حسن عاشور » صاحباً وصليقاً ورفيقاً في جولات التسكع ، ومغامرات الليل ، وعاشا في القرية نموذجاً لمواطنين ليسا في حاجة ملحة إلى العمل ، يمارسان ألواناً من « الشقاوة » لم تكن جميعها محظورة قاتنوا أو عرفا ، لكنهما يمكن أن توقمه تحت طائلة القانون في أي ظرف ! واحد من تلك القوانين التي كان يمكن أن تطول شقاوة « أحمد جمعيدي » ، هو قانون « المنبوذين والمتشردين » . وهو قانون يميز للسلطة الإدارية - أي الشرطة - أن تضع الذين لا عمل معروف لهم ، ولا مورد رزق محدد ، تحت رقابتها فيكون من حق الشرطة أن تأسرهم بالمبيت في دورها ، من مغرب الشمس إلى مشرقها ، واحتجازهم كالجاء وقائي .

وبالقطع فإن « أحمد جمعيدي » الذي كان قد هجر المدرسة لممارس البطالة لم يتم بهذا القانون حين صدر ، ولم يتم بقانون آخر ، أصدره بوليبيته وسيد « البداري » وما يجيب بها ، « محمد محمود باشا » عام ١٩٢٩ ، هو قانون « حماية الموظفين » الذي منع دعاوى المنح على الموظفين أو المستخدمين أو أحد رجال الضبط إلا عن طريق النيابة العمومية ، وهو قانون صدر ليطمئن الذين يتجاوزون اختصاصاتهم القانونية من الموظفين ، بأنهم لن يحاكموا دون إذن رؤسائهم ، بعد أن سلب من المواطنين حق اللجوء إلى القضاء مباشرة لاختصاص هؤلاء الموظفين ..

ولم يكن للميداري اهتمام كبير بالسياسة وشؤونها وأحوالها ، وكانت أوضاعها الخاصة قد اقتضت أن توزع السلطة المحلية فيها بين الحزبين الكبيرين اللذين كانا يتناولان السلطة آنذاك ، فأصبح لها عمدةان .. أحدهما يمثل « الأحرار الدستوريين » ويتسمى لعائلة « هام » ، والآخر يمثل « الوفدين » ويتسمى لعائلة « نصار » .. ومع ذلك فقد كانت بعيدة إلى حد ما ، عن الصراع الحزبي الذي كان مضطرباً في تلك السنوات ، بين « حزب الوفد » - صاحب الأقلية الشعبية - وبين عدد من أحزاب الأقليات السياسية على صلة وثيقة بدار المتدوب السامي البريطاني ، أو بالقرص الملكي ، أو بالأتين ، تبذل جهدها لاقضاء « الوفد » عن الساحة السياسية . كان الارتباط بين القضية الديمقراطية .. أي حق الأمة في أن تحكم نفسها بنفسها ، وبين القضية الوطنية ، أي تحرير إرادتها من كل تدخل أجنبي ، قد وصل إلى مداه .. وخلال السنوات العشر التي تلت إصدار دستور ١٩٢٣ أدرك

● حكايات من دفتر الوطن

الدمستوريون - كما يقول د. هيكل في مذكراته : ان تحول الوزارة ، شأنها شأن كل وزارة تتولى المفوضة ولا تصل فيها الى نتيجة ، فبدأوا يفسون لها اللسان ، وبدأ رجال القصر يمتطون توقيع المراسيم التي ترفعها للتوقيع ، وانتهى الأمر بأن أجبرت الوزارة على الاستقالة ... لكن الثمرة لم تقع في يد « الاحرار الدستوريين » . كان الذين يلبسون بغيوط السياسة المصرية ، قد قرروا المراهنة هذه المرة ، على « ورقة اللعب » التي لم تجرب بعد . المجازف الجسور ، والقوى القادر على ادخال الفوضى الى الشقوق : « اسماعيل صدقي » !

حتى أول ديسمبر (كانون الاول) ١٩٣٢ ، كان « اسماعيل صدقي باشا » قد بلغ ذروة النجاح ! ثلاثون شهرا توشك أن تنقضي على النظام الذي أنشأه . فوق أنقاض دستور ١٩٢٣ ، وأسس به دستوراً جديداً ، واصطنع له حزباً حصل - بالتزوير - على اقلية في البرلمان ، وصحيفة يومية تطلق باسمه ، وتعمل - أيضاً - اسمه ، وجلس وزراء يرأسه هو لأنه زعيم حزب الاغلبية البرلمانية : « حزب الشعب » . . . وليس معها - في موازين النجاح كما كان يراها « اسماعيل صدقي » - أن المصريون قد تدافعوا جميعاً يتصلدون لنظامه منذ اللحظة الاولى ، ويقاومونه

المحتلون أن الانتخابات الحرة تأتي إلى الحكم بحكومات مشددة مع الاحتلال ، ترفض تسليم البضاعة ، وتصر على ما كانت تسميه « الاستقلال التام » ، فقرروا ساندنة كل انقلاب دستوري ، يهدد هؤلاء المتطرفين عن مقاعد الوزراء والنواب !

ثلاثون شهراً من القهر

ذلك صراع لم يكن فيه « لحد جميل » ، منحازاً ، ولم يكن مستقلاً ، فقد كان يجهله جملة وتفصيلاً . لكن « اسماعيل صدقي » كان يعرفه جيداً ، ومع أنه كان يقف موضعياً حيث تقف أحزاب الاقلية المكسوة من الشعب ، فقد اختار أن يظل مستقلاً عن الأحزاب . ربما لأنه كان شديد الثقة في مواهبه ، والاختار ببقوته وتكاته ، مما جعله لا يقبل أن يكون فرداً في جماعة ، ولعله - وهذا هو الأرجح - رأى أن المعركة مستمرة ، وأن احتمال الحسارة فيها وارد ، فآثر أن يكون « ورقة اللعب » التي تصلح لكي يحل محل كل ورقة اخرى !

وهكذا جاءت الفرصة التي كان ينتظرها : ضاق الانجليز بوزارة « مصطفى الحامس » الثالثة ، لأنه رفض توقيع مشروع المعاهدة التي كان قد توصل اليها خلال مفاوضاته مع وزير خارجيتهم « هندرسن » ، بسبب تشدده في موضوع السودان ، وتوقيع « الاحرار



● الشاعر حافظ ابراهيم .



● اسماعيل صدقي باشا

في الحزب والحكومة بعد صدقي ..

تلاون شهرا و « صدقي » يوزع على قلب مصر ، على الرض من مقاومة المقاومين ، ودعا الداعين ، وأهاجي الشعراء والتكلمين :

استقبل شاعر النيل « حافظ ابراهيم » ذلك العام - ١٩٣٢ - بيمينية في هجاء « صدقي » ، كانت من أواخر قصائده ، لذلك ضاعت ، ولم يبق منها سوى أبيات قليلة منها :

قد مرَّ عام يا سعاد ومام
وابن الكسنة .. في جده بضم
صَبَّوا البلاء على العباد فصنهم
يحبس البلاد .. ونصنهم حُكَّام
اشكوا إلى قصر الدويرة ما جرى
« صدقي » الوزير .. وما جرى « حَلَّام »
ويبقى منها - أيضا - قوله غامضا « صدقي ياذا »
ودعا صديق الله في محرابه
الشيخ والقسيس والحاسم
لاهم احبى ضميره ليهلوقها
فصصا وتنف نفسه الآلام

وحين كان الناس يتهاولون سراً تسخ قصيدة « حافظ ابراهيم » ، والشاعر الكبير يمشي أن يصل نيا القصيدة الى الطاغية ، فقصده من عمله في « دار الكتب » ، لم يكن يتوقع أن يهاجم « صدقي » قبل نهاية العام نفسه ، ولم يتح له أن يعيش ليري انهياره ، فقد رحل الشاعر الكبير بعد دهائه على « صدقي » بشهور قليلة !

كيف يهاجم نظام لا يستبد القصر الملكي فحسب ، بل ويتفانى المندوب السلمي البريطاني في مصر ، « السير برسي لورين » من التدخل في شأنه ، معلنا أنه من أنوار السياسة الداخلية المصرية التي تهمرس ببريطانيا العظمى على حدم التدخل فيها ، صوتا لاستقلال مصر ، طالما أنها لا تحس أحد التدخلات الأربع التي وردت في تصريح ٢٨ فبراير (شباط) من عام ١٩٢٢ . ولأن المندوب السلمي البريطاني - أيا كان اسمه - لم يتصف يوما من التدخل في شئون مصر الداخلية بصرف النظر عن استقلال تصريح فبراير ، فإن هذا الحيد الطامري المزيف كان مظهراً لتأييد باطني ودعم غير منكور ، تقدمه الحكومة البريطانية لصدقي ومستوره ونظامه ، آمله أن يصمد ويقوى ، ليستب النظام في مصر ، ويتمدح شبح للثوريين من الوفديين ، ويخفى في الشقوق مثيرو البنفسه ضد

بالتظاهرات الطلابية والعمالية ، وعشائيات الفلاحين ومقالات الصحف وسفرات الشعراء والتلاف الأحزاب المعارضة ، وحتى بالتنايل والرصاص ، فالرجل لم يكن ممن يعتهم وضاه الناس عنهم ، فإيمانه الثابت الذي لم تزعزعه الحوادث ، أن للشعب طفل قاصر جاهل ، تجمعهم زفة ، وتفترقه عصا ، فهو - عنده - ليس أكثر من زحام من الفوضى يجره مهربجون محترفون ، إذا تصدى لهم بحصا السلطة الغليظة ، وأرهبهم بسياطها وحشودها ، قضى على رأس الأفي فسكن جسدنا ، واستنات لما يريد لها من صلاح الأحوال واستقامة الأمور .

ألا يخفى له أن يصر بالقتل والرضى ، بعد أن نجح أخيرا في البرهة على صحة نظريته عن الشعب ، فقد خلعت المقاومة أو كانت .. دون أن تتطلب سوى بعض الاجرامات « العنيفة » ، وكان أمورا فرض الفرائض الباطنة على عمد - شعاري - للقرى الذين استقلوا من مناصبهم جماعة إثر جماعة ، احتجاجا على إلغاء دستور ١٩٢٣ ، وإصدار دستور جديد يعطي سلطة الحكومة على سلطة الأمة ، حتى اضطر كثيرون منهم لرهن أو بيع ممتلكاتهم ليلدوا الغرامة ، وكف الباقون عن الشعب وعن الاستقلالات السبية .

أما الصحف المناهية التي أطلقت على دستور « صدقي » وصف دستور الحكومة ، وتسكت بوصف دستور ١٩٢٣ - الذي إلغاء - بأنه « دستور الأمة » وروجت للمبطلين حتى أصبحا على كل لسان في مصر ، فقد عطلها وسحب رخص إصدارها ، وتغلب كل صحيفة أخرى تتخذها سترا للتضليل على قرار التسليل ، فحسب وعصاها هي أيضا !

ودعا عليك الله

تلاون شهرا ونظام « صدقي » باق رغم المقاومة ، مستمر على الرغم من محاولات اغتيال صاحبه ومؤسسه : بيلطة حادة مرة ، ويسلمس سريع الطلقات مرتين ، وبقتايل وضمت مرة في قتال دله ، واستهدفت نصف الطائر الذي يستقله مرة أخرى ، فضلا عن الرصاص الذي أطلق على « محمد توفيق رفعت » - رئيس مجلس النواب - والقتنايل التي ألقيت على الكثيرين من دور الحكومة ، والمقررات الشامية لمدار المندوب السلمي البريطاني ، وعلى دله « محمد حلام باشا » ، وكيل مجلس النواب ، ووكيل حزب الشعب الحاكم ، والرجل الثاني

● حكايات من دفتر الوطن

لمصلحته .. فقد سرب المنشوب السامي البريطاني غيراً لأحزاب المعارضة ، بأن حكومته مستعدة للتفاوض مع حكومة مصرية قومية تضم كل الأحزاب ، على أن تتم التفاوض على الأسس التي انتهت إليها مفاوضات « النحاس/ هندرسن » ، وأنها سوف تشير في هذه الحالة على الملك بأن يمد دستور ١٩٢٣ .. ومع أن الشروع في البداية قد أزعج « صدقي باشا » إلا أن الفكرة سرعان ما انتشرت خلافاً بين المتحالفين على معارضة ، قبلها « الأحرار الدستوريون » ، وثمانية من قادة « الوفد » ، بينها رفضها « النحاس » ، وانتهى الخلاف بفصل المعارضين الثمانية ، وبتشاقق في صفوف « الوفد » .. وفي جبهة المعارضة ضد « صدقي » !

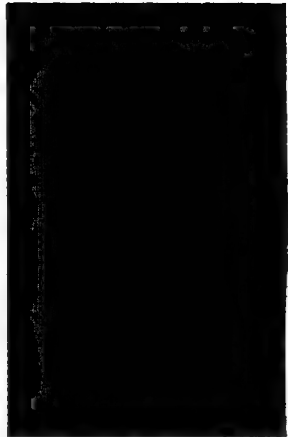
كان « صدقي » قد وصل إلى قمة المجد ..

وكان قضاؤه « احمد جيمدى عبدالحق » الذي يحد في أثره « أينما تكونوا يهركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » .

طغاة بلا قلب

كانت « البدارى » قد أصبحت مغنى لأسوأ الموظفين في الجهاز الحكومي ، هؤلاء الذين يريد رؤسائهم فصلهم أو تضييقهم أو تأديبهم ، ليصعدوهم إليها ليتحالفوا مع الفقر والجلب والظلام على تحويل حياة أهلها إلى جهنم ، ويتنصروا مشاعر النفيظ والقهر وعقد السلطة في أيديهم النخيلة ، المكتشوفة دون دفاع !

ولم يكن البكباشى « يوسف الشافعى » - مأمور « البدارى » - يختلف عن كثيرين من زملائه ضباط الشرطة الذين يتولون مثل منصبه ، ويتوزعون على خريطة مصر في تلك السنوات .. كان - كممثلهم - يملك إحساساً عالياً بالتفوق والتعالى - وربما الإزدراء - على هؤلاء الفلاحين الذين كان يحكمهم ، ويتصرف - دون حساب - في القسم الأكبر من شئون حياتهم .. إنه لم يكن - فحسب - أبناً للزوجة الفرنسية لأحد أمهات الدقهلية ، بل كان أبناً لضابط كبير في جهاز الشرطة الذي يسود أفرادها ، إحساساً بأنهم السلطة الثابتة والدائمة في الوطن .. فالوزراء يتلون ويهيمون .. والأحزاب تحكم ثم تقال حكوماتها أو تستقيل .. والمحافظون ومن في حكمهم من المشهورين في الأقاليم - يغيرون ويتبدلون .. لما التابت والدائم ، بعد - أو مع - الملك ، فهم تلك الشبكة من مأموري الشرطة وضباطها التي تنتشر



● السيد برسي لورين المنشوب السامي البريطاني ١٩٣٢ م .

انتجرتا ، ليتقدم الحكام والعقلاء - بقيادة « صدقي » - ويصل البلدان إلى تسوية للمشاكل بينها .. وكان الرضا البريطاني على « صدقي » قد صعد إلى ذروته في خريف عام ١٩٣٢ .. بعد أن التقى في « جنيف » مع وزير الخارجية البريطاني السير « جون سيمون » الذي أعرب لصدقي عن سروره بالتعرف عليه ، وألح إلى أن تقارير « السير برسي لورين » ، تلح في صفاته كرجل إداري صاحب الفضل في توطيد النظام في مصر وإضاف : - إن بريطانيا تعرف الآن الرجل الذي تتعامل معه .. ويسرها أن ترى اهتمامكم على اتفاقية تهيئ للمشاكل بين البلدين !

في تلك الشهور من صيف وخريف ١٩٣٢ كان « صدقي » قد وصل إلى ذروة المجد ، وكان « احمد جيمدى عبدالحق » يرتدى بدلة الأعلام الحمراء ، ويمشي في زنتانة مضردة بسجن اسبوط في انتظار بت محكمة النقض في الطعن الذي قلعه محاموه ضد الحكم .. ولم يكن كبير الأمل في أنه سيقهر من وضعه ! أما صدقي ، شأن الظروف الحزبية كانت تهيأ

البداية

ومن سوء حظ «أحد جميدى» أنه لم يكن يستطيع إلا أن يكون «ميجياتيا»، فهو الذى تعلم، قضى عامين بأسبوط، فاختلط بأهلها وظل بمقاهيها ومبانيها وحرف أن الدنيا أوسع حدوداً وألقاً من «البدارى». إنه الأهور الذى لا بد أن يكون ملكاً في بلد من المميين، هم هؤلاء الفلاحين الذين لا يقرأون ولا يكتبون ولم يذهبوا إلى «أسبوط». كان لا بد أن يكون ميجياتيا، ليعطى فشله في الدراسة، وهكذا اندلع جيوب شوارع القرية ويتسكع في أنحائها، حرصاً على مظهره، ينتقل من المقاهى والفروز، وتلف حوله شلة من أصدقائه الفراخ والشباب، كان أقربهم إليه صديقه «حسن عاشور» أو «حسن».

ولم يكن ممكناً ألا يلفت سلوك «أحد جميدى» ذاك نظر «الشافى الهندى»، فقد كانت شلة الاندية الماطلين موضوع شبهاته وشبهات أهل القرية، كلما وقعت سرتة، صبح أهم من أسر مستورة، ولكنهم شبان طاشون، ولا بد أن مواردهم تقصر عن إشباع أُمزجتهم الفاسدة.. وكان الممعة «عمد حمام» هو الذى عقد الصلة بين الاثنين وأتاح لها اللقاء.. فلما كادى الممودة - في بداية عهد «صديق» - أحسن من اسم أحد جميدى وصديقه «حسن عاشور» بين الذين يرشحهم لهم. اقتنن المشبهون والمشتردين باعتبارهما عاطلين وبد.

استدعى المأمور الشابين.. النوع «الميجياتيا» الذى يستمر غضبه.. فذهب.

وأسيها، ويترك كل منها حصلة من شره تتدرب جبهة من تحت الطاقية، ثم إن طريقتها في اللوف أمامه، وأسلوبها في الرد على أسئلة قد يرهن له حل أمها في حاجة إلى مزيد من التأنيب، يخصصها لية الحكومة، ويجعلها يدوران في فلكها المغناطيسى، وهكذا أمر بضربها وقص شاربيها بمقص الحصير، وإدراج اسمها ضمن الذين ترابهم الشرطة، لأنها من مشبوهي «البدارى». وبذلك ارتفع عدد المشبهين المقيدن في دائرة البندر إلى ٣٦ مشبوها..

كان وضع «أحد جميدى» و«حسن» على قائمة المشبهين يعنى إخصاعها لراقية الشرطة، فلا ينادر كل منها داره بعد الفروب. ولا يغادر البلدة دون إخطار وإذن من المأمور، وإلا جاز له القبض عليها وتكليفها

كخيوط المنكوبت فوق خريطة الوطن.

كانت سلطة «مأمور البدارى» تتجاوز نطاق «بندر» - أي مدينة «البدارى» - لتشمل أيضاً نطاق «مركز البدارى»، أي القرى التابعة له.. ولم تكن هذه السلطة قاصرة على حفظ النظام والأمن، وصيانة الضبط والربط، وغيرها من الأعمال الشرطية المحضة، كمطاردة المصوص والقتلة ونجار المخدرات، والتفتيش على السلاح غير المرخص، والبحث عن الفساليين والمهربين من تنفيذ الأحكام القضائية، بل كانت تمتد بلا انتهاء، لتجعل من «مأمورية الشرطة» - حكومة مستقلة أو شبه مستقلة - نوب عن كل الوزارات في الإشراف على أداء مهامها في ذلك المكان النائي من الصعيد.

وكان الممعد ح الكل بطايحه، فأعطى الأذن لحكام الأقاليم في أن يكملوا مثله، طغاة بلا قلب وبلا ضمير، لا يعتصمون بخلق، ولا يخافون من حساب، ولا يقيمون وزناً للمستور أو قانون.. ولم لا؟ وهم الأداة الباطشة التي استخدمتها حكومة «صديق» في تزوير الانتخابات من أولها إلى آخرها.. وكلفتها بمطاردة خصومها السياسيين في أرزاقهم وموارد معاشهم، وإجبارهم على اللل والاستكانة والكف عن المعارضة والاحتجاج.. بل وكلفهم على هذا السلف وفاد التكيل، فطلبت لمن تمزوا في التزوير، وتفقوا في التلقيق لألقاب «الباشوية» و«البكوية».. ثم إن هناك القانون الذي يمسهم من القضاء، ويسلب المواطنين حق رفع الدعاوى ضدهم إلا عن طريق النيابة العمومية!

وكان «يوسف الشافى» - كوزير - إسماعيل صديق - حريصاً على أن يبدو أمام الجميع نموذجاً للحاكم الخفيف الذي يرهيه الجميع، ويعملون له ألف حساب، ويعترفون بأنه السلطة الوحيدة في البندر والمركز. وكان من ذلك النوع الذي يؤمن بأن السلطة هبة وشعة وثقة بالغنى وجسارة لا تتردد ولا تهتم بحرف أو قانون.. وكان ما يشهه فيخرجهم عن طوره، أن يرى فلاحاً «شافى نفسه» - أي معتزلاً بها - أو «ميجياتيا» - أي يخال وانها من نفسه، إذ كان من رايه أن من أصول الضبط والربط أن يظهر الجميع إمرات الخضوع والتوقير، ويعتقد أن الاحتداد بالنفس، أو التخاليل بها، قد يوحى بأن هناك من لا يخاف الشرطة، أو لا يخترم هبة الحكومة..

● حكايات من دفتر الوطن

بالبليدة ، فأصبحنا في مرمى نيران بندقيتين مشرعتين للثأر ، تسترنا وراء دغل من البوص .. وانطلق وابل من الرصاص يشق غلام الليل بوجهه ، ويغشش صمته بإزيزه !

وبقلب بارد قلما تقدم « أحمد جيمدي » و « حسونة » من مكمنهما بين هيدان البوص ، إلى حيث سقطت الجثتين ، فوجدنا مهنتس الري ما يزال على قيد الحياة ، ولكن ذلك لا يعنيه ، إذ لم يكن هو المهدف المطلوب وعندما اطمأننا إلى أن المأمور قد فارق الحياة ، غادرنا مكان الحادث مسرعين ، وعاد كل منا إلى بيته ، وأبدل ملابسه ، وجلس يتناول العشاء مع أسرته .. وكان شيئا لم يكن ! .. وكنا ما يزالان حول طبلية العشاء ، حين اندلعت الزخاريد تشق أجواء الفضاء ، من كل بيوت « البداري » ، « وسين خرجا يستطلعان الخبر ، كان الناس يتبادلون التهاني وكل منهم يقول للآخر :

- مبروك « الشامي افندي » قُبل ! وانقلب الدنيا !
فهبت الدولة معنى الرصاصات التي أطلقت على مأمور « البداري » والزخاريد التي انطلقت في شوارع المدينة - عقب شيوخ الخبر - فلها صحبها ، فالرصاصات تتوجه إليها ، والقنيل هو « النظام » وليس « يوسف الشامي » والزخاريد تلمع تشفيا فيها .. وتحننوا لها .. طال رصاص المستقلين المهاتين صدر أحمدة النظام الحقيقية ، وقطع أحد أفقرته الضاربة .. وأندر الآخرين ، بأن يلتزموا بالقانون ، ويمارسوا سلطانهم وفقا له ، وأن يكونوا هيئة نظامية تتبع حكومة نظامية ، وألا فالجزاء من جنس العمل .. وكان الصمت على ما حدث في « البداري » يعني أن يقاوم الناس محاولة « صديقي » لادخالهم إلى الشقوق !

« من هذه النقطة ، بدأت الخيوط تشبك بين اسماعيل صديقي باشا وبين أحمد جيمدي حسين عبدالحق .. فلم تظل طرق حياة كل منهما متوازية .. لالتفتي أبدا . لتقاطعت وتداخلت وامتزجت .

ولم تصبح القضية بمدلج مجرد قضية قتل بل صارت قضية وطن ، أثارت وفجرت وهزت وأسمعت ، ولذا فالقصة لم تنته ولكنها بدأت .. فصل جديد من حفاتر الوطن ستقرؤه مما في رحلة أخرى . □

بالميت في مقر الشرطة ، ومن حق المأمور أن يقبض عليها ويحبسها في حالة وقوع أي جريمة في المدينة ، دون أن يستأذن النيابة ، وحين كنا سريان من المراقبة ، كنا نقادنا إلى مبنى المركز ، ليتولى الكونستابل « أحد خالد الميجرس » - تحت إشراف المأمور - عملية التوقيف ، ليضربان بالسياط ومؤخرات البنادق ، ويحبر كل منها على أن يقول : أنا قره .. ويختار المأمور لها أسماء نسائية ، فيطلق على « حسونة » اسم « حُسنة » ، ويربطان في مرايط الخيل .. ويوضع امامهما التين ، ويؤمران بأكله ومضغه ، ويمطى الجنود ظهرهما كما لو كانا فرسين ، ثم توضع حصونا في يديهما (!)

كانت أشكال التعذيب التي يمارسها المأمور ومعاونوه ، تنتمي إلى النوع نفسه الذي مارسه الأتاترك من قبل ، ومن بعد : خلط الأنواع والأجناس ، بتحويل الإنسان إلى حيوان ، والذكر إلى أنثى ، والمهدف هو تحطيم اعتداد المتمردين بأنفسهم ، وكسر شوكتهم ، والانتقام من كرامتهم أمام من قد يفتنون بهذا الاعتداد ، وخاصة في الصعيد الذي تسود فيه مفاهيم خاصة للرجولة ، تجعل حتى الدموغ أو الشكوى أو الأتئين من علامات الأتوتة التي لا تليق بالرجل ..

القصاص

وقع مأمور « البداري » في المخطو ، واستنفذ احتمال الناس على الصبر ، وأن أن يدلع الثمن : قرره « أحمد جيمدي عبدالحق » أن يتأثر لكرامته المهذورة ، ورجولته المهيضة ، وأن يثبت للناس أنه لم يسكت على الاهانة ، ولم يرض بالاذلال ، فقرر ابناءه حياة المأمور .. وفاتح صديقه « حسونة » في المشروع ، فوافقه عليه .. وقضيا عدة أيام يراقبان « المهدف » ، حتى عرفا أن المأمور تعود أن يخرج بعد غروب كل يوم للتشرد مع صديقه « فهم افندي نصيف » - مهنتس الري - وأنه لا يصطحب معه حراسة ، بل ولا يحمل سلاحا .. كان يتوهم أنه خرس ميتة في كل القلوب ، وأن أحدا لن يجرس على التعرض له ، فلكل خائفون ومستقلون ومهانون !

السبت ١٩ مارس ١٩٣٢

غادر « البكباشي (العقيد) يوسف الشامي » - مأمور البداري - منزل صديقه المهنتس « فهم نصيف » بعد الغروب .. ليتنزها على الاقدام .. وسيرا يتجاذبان اطراف الحديث ، إلى أن بلغا دار المرشدة الابتدائية



في الضميمة

.. النساء لا يمتلكن كل ما نرويه
من ، لكن هن لا يمتلكن من
روايته للآخرين .
« جان كلود بيسكال »

.. القدر جريمة والعلل أن حثابه
الأطفال المشاة .
« مارسيل جومنتو »

.. متحنا الله المذاكرة لكي نتمكن
من شم صبر الورد في شهر
« ديسمبر » .
« أوسكار واهلد »



ظرفاء العرب

إلى أين ؟



كان نجيب الريحاني
يسير مهزولاً في طريقه إلى
المسرح ، فحاول أحد
المارة أن يستوقفه ،
فقال : أرجوك يا عم ، إلى
أين يذهب هذا الشارع ؟
فقال الريحاني وهو
مستمر في سيره : « طول
صبري أصرف هذا
الشارع ثياباً ولا يذهب
إلى أي مكان » .

ضحكات عربية

بغير بائنين

شرد فتية القيسي بدير ، فجعل بديرين لن
دل عليه . فقبل له : أنجل بديرين في بدير ؟
فقال : إنكم لا تعرفون فرحة من وجد ضالته .

لو - إذا

قال أحدهم لآخر : لومت أنا ما كنت فعل ؟
قال : كنت أكفك وأمشك . قال : فاكسي
للساعة ما تكفني به . وإذا مت فادفني عروانا .

الحخير

سأل أبو حون رجلاً في مسافة ، فقال له : حل
الحخير يا بقط .
لقد سألت عنها لي ، فقال لي : سألت عنها
جلك ، فقال : لا أدري .

الضحك موزون ومقتكى

تهوى خلاني

إن الذي حبيبتي في عبيتها
كل المقلب فما أبقته ولا نركت
صبيتها بكت ، فاستغبرت جزءاً
عبي ، فلما رأني باكياً ضحكت
فصدت أضحك مسروراً بضحكتها
مني فلما رأني قد ضحكت بكت
تهوى خلاني كما حثت برأيها
بوساً قلوباً فلما حثها بركت

• قلوب : الناقة الشابة .

الحظ : جندي مجهول ينسب إليه الناس
الأعطاء التي يقعون فيها .
الضاحك : هو الذي يترك محرك سيارته يعمل
وهو ينتظر زوجته عند دخولها أحد المتاجر
لشراء بعض الحاجيات .
الضحية : هدية رخيصة .

قاموس الظرفاء



ضحكات عالمية

وأنا كذلك

لراحت إحدى الممثلات أن
تدعو برنارد شو بطريقة مبتكرة ،
فكتبت إليه : « سأكون في منزلي
في الساعة السابعة مساء يوم
السبت القادم » ، فرد عليها « أنا
كذلك » .

وأنا كذلك أيضا

دعي الموسيقي الفرنسي سان
صان إلى سهرة طلب فيها من غلاته
أن تغني تكريماً له مقطعا من لوبرا
شمشون ودليلة ، فقدمت منه
وقالت بصوت خافت :
- لكم أنا خائفة ياسيدي .
فقال لها : وأنا كذلك .

أعرف ذلك

في الجلسة التي تعرف بها
المصحافي اورييليان شول
بالفيلسوف فيكتور كوازان قال
الثاني للأول :
- أنا ياسيد شول لآحب الظرف
والذكاء . فأجابه شول على
القول :
- أعرف ذلك ، لقد قرأت
مؤلفاتك .

بعد ربيع قسن على الثورة

ردفان..



العقود
إلى
"الجهاد"
الأكبر
!



استطلاع :
سليمان الشيخ
تصوير :
فهد الكويح



معظم مساحة مديرية ردفان في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية تتكون من جبال ، وجبالها مسننة وعرة ، نادرة الاشجار ، مع ذلك فلها احتضنت المجموعات الاولى التي أعلنت الثورة على الانكليز ، بعد أن استعمروا البلاد منذ عام ١٨٣٩م وجعلوا ميناء عدن محطة مهمة تزودهم بالوقود والغذاء لمواصلتهم رحلتهم إلى مستعمراتهم في الهند أو العكس .

في مثل هذه الأيام منذ ربع قرن مضى ، انطلقت الرصاصات الاولى للثورة على الانكليز من قمم جبال ردفان ، فكيف هي حياة الناس الآن ، بعد مضي هذا الزمن ؟ وما هي ذكريات الرعيل الذي واجه غطرسة المستعمرين ودباباتهم ، وطيرانهم ، وأسلحتهم المتقدمة ، وهو لا يملك إلا اسلحة الايمان بقضيته . . والاصرار على تحرير بلاده . . ويضع بنادق قديمة ؟ !


الحاليين والشعب والمفلسي شمالاً ، وكلها مناطق جبلية وعرة . مع ذلك فإن الثورة انطلقت من منطقة ردفان بالذات وليس من غيرها !

- عند قيام الثورة في اليمن الشمالي سنة ١٩٦٢ وتمرضها لبعض المؤامرات والمواجهات ، فإن آلاف الافراد انطلقوا من جنوب اليمن للمشاركة في حماية الثورة في الشمال والدفاع عنها ، وكان من بينهم مئات من ابناء ردفان الذين « تسلبوا » سيراً على الاقدام وقطعوا مئات الكيلومترات من خلال الجبال العرة . وقد لعبت القوات المصرية دوراً مهماً في حماية ثورة الشمال . ومساعدة الثورة في الجنوب .

- لقد كان بين افراد الثورة الاولى التي أشعلت فتيل الثورة في منطقة ردفان مجموعة من الشباب الذين عملوا في الكويت ، وسكنوا في منطقة « عسبرج » التي تحول اسمها الى الدوحة الآن ، وشاركوا في وصف الطرق والعمل في شركات النفط ، ومارسوا بعض الاعمال الاخرى ، وقد عايشوا النهضة في الكويت وتشربوا الاجواء الثورية التي كانت تسود المنطقة العربية كلها ، وتأسس نواة الدولة الوحيدة الحديثة بين مصر وسوريا ١٩٥٨ .

وقد انتظم الكثير منهم في حركة القوميين العرب وغيرها من تنظيمات وأخذ بعضهم يعود الى المنطقة ويسهم بجهوده في توفير الأرضية المناسبة لانطلاق الثورة .

هذه بعض الحقائق التي تتعلق بالمنطقة وأبنائها . . فكيف هي الآن ؟ وما هي حكايته مع « الجهاد » الأكبر ؟

 قبل الدخول في تفاصيل عن الزمن الذي كان هو وقائع الحاضر ، فإنه يجدر بنا تسجيل مجموعة من الحقائق عن المنطقة .

- إن مديرية ردفان تتبع الآن محافظة لحج ، أي المحافظة الثانية كما كانت تسمى من قبل ، وهي تقع شمال مدينة عدن . وتبعد عنها حوالي مائة كيلومتر ، وعندما وصلناها إلينا اكتشفنا أنه لا يوجد قرية أو بلدة ، أو جبل يحده اسمه ردفان . . بل إنه اسم يطلق على منطقة بأكملها بما فيها من جبال ووديان وقرى وسهول ، وأعلى ارتفاع سجل لإحدى قمم جبالها وصل إلى ١٨٦٢ متراً .

- يبلغ عدد سكان المنطقة حوالي مائة ألف نسمة ، وكان يقرب عليهم الطابع القبلي وأهم القبائل التي تسكنها هي : الفطيسي ، العبدلي ، البكري ، الحجيلي ، الضبيري ، وغيرها .

وقد كانت هذه القبائل تتنافس وتتنازع فيما بينها ، وتنتج عن ذلك مع غير ، من أسباب حرمان المنطقة من كثير من مظاهر التقدم .

مع ذلك فإن هذه المنطقة نفسها كانت مهد الثورة التي انطلقت في ١٤ أكتوبر سنة ١٩٦٣ !

- إن منطقة ردفان لا تحاذي حدود الشطر الشمالي من القطر اليمني ، الذي قامت فيه ثورة ضد الملكية في ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢ وأصبح يمثل ستداً حقيقياً لأي عمل ثوري في الجنوب ، وتنفصل ردفان عن حدود اليمن الشمالي مناطق وأراضى الضالع والعلوى والحواشب من ناحية الغرب ، كما ويفصلها

أرض الجبال العالية



- موقع علمية ردفان في محافظة لحج
بجمهورية اليمن الديمقراطية

ثم مردنا بقرية الرويد ، وشعب الديوان .. ثم
جدة .. فالحمراء ، وكلها قرى صغيرة عند
يومها : قليل ربما لا يصل الى خمسين بيتاً .

سألت : أين دفن ؟
أجاب مرافقتنا : هي كل هذه المنطقة التي نحن فيها .

عِلَاقَتُ : أَلَا يَوْجَدُ مَكَانَ مَعْرِينِ يَسْمَى بِهَذَا
الْأَسْمِ ؟
أَحَاب : بَلْ هِيَ الْمَنْطَقَةُ كُلُّهَا .

بيوت القرى موزعة على رؤوس الجبال والتلال ،
هكذا دأب اليمني على بناء بيته ، إنه يبحث عن ما
يمكنه أن يوفر له الحماية ، وكشف تحركات أعدائه
وما يحيط به .

في الحبيبين

نصل الى مشارف بلدة .. انصبه بيهضه تحتل
جانباً من الطريق ثم دخلها ، معظم بيوتها مبنية من
طابق أو طابقين ، ولا يوجد ما هو ضخم أو كبير
هنا ، الطريق الرئيسي « مسفلت » وما عداه ما زال
على حاله من تراب .

قال مراقبنا : إنها بلدة الحيلين عاصمة المديرية ،
ويصل عدد سكانها الى حوالي ١٨ الف نسمة ،
والحيل هو الأرض المنسطة كما ترون ، والحيلين هو

نقادر عدن ونتجه شمالاً لنمر على صواحي خور
مكسر ، والمنصورة ، والشيخ عثمان .. نرى جبالاً
بهر حريرات .. فيستوي المنظر زملي المنصور ويأخذ
بالتقاط الصور المناسبة ا ثم نمر بدار سعد .. القرية
التي تفصل بين محافظتي عدن ولحج ، ثم نصل الى
الحوطة عاصمة محافظة لحج ، نتجد مزارع وبساتين
خضيات وموز ونخيل وعشوات تحيط بالبلدة ،
يقبل لنا إن بعضها يسقى بواسطة الآبار ، وبعضها
يسقى من وادي تبين الذي كان جافاً ويشكو الظمأ
كثيره من الصحارى المحيطة به (في شهر يناير -
كانون الثاني) ثم نمر بالقرب من قرية الشقعة عليها
برجة العند ، وبعدنا نصل الى مفرق الطريق الذي
يتجه الى « كرش » حيث تحط الحدود بين شطري
البحر .

بدأ ارتفاع التلال يتزايد تدريجياً ، الطريق محدة
ويمكن السير فيها على عتلين .. بعض شجيرات
الاثل ، والراك - تستعمل أحوادها كسايوك-
والسومر وغيرها تظهر على حواف الطريق .. بدأ
الطريق ينحصر بين التلال المتعاقبة .

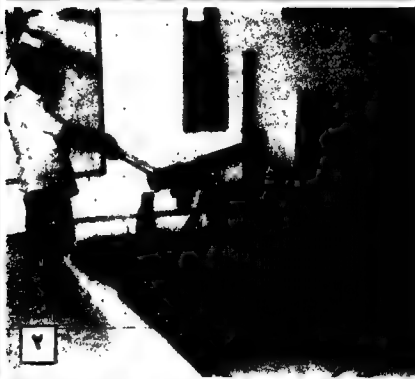
قال مرافقتنا هذا المكان يسمى « سية بله » وهذه بعض الفجاج والغارات التي كان الثوار يتحصنون فيها في بعض الأحيان . لقد كانت الطريق ضيقة من قبل وكان يمكن التحكم بها من خلال بعض المواقع في هذه التلال .

بدأت الجبال بقممها الشائعة تظهر وتسد أفق النظر ، هبات متمشة من الهواء بدأت تسرب بين القبة والأخرى ، بعض غيوم بيضاء وسوداء لاحت على وجه السماء ، وطبيعة الجبال الصخرية المديبية بدأت تبرز بين تلال كثيرة .

نخفف سرعة السيارة عند حاجز لرجال الشرطة ، ثم نمرين مجموعة من الدكاكين ، لمح مجموعة من الرجال يمشون القات .. ثم يعلق مرافقتا :

إن زراعة القات وتعاطيه مسموح بهما في هذه المناطق لأنها هي التي تزرعها ، لكن المناطق التي مررنا بها من قبل فإن تعاطي القات مقتن فيها ليومين في الأسبوع (الخميس والجمعة فقط) .

ثم استترك : نسيت أن أذكر بأننا نمر الآن من قلب قرية الملاح ، وهي كما يقال عنها مشهورة بنسائها ورجالها الملاح .





- ١ - متحف ردفان يساكي
الجلال التي تحيط به .
- ٢ - من أسلحة الثورة في
متحف ردفان .
- ٣ - وأيضاً سد سبأ في
ردفان !
- ٤ - السسم عندما يدرس في
الحياطين .
- ٥ - بدون تعليق .. انه
المصرف لـ « البنك » .



وبالرغم من ان المساحة القابلة للزراعة قليلة ، إلا أن فلاحينا استطاعوا استثمارها وانبثت الحبوب والخضراوات فيها ، واستصلحوا بعض التلال والجبال من خلال المدرجات التي اقاموها عليها ، هكذا فإن حياتنا متشقة تعتمد على بعض الزراعات التي تقيم أود الناس وأود الماشية التي يملكونها . . . ولأننا قبائل . . . ولأن بعض المعنات والمساكن كانت تقوم بيننا في بعض الأحيان ، لذلك فإن السلاح كان دائم الحضور بين أيدي الأفراد ، وكانت تتوجه هذه البنادق أحيانا الى غير العدو الحقيقي ، أي المستعمر . .

مجلس شعب محلي

● لقد ذكرتم أن السيد/ قائد صالح حسين هو رئيس المكتب التنفيذي في مجلس الشعب المحلي . . هل تعطوننا فكرة عن كيفية قيام هذا المجلس ؟
- لقد صدر قرار من مجلس الشعب الأهل في صارس سنة ١٩٨٧ بإنشاء مجلس محلي في ردفان وسيون .

وفعلًا فإن ترتيبات اجراء انتخابات في المنطقة قد تم انجازها بين (٢٥ و ٢٧ نوفمبر ١٩٨٧) وتم ترشيح ٤٣ مرشحا كان المطلوب انتخاب ٣٠ عضواً من بينهم ، وترك للمرشح حرية الاتصال بالناس والاعلان ، وطبع برنامجهم وصوره ، ويمكن أن تشاهد بقايا ذلك على حيطان بعض الدكاكين في السوق (رأيت ذلك في اليوم التالي) .

● هل كان المرشحون جميعهم من الحزب (الحزب الاشتراكي اليمني هو الحزب الوحيد في اليمن الديمقراطية بعد أن اندمجت فيه ثلاثة تنظيمات)

- سمعت أكثر من صوت ينفي ذلك ثم جاء التوضيح لا . . إن الأمر ليس كذلك ، إن القانون (قانون قيام المجلس) فصل في هذا الأمر . . وجاء فيه أن عدد الحزبيين يجب أن يكون ١٣ تالياً في حين أن عدد غير الحزبيين يجب أن يكون ١٧ تالياً . وقد تم انتخاب مكتب تنفيذي من بين الثلاثين تالياً ، ورئيس المكتب يصبح عضواً في مجلس الشعب الأعلى في المحافظة .

● سألت : هل تم تمعيم هذه التجربة في بقية المحافظات ؟

سمعت جواباً : إن الامر ما زال في طور التجربة ، وربما يلى ذلك خطوات أوسع في بقية المحافظات .

مثنى خبييل ، تقع البلدة في سهل تحيطه الوديان والتلال ، بعض الأشجار والزراعات القليلة تظهر بين الوديان ، عجلة بنزين ومقاهي ومطاعم ودكاكين متواضعة تحاذي الطريق .

وصلنا الى بناء مكون من ثلاثة أدوار . . ربما هو اهل بناء في البلدة ، استقبلنا مضيفونا على باب إحدى شقق البناء التي تستعمل كمكتب ومضافة لأعضاء الحزب وزوار المنطقة .

ارحمنا قليلاً واستأنفنا الحديث عن المنطقة وأوضاعها والمستجدات فيها ، والذكريات ، ذكريات من شاركوا في الثورة وغاضوا غملاًها . .

ولد الى البيت قائد صالح حسين رئيس المكتب التنفيذي لمجلس الشعب المحلي في مديرية ردفان والسيد سلام أحمد علي مدير التربية والتعليم في المديرية والسيد قاسم ثابت سعيد سكرتير المكتب التنفيذي لمجلس الشعب المحلي . . . ومسؤول الحزب في المديرية ، ونال به أفراد آخرون .

السيد/ قائد من مواليد سنة ١٩٣٩ ، شارك في الثورة منذ بدايتها وكان راعياً ثم انضم الى الرهيل الذي عمل في الكويت ، وتنظم هناك في حركة القوميين العرب ، وانضم ليلى حنتر أحد القادة الثائرين للثورة . . وعاد وياه مع مجموعة من أبناء ردفان والضالع في نهاية الخمسينيات ، وتزوجوا بالسلاح من شمال الوطن . . وعادوا الى قراهم في الجنوب وبدأوا مع غيرهم بالعمل السري وعقد المصالحات بين القبائل المتنازعة والمتنازعة .

علق أحد الحاضرين دعنا نعرفك بالمكان . . ثم نصل الى الناس والتاريخ .

لقد تم ضم ردفان بالقوة الى إمارة الضالع في الخمسينيات ولذلك فإن التمردات والثورات قامت لهذا السبب أو لأسباب عديدة أخرى أهمها وجود المستعمر الانكليزي ووجود مظالم كثيرة ، لذلك فإن المستعمر بنى مسكراً ومطاراً على هذه الأرض أي أرض هذا المبنى وما يحيط به ، كي يواجه التمردات . لقد كان المسكر يستوعب ١٣ ألفاً من جنود العدو ، أي إنه كان المسكر الثاني بعد مسكرات عدن من حيث كبر المساحة وعدد أفراد جنوده .

إن متطقتنا كما ترى جبلية والمساحات السهلية أو القابلة للزراعة فيها قليلة ربما لا تزيد على ١٥٪ من مساحة المنطقة التي تصل الى حوالي ٢٥٠٠ كيلومتر مربع ، تحتوي على حوالي ١٣٥ قرية ، ربما لا يصل عدد أفراد بعض القرى الى ٢٠ أو ٣٠ فرداً ،

من يحضر السوق يتسوق

توجهنا الى سوق البلدة ، صور بعض المرشحين ما زالت معلقة على بعض الحيطان تحاذيها بعض الشعارات والتعاميم الحزبية ، طريق السوق مغطاة لكنها من تراب ، والحوانيت متواضعة البناء ، ومتواضعة في المواد التي تعرضها ، حوانيت الخضراوات تحاذي حوانيت اخرى تباع القهوة والميل والحبوب (قمح ، سمسم ، عسل ، برغل ، شعير ، ذرة ، الخ) ثم تليها حوانيت اخرى تباع بعض الحلويات وغيرها .

وبعض الحوانيت كانت تكون من جزأين ، جزء تتم الصناعة فيه ، وآخر للعرض والبيع ، منها الحلاوة المطبوخة ، أو حلاوة اللبن أو السمسم والمضروب والكحك وغير ذلك .

لفت نظرنا مجموعة من الشبان كانوا يترافضون ويتبعون إحدى السيارات (وايت) وصلت السيارة الى مكان كان قد تجمع حوله مجموعة من الرجال والشبان . بدأت اللقائات والحزم الخضراء تنتقل بين الأيدي . لحظات ولم يبق منها أية حزمة ، لقد تم كل شيء بسرعة هرية ... انه القات يقبلون عليه كأنه تزيق الحياة !

تابعتنا جولتنا في السوق .. عجوز تشوي أكواز الليرة الشامية على حطب وتبيعها ، مكتبة صغيرة مروضها قليل من كتب وصحف كانت موجودة في قلب السوق .. طالبنا صاحبها بزيادة كمية اعداده المصري التي تصله وذكر أنها تباع في نفس ساعة وصولها .

نسمع هديرأ فنتقرب ، كان صوت آلات مطحنة تطحن القمح والليرة والدخن ثم تحاذيها معصرة خاصة بالسمسم .. السيد/ محسن صالح حسن ذكر لنا انه أقام المعصرة منذ بداية السبعينيات ، وهو يصهر السمسم ويبيعه كطحنه للناس أو يأتي اليه الناس ليحضرهم ويدرس لهم (يعتبر السمسم أحد محاصيل مزارع البلدة والقرى المحيطة بها) .

وطريقة الدرس ما زالت بدائية يقوم بها رجل تربط رقبته بلجام يكون موصولاً بثقل خشبي ويوضع السمسم تحت الثقل ومن خلال دورات الجمل المتواصلة ينترس السمسم ويسيل زيته ليتصل الى الوعاء المطلوب .

● سألت السيد/ احمد جابر صالح صاحب إحدى الماطحن القائمة منذ ١٣ سنة :

● هل تعرف القراءة والكتابة ؟

- اجاب : لم يكن في البلاد (يقصد ردفان) أية مدارس زمن الاتكليز الا محاولات بعض الشيوخ (شيوخ الدين) وللكل فائتي لم اتعلم في تلك الايام لكن بعد انتصار الثورة فائتي التحقت بمدارس محو الامية سنة ١٩٧٥ وحصلت على ما قاتني ، اني أقرأ الصحيفة الآن ، واكتب الرسائل وغير ذلك .

السيد/ محمد صلاح صاحب مطبعة قريبة من المطبعة السابقة ذكر لنا ان الحوانيت والمطاحن مملوكة للافراد ، ويدقون ضرائب للدولة عليها .

لكل بضاعة سوق

على بُعد امتار قليلة من سوق الخضراوات والحبوب .. كان سوق آخر يتم فيه البيع والشراوى بعض بالناس والحيوانات ، إنه سوق بيع المواشي (بقر ، غنم ، ماعز) إنه يقام ايام الأحد والثلاثاء والاربعاء ولا يقتصر على المشاركين من أبناء البلدة أو أبناء المديرية بل يشارك فيه آخرون من مديريات اخرى ، وبعضهم يبيع ماشيته ويشترى بعضها حيواناً أو غيرها .

ذكر لنا مأمور الضرائب السيد/ أحمد هيثم إمام يتقاضون ٣٪ ضريبة من البائع و٢٪ من المشتري ، وذكر إمام أربعة موظفين يعملون في السوق مأموري ضرائب كما وذكر أن معدل سعر الحبوب يصل الى حوالي ١٥ ديناراً فيها يتراوح سعر البقرة بين ٢٠٠ الى ٣٠٠ دينار ، وذكر ان البئر الذي له ستم كالجمل هو من الفضائل المألوفة في ردفان ، كما وأكد انه لم يصادف احداً يتهرب من دفع الضريبة المقررة عليه .

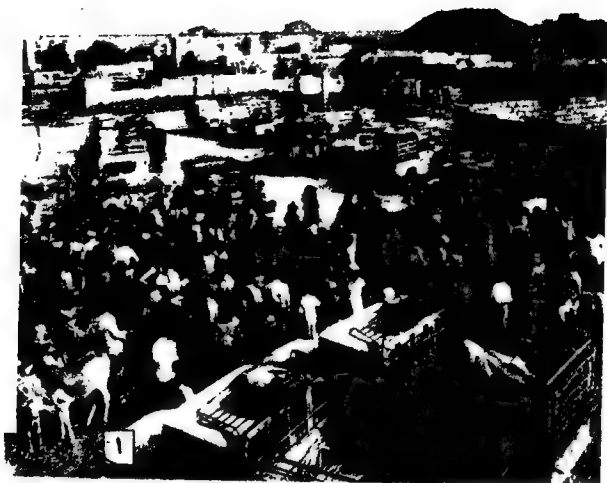
السيد/ ناصر احمد ثابت ، كان يتزور بزنانر ويعلق جنبيه (خنجر معقوف) فيه قال : أنا أصعل دلالاً في السوق ، وأعمل بنفس الوقت سكرتيراً لاتحاد الفلاحين في البلدة ، وذكر : نحن همزة وصل بين البائع والمشتري ، وتقاضى ديناراً على كل رأس يباع .

لفت نظره الى بعض المعجزة اللوان يشاركن في البيع والشراء ... فذكر :

إن أغلب رعاة للماشية هن من النساء ، في حين ان الزوج يعمل في الأرض أو في أحد الاعمال الحكومية .

في طريقها للتطور والنمو

تابعتنا جولتنا في البلدة .. صوت ماكينات « بواير » الماطحن وأبار الماء تسمع بوضوح ، بيوت



١ - سوق بيع الموالدي له
أبسامه وقنواتينه في
الحبيابين .
٢ - مائع خضار على
سيارة متقله ... لم ينس
عادة مضغ الففات .



السيد مهدي علي مفي



السيد سلام احمد علي



السيد قائد صالح حسين

على يسار المكان كانت مروحة طائرة معروضة وموضوعة على الأرض . علق مرافقنا : انها مروحة طائرة « بيرلي » صغيرة كانت جائمة مع غيرها في المطار الصغير الذي اقامه الانكليز على ارض البلدة ، وهي طائرة قاذفة الا أن الشوار تسللوا الى المطار ، ووضعوا ألغاماً تحت الطائرة فضجر فيها في احد ايام سنة ١٩٦٥ .

سلسلة من المعارك والشهداء

على الحوايط الخارجية للمبنى تم تسجيل اسماه الشهداء من ابناء المنطقة الذين شاركوا في الانتفاضات والمعارك ضد الانكليز وضد حكم الامام في الشمال الذي كان يهزم بعض المناطق الجنوبية الى سلطانه في بعض الاحيان ، من بينها دلفان والضالع وغيرها ، وضد الاتراك قبل ذلك . يتوالى تنقلنا بين اللوحات التي تحتوي على اسماء الشهداء بينهم (١٣) شهيداً سقطوا في الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ التي قامت في شمال اليمن ، ثم اسماه شهداء معركة الحمراء وشهداء معارك حرب التحرير .

قاعات المتحف كانت تحتوي على وثائق الثورات والأسلحة التي استعملت فيها ، والأسلحة الفردية لبعض القادة ، بينهم راجح بن غالب لبوزة اول شهيد لمعركة التحرير في ١٤ اكتوبر ١٩٦٣ ، ثم ملابسهم وبعض اللوحات الفنية التي رسمها فنانون تشكيليون واهدوها للمتحف .

● سألت : لقد تكرور اسم الحمراء كثيراً فهل تأخذوننا اليها ؟

- جابت الاجابة .. إنها ليست بعيدة من هنا ، احس دقاتك بالسيارة وتكون فيها .

● هل هي قرية ؟

- لقد كانت وما زالت ، وفيها او بالقرب منها قامت معركة الحمراء بتراب الطريق الممهدة ايضاً

القرية موزعة على مساحات متباعدة متفرقة والتنقل بينها يتم بواسطة الحمير أو مشياً على الاقدام أو بالسيارات . لاحظت بعض البيوت المشابهة تتألف من دور واحد ، ومدمومة باللون الاصفر تحاذي الطريق العام .. قال مرافقونا :

انها بيوت بنتها الحكومة وعددها ٢٤ بيتاً يدفع ساكنها مبلغاً شهرياً كقسط من ثمنها وبعد السداد تصبح ملكية خاصة (ربما بعد ١٥ أو ٢٠ سنة) .
● وبقية البيوت ؟

- انها ملكية خاصة بناها الناس وسكنوها .

● أرى بيتاً واسعاً على تلة .. انه يشبه « الفيل » لمن هذا البيت ؟

- انه مقر الحزب ، فيه مكتبة وقاعة محاضرات تستعمل أحياناً للعروض المسرحية .

● هل ذكر العروض المسرحية .. هل هناك مبنى خاص للعروض المسرحية او دار للسينما ؟

- لا يوجد دار خاصة بالعروض المسرحية ، انما يمكن أن يتم ذلك في قاعات المدارس ، ولا يوجد دار خاصة للعروض السينمائية انما تعرض الوحدات السينمائية المتقلة بعض الافلام الوثائقية ، وتزورنا أحياناً بعض الفرق المسرحية من الحوطة أو من عدن ، ويوجد في البلدة ناد رياضي واحد وهو في نفس الوقت ناد ثقافي .

● أرى مبنى واسعاً بالقرب من « الفيل » ، والأحظ تماثلاً عليه لماذا يكون ؟

- انه متحف ردفان .. متحف الثورة ، وقد تم افتتاحه في ١٤ اكتوبر سنة ١٩٧٨م . انتقلنا اليه .

المبنى واسع فيه حصة أجنحة وصالة خارجية تعرض وثائق تتعلق بإنتفاق الثورة سنة ١٩٦٣ وما تلاها من أحداث ، في اهل المكان يتصبغ نصب رجل يحمل بيده بندقية ويتمنطق بحزام وصابون ويلبس الملابس اليمنية التقليدية (القزير أي القوطة ، ومشدة - ربطة - حل الرأس تسمى « كشيدة » أيضاً) .

الصدر

تابع احمد مقل القاء شعره الشعبي وانتقل من الشعر الوطني الى شعر الغزل وما جاء في احلى غزلياته ..

عيونه مثل الصواريخ عابرة القارات
والآلف مثل الآلف وجنت مثل الجنهات
الصدر يستأن فيه فواكه الجنات
وكعوب مثل اللبم ظاهر وأيضاً بيت

سلود وجسور

جسور وسلود صغيرة تظهر في الطريق ، وبعض زراعات الليرة ، المياه تتدفق من أحد الأبار ، وصبيبة يقتسلون ويتخافون بالماء، تله حالية على بين الطريق تبرز فجأة، قال مرافقونا إنها جبل جبل .. توجد فيها آثار قديمة ، وقلمة في أعلى المكان من الجبل .

● سألت : إن الوادي كما تقولون اسمه وادي سبأ .. فهل له علاقة بالآثار التي وجدت وتعود الى زمن مملكة سبأ ؟

- اجابوا .. ربما كان ذلك .

● سألت : هل جاءت بعثات أثرية للتنقيب عن الآثار في هذا الجبل ؟

- نظروا في وجوه بعضهم البعض واجابوا لا ندرى !

● ومشروع وادي سبأ متى بدأ العمل به .. وماذا تحقق منه ؟

- اجابوا : لقد بدأ استصلاح الاراضي في هذه المنطقة اعتباراً من سنة ١٩٧٣ وهو مشروع سوليتي يمتد مشترك وتم استصلاح ٧٥٠ هكتاراً وزعت على الفلاحين يواقع ٥ الى ٨ فدادين للأسرة الواحدة ، ويغطي مجموعة من الهكتارات تقوم باستغلالها التعاونية الزراعية وهي تخضع لاشراف الدولة ولخطة وزارة الزراعة من ناحية نوعية ما يزرع فيها .

وأشهر المزروعات التي تزرع في المنطقة الليرة الشامية ، الدخن ، الأعلاف ، البرسيم - والبطاطا والبصل والبطيخ والفلفل والبامية والبنودرة والقطن وغيرها .

● هل يمكن اعتبار مساحة الأرض من ٥ الى ٨ هكتار هي سقف للملكية الخاصة للأرض في هذه المنطقة ؟

- اجابوا : من المعروف أن الاراضي ليست متشابهة من حيث الخصوبة أو وفرة المياه فيها ، أو قربها من المراكز المهمة ، لذلك فإن حيازة الملكيات

خرجتنا من بلدة الحبيطين ودخلنا في واد تحفه الاشجار واحواد القصب .. ثم وصلنا الى بضممة بيوت وبمعناها واجهتنا عدة شواهد يضاء قبل لنا : انها شواهد شهادة معركة الحمراء التي قامت سنة ١٩٤٠ جاء في كتاب و صفحات مشرقة من تاريخ المقاومة الوطنية في ردفان ، الذي اشرف على كتابته سعيد صالح سالم احد قادة جبهة ردفان ، عضو اللجنة المركزية للحزب الاشتراكي اليمني ما يلي :

كان مركزاً و الحمراء ، و سليك ، هما اول مركزين اقامهما الاستعمار في منطقة ردفان وذلك في ١٩٤٠ تشرين أول سنة ١٩٤٠ ، وعندما عرف ابناء ردفان بوجود المركزين ووجود قوة عسكرية فيها دعوا جميع ابناء ردفان الى عقد لقاء موسع في سوق « الثلوث » في وادي مسك ، وقد حضر هذا الاجتماع الموسع بجميع كبرى من ابناء ردفان ممثلين لمختلف القبائل ، واتخذ قرار في هذا اللقاء الكبير يقضي بالقيام بهجوم على المركز الاستعماري . وفي ليلة ٢٢ أكتوبر ١٩٤٠ قام ابناء ردفان بشن هجوم كبير على الجنود المتمركزين في هذين الموقعين ، وكانت معركة حامية استخدمت فيها مختلف الاسلحة ، بما في ذلك السلاح الأبيض ، وتم تصفية كافة الجنود المتمركزين حيث قتل وجرح منهم العديد من الجنود وهرب الباقون واستشهد العديد من ابناء ردفان (بلغوا ١٢ شهيدا) .

● سألت مرافقنا : ما هي حكاية مجموعة الشواهد القائمة على يسار الداخل الى البلدة ؟

- اهم شهادة الحركة الاخيرة ١٩٨٦ (الصراع الداخل) من ابناء ردفان وقد بلغوا حوالي مائة وخمسين شهيداً . قرأنا القائمة على ارواح الشهداء جميعهم وتوجهنا الى بعض الاراضي المستصلحة التي تقع خلف قرية الحمراء . جئنانا حاصل في مشروع استصلاح الاراضي فعرّفونا عليه ، إنه احد مقل .

شاعر وثائر شارك في الثورة التي انطلقت سنة ١٩٦٣ قال : همري ٦٧ سنة وشاركت في الثورة وانطلق يقول شعراً من تأليفه :

نعمز وتوسكل بساعة مرضية
ومن عزم فيها نجا من كل شر
الارض هذي كلها جمهورية

يا ساري الليلة على ضو القمر
ردفان - سلمى (نسر) مش نارها طافية
ونحن (نهاجم) هالدولة (الاستعمارية) كما ساد

في وادي المصراع

في صباح اليوم أتت لنا كلاً زملأونا في القيادة المحلية قد جهزوا « جياباً » خاصاً لمهمتنا ، فانتطلق بنا .. في قلب وادي المصراع ، أشجار العلب والبلوط والزرع ورطخيط بالطريق المملوءة حصى ورمالاً داخل الوادي ، بعض البيوت تلوح على جانبي الطريق وهوائيات أجهزة التلفاز تظهر فيها حل أهل مكان . بعض زراعات الذرة الصفراء تظهر في مكان قريب ، على بُعد يظهر راكب لحمار يطلق لصوت خناته المنان ، فتاة تظهر بين الأشجار غطاء رأسها يغطي نصف شعرها صوت «مواتير» المياه يتردد بين فترة وأخرى ، حقل من شجر « البايابى » يظهر على جانب الطريق .. عاملان يوجهان المياه نحو الحوض المطلوب ..

برز بجانب الطريق عامل يضع « موله » على كتفه .. سلمنا عليه وقدم لنا بعض حبات الزعرور التي كان يحملها بيته .. قال :

أنا مهدي علي منى من منطقة بجير بجانب الحيلين ومن مواليد سنة ١٩٤١ وأحصل كأجير في الحقول .

● هل شاركت في حمل السلاح ضد المستعمر البريطاني ؟

.. استجبت في طريقك العشرات من الأشخاص الذين شاركوا في الثورة ، انكم في البلاد التي انطلقت منها الثورة وأنا كفرد شاركت في الثورة طبعاً .

نمر على حقل ملء بنبات القات ، عاملان كانوا يفرسان ويسقيان بعض النباتات ، وامرأة من بعيد تنكش جانيها منه .

ذكر مرافقنا راشد مساعد أمين عام الحزب في المنطقة أهم « يارسون » بعض النباتات ؟

سألت : ما معنى الكلمة ؟

قال : إن لهجتنا في هذه المنطقة تحول الغين إلى ألف .. فهم يفرسون ولكننا في لهجتنا نقولها « يارسون » .

علقت : أما لهجة من لهجات العرب .

عسل ونجارة

بدأ الوادي يضيق وتكاثفت الأشجار فظهرت جرة ماء بالقرب من شجرة كثيفة من شجر الدوم ، لقد كانت كسبيل ماء حذب للعابرين ، ذكر مرافقنا إن شجر الدوم هو الأنسب لتربية مناحل العسل عليه .. وعسله نقي وطيب . طلبنا شراء عدة كيلوات منه ، إلا أن صاحب البيت كان غير موجود

الخاصة تختلف بين ارض وأخرى ، مع ذلك فإن .. الملكية الخاصة في منطقنا هو الرقم المذكور .

مسيرة التعليم

عدنا إلى البلدة فالتفت نظرة إلى جوار المبنى الذي نقيم فيه ، فوجدت مدرسة كبيرة مدهونة مبانيها باللون الاصفر ، يليها مبان أخرى كبيرة أيضاً ، قال لنا السيد/ سلام احمد علي مدير التربية والتعليم في المديرية إن المباني القريبة من مكان اقامتنا ما هي الا المدرسة الثانوية الوحيدة في المديرية ودار المعلمين فيها . وأضاف إنها حدية من الشعب الكويشي إلى شعيقة الشعب اليمني ، وقد تم تشغيلها اعتباراً من السنة الدراسية ٧٩ - ٨٠ ، وهي تستوعب حوالي ٧٥٠ طالباً وطالبة ويدرس فيها الآن ٦٦٦ وبينهم ١٦ طالبة ، في حين أن دار المعلمين الملحقة بها تم تشغيلها اعتباراً من السنة الدراسية ٨٢ - ٨٣م وتستوعب حوالي ٢٠٠ طالب يدرس فيها الآن ١٦١ بينهم ٣٢ طالبة والدراسة فيها لأربع سنوات تبدأ بعد الانتهاء من مرحلة التعليم المتوسط .

● هل التعليم مجاني كالتطبيب وغيره من خدمات اجتماعية ؟

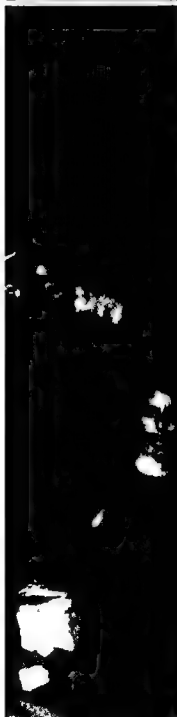
.. ان التعليم مجاني كغيره من الخدمات الاجتماعية ، وحتى الكتب والوسائل التعليمية فإنها تقدم بالمجان ، وما على الطالب إلا ان يحضر معه حقيبته والدفاتر والاقلام .

● هل يمكن اعطائنا فكرة عن مسيرة التعليم في المديرية ؟

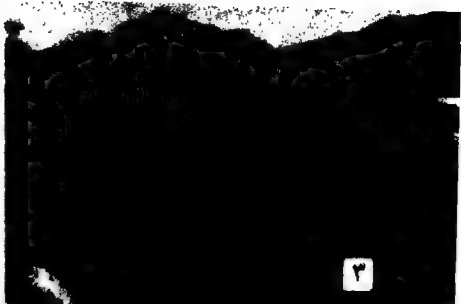
.. لاشك أنه توجد بعض النواقص الآن ، وهذا ربما يعود إلى قلة الامكانيات ، لكن وضعتنا الآن أفضل مئات المرات عما كنا عليه قبل انطلاق الثورة ، لقد كانت أمية المرأة ١٠٠٪ في الماضي ، وحظ الرجل لم يكن أفضل كثيراً ، فقد كانت نسبة أمية حوالي ٩٩٪ ، أما نسبة الأمية فقد انخفضت إلى حوالي ٣٠٪ في هذه المرحلة .

● لاحظ أن نسبة اقبال الفتيات على التعليم قليلة قياساً بالفتيان ؟

.. إن ذلك يعود لأسباب اجتماعية واقتصادية .. بينها التقاليد ، وبينها اعتماد بعض العائلات على الفتيات في العمل بالحقول أو في البيت ، وبينها بُعد بعض القرى عن مراكز التعليم (التعليم الثانوي الزامى للفتاة في المدينة في حين أن الريف له خصوصيته) .



- ١ - زي تقليدي .. وحوار
لاجلو من طراقة في السوق .
- ٢ - نقش شمسي يميز في
عرس بحيل جبر .
- ٣ - انه نبات القشات في
السهول النادرة التي تحاطي
جبال ردفان .
- ٤ - اقتناء الممرس
بكيش .. عادة من عادات
القرى في جبال ردفان .



فصاحت علينا فرصة رؤية مناحل التحل وتصويرها .

وعلى ذكر العسل والتحل فإننا قبل مغادرتنا لبلدة الحيليين ذهبنا إلى السوق للتزود ببعض الكيلوات من العسل ، فدخلنا في مساومة مع أحد البائعين الذي أصر على أخذ مبلغ يزيد دينارين عما أعطانا إياه جاره ، إلا أن تقاض الكمية من عند جاره الجانبا إلى الشراء منه . ناقشه مرافقتنا راشد ولفت نظره لغلالة السر . . وأن جيرانه قد باعوه لنا بأقل مما يطلب ، مع ذلك فإنه أصر على ما يطلب .

علق راشد : لقد عدت لتوك من المسجد يارجل . . ومع ذلك تصر على رفع السعر أكثر مما يفعل جيرانك !

علق الرجل السني : إنها التجارة ، أنا حر في تحديد سعر ما أملك وأنت حر في أن تشتري أو لا تشتري !

صخرية ووعرة . . لكننا بلادنا !

تابعتا سيرتنا في الوادي الذي اخلت بعض أحواض الماء تظهر فيه . . مما يعني أن علينا النزول من السيارة لنسير على أقدامنا .

سرتنا عدة أمتار . . لتجد مجموعة من الرجال يتون بيتا على حافة الوادي استقبلونا بترحاب (هكذا كان دأب من قابلناهم في الطريق) وبدأ قاسم صالح مالك البيت يحدثنا عن نفسه . . فقال : أنا لست من مواليد الحيليين أو المصراع ، بل أنا من حقبة إحدى قرى جبال ردفان ، لكنني أملك هذه الأرض ، وها أنا ابني فيها هذه الدار ، ونحن من بلاد واحدة وقييلة واحدة .

● لكن طبيعة الأرض صخرية ووعرة .

أجاب : ومتى كانت أرض ردفان غير ذلك . . مع ذلك فهي بلادنا .

ظهرت بعض البيوت على الجانب الآخر من الجبل فسألت مرافقتنا عنها .

علق راشد : هل تصدق أن تلك البيوت العشرة هي لقرتين منفصلتين هما الصلب ، والقرع ، هكذا هي قرانا موزعة ومتباعدة وطبيعة الوصول إليها صعبة .

● هل وصلتها خدمات الكهرباء ؟

- لم تصلها بعد . . إن الكثير من قرانا تعاني من هذا الأمر ، وبعضها يعاني من عدم وصول مياه الشفة إليه ، فليجأ إلى الآبار للتزود بالمياه .

● سألت السيد قاسم صالح : هل شاركت في

حل السلاح ضد الانكليز ؟

- أجب : بل حلته ضد الأمراء السابقين . . وضد الانكليز أيضاً ، وذهبت مع المجموعات التي انطلقت من هذه البلاد وغيرها للدفاع عن ثورة الشمال ، وهناك تمردنا وغضنا بعض الممارك ، وعندما حدثنا طلب شيخ المنطقة محمود حسن تسليم أنفسنا واسلحتنا ، ودفع غرامة مالية ، فرفضنا ذلك .

جاء في كتاب « النجم الأحمر فوق اليمن » للدكتور أحمد عطية المصري ما يلي : « وكانت الأسباب الحقيقية لثورة أبناء ردفان في ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ هي استمرار أوضاع الاستغلال والظلم الاستعماري السلاطيني ، أما السبب المباشر ، فهو ضغط الانكليز على أبناء المنطقة لتسليم سلاحهم عند عودتهم من الشمال ، وضم ردفان إلى سلطة أمير الضالع المتعاون مع الاستعمار » .

ويضيف السيد قاسم . . لقد كان راجع بين غالب لبرة مع المجموعات التي ذهبت إلى شمال الوطن ، وشهدوا هناك قيام الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمني (أعلنت في أغسطس سنة ١٩٦٣ من خلال اندماج سبعة تنظيمات) .

وعندما حدثنا من الشمال وأجهتا الشيخ محمود حسن بمطالبه الجائرة ، فتنجسنا وحلنا السلاح وانطلقنا إلى الجبال .

● هل كانت هناك تنظيمات تعمل داخل البلاد قبل وبعد عودتكم إلى ردفان ؟

- أعتقد أن الأمركان يتم بسرية ، وربما كانت حركة القوميين العرب قد نشطت في ذلك الوقت من خلال إنشاء بعض الخلايا السرية .

البلدي والمركة الاولى

حضر شاب ويده ماحون ملء باللين ويقفونلى وجهه الفلفل الأحمر المطحون، عرفنا السيد قاسم على الشاب فقال : إنه ابني ثابت .

عندما عرف الشاب أننا محرون من مجلة « العربي » فإنه زاد من ترحيبه لنا وذكر أنه يتابعها . . بل وعندما دقق في ملاحى فإنه ذكر إسمي . . وعلق : لقد قرأت مواجهتك مع شاعر الجبال العالية في داغستان رسول مرزاتوف إن جباله تشبه جبالنا وعندما يكتب عن جباله فإنه يجد أن أشياء كثيرة مشتركة بينها . . وأضاف أنني جندي في الجيش ، وها أنا مازلت في هذا العمل منذ ٤ سنوات بعد أن تخرجت من الثانوية العامة .

بعض النباتات كانت تظهر في الشق الطولي الذي كان يمتد من رأس الجبل حتى أسفلهُ ، ويبدو أن الماء هو الذي ساهم في شق المنحدر وكون طريقه الخاص . بدأ العرق ينز من أجسامنا .. وبدأ التعب يظهر علينا خصوصاً نحن القادمين من الكويت . البلاد الصحراوية التي قلما يوجد بها جبال . خفت على دفتر ملاحظاتي من يمل العرق ، فخلعت قميصي ووضعت فيه .. وتابعنا المسير بعد استراحة دقائق معدودة .

تابع نظري شقوق الصخور .. والتواءات الشعاب على ما يزعج أو يقفز من حيات أو حيوانات غريبة ، فلم أر إلا الماعز ، ولم أسمع إلا صوت نغاضها ، وصدى أصوات بشرية تأتي من بعيد بعيد .. أو صدى أصواتنا التي بدأنا نطلقها كنوع من التخفيف على شقنا ما أخذ يصادفنا ..

حاصرني مرافقتنا العنق سعيد بعد أن قد خرجت عدة مرات ، لكن بدون وقوع ، وأصبح يمسك بي ، ثم تبعه ثابت ، استكثرت ذلك ووجهتهم نحو زميلي المصور الذي كان ياريم قفراً ونحطياً للمصور الحادة .. أصر سعيد على ملازمتي تماماً فلعلت سُميتي .. وتابعنا المسير . غطى الغيم على أشعة الشمس الحارقة ، فأعطانا دفعة لمواصلة رحلتنا بأثقل ما يمكن من الجهد والعت .

شقوق هنا .. صخر حاد هناك ، هذا الصخر أبيض ، ذاك أسود وآخر يرتقي أو يني . تذكرت المواويل والحلدا .. وجبالاً وأراض حلمت وأحلم فيها منذ الصغر .. تذكرت « الأوف » المبدودة بامتداد سنوات القهر الذي يتوزع هنا أو هناك في الجسد العربي .. خرجت « الأوف » كأنها ليست مني ، فتوزع صداها بين الشعاب والصخور ، وحببت أنها كانت في أبي صورها اللحنية .

سمعت إطراد ومطالبة بالزبد ، فانتبهت أنا فيه فطلبت الماء الذي أصبح أكثر من ضروري للحال الذي نحن فيه .

ارتقتنا صخرة عالية .. فبان الجبل المقابل فعلق مرافقتنا من رأس ذلك الجبل أطلقت دانات المدافع الانكليزية على الثوار .

تابعنا المسير بعد أن أخذ الجهد منا ما أخذ (اتكلم عن نفسي) تمعت بثابت كان عرقه قليل ولم يظهر التعب عليه بشكل واضح .. التفت إلي وعلق : احرف ما تفكر به .. نحن أبناء جبال وقد سرت في

تابع السيد قاسم رواية ذكرياته عن أيام الثورة .. فقال : إن هذا الجبل جبل البدوي ، شهد المعركة الأولى في مسيرة الثورة سنة ١٩٦٣ ولو ملكتم رؤية حادة فإنكم يمكن أن تروا النصب الذي أقيم للشهيد راجع بن غالب لبوزة أول شهيد للثورة ، ويمكن أن تروا القبة البيضاء ، قبة مزار الشيخ أحمد البدوي . لم تظهر لنا إلا نقاط بيضاء صغيرة على قمة الجبل .. فحاول زميلي توجيه « آلة التصوير » لالتقاط الصورة .. فلم يظهر أمامه إلا الجبل .

قلت : لقد قررنا الصعود إلى حيث نصب الشهيد الأول للثورة .

بان التعجب على وجوه مرافقتنا ومُضيفينا .. وعلقوا : إن الصعود إلى هناك والتزول سيستغرق منك حوالي خمس ساعات ، والجبل كما ترون ليس هيناً ، فيه الصخور الحادة .. والشعاب الصعبة والأشواك ومفاجآت قد لا تقلدونها .

أجبنا أنا وزميلي المصور : لقد قررنا بالصعود معها كانت الصعاب .

سمعنا تعليقاً : إن الأمر أصعب مما تصورون ، انكم تخوضون مغامرة غير مأمونة المواقف ، نصممكم بالاكتهاف بتصوير الجبل والوادي .. وهذا يكفي ، أن كثيراً من الصحافيين الذين جاءوا قبلكم أخذوا المعلومات في الحسبين وصادوا ولم يتجاوزوها .

علقنا : إن عملنا في « العربي » يقوم على المساواة بين الكلمة والصورة .

نحلى عنا مرافقتنا .. وتركونا للشعاب ثابت الذي تبرع بحرافقتنا مع مرافقتنا العنق سعيد محمد راشد .

لم يحمل ثابت معه إلا إبريق ماء ، ثم كان وداع على أمل اللقاء مع مرافقتنا الردفاتيين في الوادي المقابل للجبل من الناحية الأخرى .. بعد خمس ساعات (كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة صباحاً) .

رحلة الصعود

بدأنا بالمسير نشطاء يلفقنا التحدي والتشويق للوصول إلى المكان المطلوب . تكررت محاولاتنا للنزاد من خلال الشعاب والصخور بين هبوط وصعود .. وجدنا آثار أقدام كثيرة تولت تمهيد شبه طريق .

نغاض الماعز كان يرافقتنا وكان يظهر بعضها على الجوانب المائلة من الجبل .. وبما كان نغاضها احتجاجاً على الغرباء الذين اقتحموا « هربها » ،



- سيل ماء .. في وادي الصراح بالقرب من الحبيالين

ترصد تفاصيل عتويات المكان .
ثم تابعت المسير الى مزارع البدوي .
البدوي .. من يكون ؟

وصلنا الى رأس الجبل ، لم نعد ندخل في تعاريج
والتواءات الشعاب ، بل أصبحتنا نسير في طريق
مستوية الى حد ما .. باتت القبة واضحة بيضاء تلمع
تحت خيوط الشمس .. حشنتا المسير اليها ، حفل
خال من الزراعة عفاط بعدة اشجار من الزعرور ،
بعض الحيات كانت قد تساقطت بعد أن نضجت ،
أسكتنا جفافاً من جوعنا من بعض حيياتها ، لاح بيت
يجانب مقام البدوي .. دخلنا المقام فوجدنا جدنا
كتب عليه الشيخ أحد بدوى .. وبقياء شمع ، ولا
شيء غير ذلك ، كان يوجد في الخارج بقايا عظام
وجلود وبقايا ماء صغيرة ، سألتنا ثابت : ما هي حكاية
الشيخ البدوي ؟
علق : إن المقام كما قرأت هو للشيخ أحد البدوى ،
وما أعره أن بعض الناس يأتون هنا للتبرك وقراءة
القرآن ، ويجمع بعضهم في أيام محددة فيتحرون
اللبائع ويقدمونها نذوراً ثم أضاف ربما كان شيئاً
صوفياً .. وله أتباعه وأنصاره .
علقت : ما أعره أن هناك شيئاً آخر للصوفية اسمه
البدوي أيضاً في مصر .

هنا الطريق آلاف المرات نهراً وليلاً فلا تستغرب
حالي .

سألت : وأنت ياسعيد ؟ علق : وأنا أيضاً أنا ابن
الجبيل ، باتت حجارة مصفوفة فوق بعضها البعض
على رأس منحدر من الصخور .. سمعت تعليقاً :
ذلك هو المكان .

ضاعفتا جهدنا بالرغم من أبواب مسلم العرق التي
انفتحت وبللت ملابسنا . نظرنا في ساعاتنا لقد
وصلنا المكان خلال ساعتين وربع وليس نصف ..
ففرحتا لهذه النتيجة ..

طول النصب المكون من حجارة الجبل المصفوفة
فوق بعضها البعض حوالي متر ونصف دهنت بلون
أبيض وكتب عليها بعدة أحمر نصب الشهيد راجع
إلى غالب ليوثة . استشهد في ١٤/١٠/١٩٦٣ ،
على النصب شق في الجبل يكون نصف مغارة ، لقد
كان محمياً حامية طيبة واضحة ، وقد اختاره الثوار
ليكتموا فيه ، ويبدو أن الثائر راجع خرج
للاستكشاف أو لأي غرض آخر فرصته المرصدة
الانكليزية على الجبل المقابل فتم قتله .. وأصيب
فعللاً واستشهد، فاعتبر يوم استشهاده هو اليوم الأول
لانطلاق الثورة الحبيية في اليمن الديمقراطية ، قرأنا
الفاتحة على روح أول شهيد للثورة ، ونجولت انظارنا



- حوار البائع والمشتري .. فمن هو الغالب .. ومن هو الخلوب ؟!

على بعد عدة أمتار من بيت السيد طالب برزت صخرة كبيرة فيها شق مستطيل الشكل .

● سألت : وما هي حكاية تلك الصخرة .. والشق الذي فيها ؟

- علق السيد طالب : يقال ان مُحدث هذا الشق في هذه الصخرة هو سيف الإمام علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، .. اذ انه عندما جاء الى هنا واعترضه هذه الصخرة فزّنه شقها بسيفه .

علقت : لكن ياشيخنا ان المصادر التاريخية لا تذكر بأن الامام قد جاء الى اليمن والى ردفان بالذات ؟

علق : هكذا يقولون .. وهكذا سمعت ، جاء ابن ابنة باللين للمزوج بالقليل الاحمر المطحون ، فشرنا وشكرناه وحلوا الرجل استضافتنا في بيته فاعتنرنا ويداناً بالنزول .

النزول الأصعب !

اعتقدنا ان الصمود هو الأصعب في الرحلة ، لكننا اكتشفنا ان النزول ليس سهلاً أيضاً ، إن الصخور في هذا الجانب من الجبل كانت أكثر حدة وتعرجات ، ولا يوجد حجر إلا ان يتلى الانسان ويستعمل يديه ورجليه حتى يمر والأهم هو استعمال عقله ، لأن أي خطأ غير محسوب أو سرعة أوقفزة غير

قال : ربما كان لكل بلد شيخه ، وربما كان هو نفسه وحاش هنا وهناك .

مررتنا من جانب البيت ، خرجت امرأة متة وتمعتنا ، ثم قالت يضع كلمات فهمت منها و فزعتمونا ، كدليل على أن مرتادي المكان قلائل .. مررتنا بالقرب من بيت مهدم ولاح على بعد عدة أمتار من بيت آخر خرج منه رجل مسن عندما رأنا ، وحب بنا وأصر على استقبالنا في بيته .. فاعتنرنا إلا انه كرر الطلب عدة مرات . سألتاه عن اسمه وعمله .. وكيف يعيش في هذا الجبل الوعر ؟ ..

قال : انا طالب محمد الهدوي وعمرى حوالي ٦٥ سنة ، نعم لقد سالت بقسطنطين في الثورة .. ولذلك فإن الطيران الريطان قصف بيبي الذي مررتنا به قبل لحظات ، فابتنيت هذا البيت ، اتنا نعيش على بعض الزراعات في الحقول محدودة المساحة كما ترون ، ونزرعها حبوباً ولنا ماشية نرعها ونعيش على بعض خيراتها .

● سألت الشيخ : سامي حكاية الشيخ البدوي ومقامه ؟

- لقد سمي كل هذا الجبل باسم الشيخ .. وهو رجل دين له مريدوه الذين يأتون في اوقات معينة لقراءة القرآن والدعاء ، وإقامة طقوس معينة لا أمرها .

من مكان قريب ، مفصول عن الرجال . استجابة لطلبنا فإن بعض الرجال بدأوا بممارسة الرقص الشبي على صوت المزمار والطبل وغنوا أغنية :
مرحباً بك يا عريس
مرحباً بضيوف أجونا « جالونا »

بعضهم كان يحمل « جنيات » وبعضهم يدونها ، عندما نحدثنا وجلستا بين الرجال فإن بعض الشبان أفهمونا بأنهم غير راضين بأن يقتصر نصيب حويل جبر من استطلاع ردفاً في مجلة العربي على تسجيل وقائع المرس فقط ، إذ أن حويل جبر كما أفادوا شاركت مشاركة أساسية في الثورة ، علقت أننا بحاجة إلى من يعطينا فكرة عن المعدات السائدة بالنسبة للزواج في المنطقة ، وتفسير بعض المعدات والتقاليد . فجمع مجموعة منهم وجلسوا بجانبنا وأخذوا بالرد على استفساراتنا . . . وقد جاء فيها ذكره :

- يتم وضع الحناء على كفي ورجلي وشعر العروس يوم الأربعاء من قبل صديقاتها وقريباتها وهي في بيتها .

- في حين أن قريبات العريس يتولين وضع الحناء على يدي ورجلي العريس يوم الخميس (أي الليلة التي تليها في البلدة) .

● سألت : وهل العريس « يتحنى » أيضاً .
- أجابوا : نعم إن ذلك يحصل وشهده بنسك الليلة .

● وبعد ذلك ؟
- يذهب العريس مع أهله وأصحابه فيحضرون العرس مساء يوم الجمعة وتأتي معها بعض قريباتها ويتم هذا الأمر بالسيارة في هذه الأيام ، في حين أنه كان يتم من قبل بواسطة الجمال أو الخيول ، يرافق ذلك الأغاني والرقص والأهازيج ، ويبقى العريس مع عروسته وسط أهله وعملاته لمدة زمنية وسط مظاهر الفرح والفتاء ، ثم يتنقى سائر العرس ويدخل العريس والعروس إلى غرفتها الخاصة أخيراً .

ويأتي أهل العروس في صباح اليوم التالي إلى بيت أهل العريس ومعهم الهدايا العينية ، فيتأخرون أفراحهم وأهازيجهم وقرصاتهم المشتركة مع أهل العريس ، ويقفون حتى المساء ثم يعودون إلى بيوتهم بعد ذلك .

● هل من فكرة عن إجراءات الخطبة والأيام التي تسبق الزواج ؟

عسوبة فإنها تودي بالإنسان إلى التحطم بين الصخور .

وصلنا بعد ساعتين ونصف من سيرتنا من رأس الجبل . . كان الأمهات قد أصابتنا ، لكننا مع ذلك حققنا ما كنا نصير إليه ، تعاقتنا مع زملائنا الذين كانوا بانتظارنا ، لقد أحضروا لنا غداء جاء في ساعات المساء من بعض البيوت القسرية من المكان . . وكان أشهى طعام لأنه جاء بعد جوع وتعب حقيقيين . .

حُرس في حويل جبر

كان موعدنا في اليوم التالي هو زيارة قرية حويل جبر وحضور عرس أحد شبانها والوقوف على مظاهر المعدات والتقاليد في هذا المجال .

للوصول إلى حويل جبر مضينا في الطريق المؤدى إلى منطقة بالغ ثم صادفنا قرية الربوة على بعد حوالي ثلاثة كيلومترات من بلدة الحويل ، بعض المزارعين يعملون في حقولهم وبعض الصبية يتشاقون في إحدى الساحات ، ثم مررنا بالقرب من قرية التقيفة وخيرنا ثم قرية حويل جبر على مبعدة حوالي ١٥ كيلومتر من الحويل ، الطريق بينهما عمدة ومسفلتة بشكل جيد ، والتلال والجبال تحف بالطريق من جانبيه .

نشاهد وحدة لتوفير الطاقة الكهربائية بواسطة أشعة الشمس ، ثم ندخل إلى بين الطريق الرئيسي في طريق تربية كثيرة المجلات ، نسير حوالي ربع ساعة بالسيارة ثم نصل قرب خيمة كبيرة مليئة بالرجال والشبان ومضامة بالكهرباء عن طريق مولد .

يستقبلنا أفراد من أهل العريس ، ثم ندخل الخيمة ، ونسلم على الجميع . فرشت الخيمة بالسطح والحصر والفراشات ، تجلس بين الرجال فتلاحظ أن أهلية الرجال والشبان يجزئون الفات ، ويضعون حزمه الخضراء التي تنسب أوراقها أوراق نبتة الملوخية أمامهم أو بجانيهم مرفوعة يزجججات الشرابات الغازية أو « ترانس » الشاي . زيارتنا كانت مساء يوم الخميس . الفات كما أفهمنا بعض الإخوان « السكاير » يأتي بها كل فرد يحضر للمشاركة ، في حين أن أهل العريس يوفرون الشاي والشرابات الغازية والأكل .

الخيمة كبيرة ومليئة بما يزيد على مائة رجل وشاب . . أصوات أغاني النساء وزغاريدهن تسمع

فداء للمريس

دهانا بعض الرجال الي حيث كان المريس بين شقيقاته وقرياته استعدادا لمراسم الحناء ويتم ذلك بعد منتصف الليل يترافق ذلك مع الاغانى والرقص والموسيقا .

اسم المريس عادل ، وهو طالب في كلية الطيران ، كان يجلس بين قرياته ومظاهر الحجل ياديه عليه .. أصوات الزغاريد والموسيقا تغني على الاصوات البشرية جاء شقيق المريس بتيس ماهر وأداره عدة مرات فوق رأس المريس ثم تم ذبحه مباشرة ، وعندما سألتنا عن معنى ذلك ؟

.. اجاب : إن ذلك هو من صلب العادات ، والقصد هو أن يكون التيس أو الكيش فداء للمريس . بعد ذلك تأخذ شقيقة او قرية للمريس بتحنية يديه ورجليه ويبقى المريس بين قرياته فيها الرجال يقفون في الخيمة ويغزنون - القات - ويسمعون الموسيقا والفتاة ، وبعضهم يرقص الرقص الشعبي المميز .

نشارك للمريس وأهله بمرسهم ، ونسودع الرجال .. كان الليل يوشك أن يتصفى فوجهنا الى الحيلين لتفادها في الصباح .

ألقنا على اصوات الديوك وهي تبشر بصباح وليد اختلطت فيه اصوات الحيوانات بالديوك بأصوات ماكينات الطحن والملاء ، بدأنا نعد انفسنا لخادرة المكان بعد أن ودعنا وشكرنا جميع الذين وفروا لنا زيارة موفقة .

عندما نادى المتادى

عندما اقتربنا من مشارف البلدة تمتعت في المكان فوجدت يافطة كتب عليها هذين البيتين :

ردفان نادى أن افود

وأن أحبل الصعب سهلاً

فحملت رأسي في يدي

كسي لاتصير الكف رجلاً

كان الشعر هو من ابداع الشاعر اليمنى عبد الله

البردوني ، أصدرت قراءة البيتين عدة مرات ،

ومسحت نظرات عتاي المكان والبيوت والجبال

والسهول والبشر ، وكل ما استطاعت الوصول اليه

ثم تهبت .. وقلت : وداعاً ردفان .. وداعاً أيها

البلاد التي اشعلت قفيل ثورة الاستقلال ، وها أنت

في حمة « الجهاد » الأكبر ، لصنع الحياة الأفضل ،

والتغلب على صعوباتها . □

- كأي بلد اسلامي فإن كتب الكتب في العقد يتم عند القاضي ، ويشترط موافقة الفتاة على الزواج ، ويمكن أن يأخذ والد العروس مبلغاً من مهر العروس (يصل المهر أحياناً إلى مائة دينار) . والبعض يصرفونه على تجهيز العروس ويقدم المريس أيضاً « شبكة » مكونة من ساعة وخاتم ، وكان المهر يُدفع من قبل بصورة عينية ، كان يتم الاتفاق على تقاضي مجموعة من البقر أو الخراف او الماعز ، أما الآن فإن قانون الاسرة حلد ٢٠٠٠ درهم كحد أقصى للمهر . ويقوم المريس بكسوة عروسه ويمكن للمقتدر أن يزودها ببعض قطع الذهب ، وأحياناً يتولى ذلك والد العروس إن كان مقتدرًا .

● ما هو حال الزواج بمرأة ثانية .. حسب قانون الاسرة الآن ؟

- كان الامر متروكاً حسب رغبة الزوج من قبل ، اما الآن فإن الامر يجب أن يتم بعد موافقة الزوجة الاولى ، ونعتقد أن كل أب أو أخ لا يجب لابتته أو اخته بأن تعيش مع « ضرة » .

● هل يتلقى المريس او العروس بعض المساعدات المالية من اصدقائها ؟

- إن هذه العادة يقال لها « الرغد » في بلادنا ، وهي مازالت قائمة حتى الآن .

● هل عادة « الخطف » مازالت قائمة في بلادكم ؟ - بعد انتصار الثورة وسن قانون الاسرة ، فإن المنطقة لم تشهد أية حالة خطف أبداً .

● لقد رأيت أن بعض الرجال يقبلون أيدي بعضهم البعض .. فماذا يعني ذلك ؟

- ان ذلك يتم في الأعياد والاعراس والمناسبات السعيدة أو حتى في الأيام العادية ولا يوجد اي دلالة إلا دلالة الاحترام والشوق ويمكن ان يتم ذلك بين رجل وامرأة أيضاً .

● أرى بعض الأشخاص اذا ما قرصوا للحديث مع اشخاص آخرين فإنهم يربطون ظهورهم الى أرجلهم برباط خاص فماذا يعني ذلك ؟

- ان هذه العادة تسمى عتتنا « بالحجية » والقصد منها حماية الظهر وتوفير الحال المناسب والوضع المناسب لحديث ربما يطول .

● والقات كيف تنظرون اليه ودوره ؟

- ان تعاطى القات هو احد العادات الاجتماعية المنتشرة في البلاد ، صحيح إنه يمثل حياً مادياً ، وأحياناً صحياً ، ومع ذلك فإن القوانين حدثت من تعاطيه .

قصة قصيرة

محيي اللغز

بقلم : بيسشوار كويرالا
ترجمة : ابراهيم احمد الشنطي

تربت عليها وتهدى خاطرها وتطلب منها أن تنصَح

عما بها لعلها تستطيع مساعدتها .

هدأت تشوندراماي قليلا ، ثم أكملت : لا أدري

كيف أبدأ حكايتي ؟ ومن أين ؟ سأعجبني يا عزيزتي إذا

كنت غير متسللة أو غير متماسكة ، لا تتعجليني

واستمعي لي حتى النهاية ، وسوف أقول لك كل

شيء ، كل شيء .

اعتذلت تشوندراماي في جلستها بجانب صديقتها

وتنهلت بحسرة ثم قالت : قبل مدة جاء إلينا شاب

واستأجر غرفة في منزلنا . لقد جاء إلى « كاتمندو » في

عمل يستغرق أسبوعين . لا تسأليني كيف حدث كل

هذا خلال أسبوعين فقط . كيف لي أن أخبرك

وأصف لك شخصيته ؟ كان من الممكن أن يكون

ريحا قوية أو عاصفة ، نعم ، كان غير عادي !

اجتذب زوجي إليه فأحبه واطمان إليه بسرعة ،

وصار الشاب يزورنا في غرفتنا المجاورة لغرفته .

حتى أنني قلت لزوجي ذات مرة : « ما هذا ، إنه



كانت « تشوندراماي كوماري » قلقة منزوعة

وهي في طريقها إلى بيت صديقتها

« اندراماي » ، وما أن فتحت الصديقة الباب لها حتى

ألقت تشوندراماي بنفسها بين فراعها حزينة متسلمة

أخذتها اندراماي إلى أريكة قريبة ، وأجلستها عليها

ثم سألتها متعجبة : تشوندراماي الذي أوصلك إلى

هذه الحالة ؟ ماذا حدث لك يا عزيزتي ؟ ولماذا أنت

مضطربة إلى هذا الحد ؟

أخذت تشوندراماي نفسا عميقا ، ورفعت عينها

الدائميتين نحو صديقتها قائلة : « آه يا صديقتي

العزيزة ، لقد مررت بتجربة مثيرة نفست على

عيشتي ، ومنعتني من زيارتك طول الأسبوعين

الماضين . أروجو المندرة يا عزيزتي ، فقد كنت في

دوامة ظلت تلف بي طول هذه المدة حتى أصبحت بدوار

شديد كما ترين حالي . »

أمسكت اندراماي بيد صديقتها تشوندراماي وصارت

• بيسشوار براساد كويرالا ، كان من أبرز السياسيين في مملكة نيپال . مدافعا عنيدا عن الحرية والديمقراطية في الملايا . وكان إلى جانب ذلك ، كاتب قصة ، ورعا كان هذا من الأسباب التي أعانت على تحمل وحدة السجن لسنوات طويلة . وهذه القصة كتبها في أيام عته التي امتدت نحو ثمانية أعوام في سجن كاتمندو .



يدخل حجرتنا بدون كلفة ؟ انني أشعر بارتباك ، كما انني لا أحب نظرة هذا الرجل نحوي ! »

لم يصغ زوجي إليّ ، وفي ذلك اليوم نفسه بدأت تجرّبي المثيرة هذه !

كان بين غرفتنا وغرفة الشاب فاصل خشبي . وفي تلك الليلة ، في العاشرة ، لم يستطع زوجي النوم ، وكان هناك نور في غرفة الشاب ، فقام زوجي إليه ليسمر معه قليلا ، ولأمر ما لا أدري ما هو وضعت أفني على الفاصل الخشبي في محاولة لمرقة ما يتحدثان عنه . أرادا التدخين ، فصاح زوجي يناديني - من غرفة الشاب - لأحضر لهم علبة السجائر . ظن الشاب أنني ربما أكون نائمة فقال : « سأذهب وأحضرها بنفسي . »

استلأت بالخوف ، لم يكن لدي الوقت لأتظاهر بأنني غارقة في النوم . ولما دخل الشاب وسأل : « أين علبة السجائر ؟ » تناولتها من تحت الوسادة ومددتها نحوه بشيء من القلق .

أه يا عزيزي ، لا أدري لماذا كانت يدي ترتجف ، وأهلاوبديلا من أن يأخذ العلبة تناول يدي المرتجفة بين يديه ، ما أظنني ! قلت له في الحال : « ماهذا ؟ ما الذي تفعله ؟ ماذا لو أننا ؟ ! »

بدا وكأن هذه الكلمة أثارتة فقال بجرّنا : « ومن فضلك ، اصطني قبلة ! » لوتبكت ، وبجهد كبير قلت متوسلة : « أرجوك اتركني ، أتوصل إليك ، ليس الآن من فضلك ، في وقت آخر » . كنت مضطرة لذلك حتى يتركني .

وقف كتمثال لحظة من الزمن ثم ابتسم قائلا : « لا بأس . » وترك الغرفة .

عاد إلى غرفته ، وأخذ هو وزوجي في الحديث والتدخين . كنت أرّجف من البرد ، ولما عاد زوجي إليّ سألته : « متى سيرحل ؟ »

أجاب زوجي « لماذا تسألين ؟ » قلت لزوجي دون أن أبصره بالعواقب . « إنه يبدو شريرا . »

سألني وقد أخذه الشك . « كيف ؟ » حاولت تهدئة الموقف ، بقدر الإمكان ، فقلت :

« ألا ترى أنه يدخل غرفتنا ونحن معا بدون استئذان ، شيء مريب حقا ، كان هنا قبل لحظة ليأخذ علبة السجائر ! »

هدأت نفس زوجي ، وقال : « أنت امرأة كثيرة الشك ! كل الذي يريد أن يكون قريبا منا فقط ، فأخذت أنت تشكين في سلوكه ! »

في اليوم التالي كنت نازلة على السلم الخشبي ، ومعى جرة صغيرة أريد احضار بعض الماء لزوجي ، فوجدت الشاب صاعدا على السلم ، فاعترضني ، وقد مدّ كلتا يديه ، وهو يقول : « والآن أريد قبلي ، ألم تعديني بها الليلة الماضية ؟ » فأجبت بارتباك : « هل تريد تقويض بيتي ؟ »

تسائل متدهشا « تقويض بيتك ! » وأضاف :

« يتقوض بيتك بمجرد قبلة ، ماذا تقولين ؟ » - « اسمح لي ، لقد تأخرت ، يجب أن أحضر الماء لزوجي ، من فضلك ! »

- « لن يأخذ الأمر طويلا ، أليس كذلك ؟ ! إنها قبلة فقط »

- « فجأة شعرت نحوه بكراهية شديدة وقلت له بحذرة :

- « أرجوك خلّ سبيلي ، أم تراك تريدني أن أصرخ ؟ ! »

بدا واضحا أنه أصيب بدهشة كبيرة فقال مستغبرا :

- « هل أنت غاضبة ؟ » شعرت وكأنني قد سحقت ، وسمعت نفسي أقول مهممة :

- « ليس الآن ، في وقت آخر ! » ونزلت نحوه .

لوجه الحق ، ياعزيزي ، اعترف بأنه على الرغم من وقاحته ، لم يحاول إجباري ، فبمجرد أن قلت :

« في وقت آخر » تركني أمضي في حال سبيل .

تخيل يا عزيزي لو أنه أجبرني على أخذ ما كان يرجوه مني باصرار ؟ وللهلحق ، مرة أخرى ، اعترف بأنني تأثرت بهذا الأسلوب من تصرفه . للدرجة أنني لا أستطيع وصفه اطلاقا بأنه شخص سيء .

بعد ذلك بيومين ، وبينما كان زوجي خارج المنزل

وعدت إلى غرفتي ، وأخذت أبكي وأبكي ، وأقذف باللعنات لأصبتها عليه من فوق الفاصل الخشبي ، لقد بكيت كثيرا ، كثيرا جدا حتى شعرت بأنني أخذت أنهار ، وأني لا أقدر على التنفس .

دخل إلى غرفتي ، نظر إلي منهشاً وهو يقول : « ما الذي حدث لك ؟ أخبريني ، أرجوك »

وبكل ما بقي لدي من قوة صرخت في وجهه مشيرة بأصبعي إلى الباب : « اخرج من هنا ، أدار ظهره وترك الغرفة ، وعدت أبكي بمرارة لوقت طويل ، طويل جدا .

عندما عاد زوجي للبيت في ذلك اليوم سأله : متى سيفادر هذا الشاب الغرفة بجوارنا ؟ أرجوك ، اطلب منه أن يترك المنزل .

سألني زوجي إن كان قد أساء التصرف معي ، ولكن ماذا عملي أن أقول له يا عزيزتي انندرامايا ؟ أتجنه ببساطة : « إنك تطيل البقاء خارج المنزل ، فأشعر بالحرج وأنا فيه مع رجل غريب ! »

في تلك الليلة شعرت بحب جارف نحوز زوجي ، بحب دافئ جديد . غمر جوانحي وحواسي ، لم أشعر بمثله من قبل ، كانت تجربة عجيبة ، معجزة ، أحسست بعدها بسمعة تامة .

وحتى أكون صادقة معك ، يا عزيزتي ، أقول بأن حبي لزوجي قد بدأ فعلا في تلك الليلة . أما من ناحية الشاب ، فانا لا أشعر بأي كراهية الآن نحوه ، وبصراحة فأني شاكرة له . لقد غادرنا هذا اليوم ، وطول الوقت وأنا قلقة مرتبكة ، زوجي في الخارج ، وفي قلبي فراغ كبير .

إنني محتارة جدا الآن يا عزيزتي ، وهناك سؤال يدور في خاطري . كيف أصف ذلك الشاب الغريب ؟ هل كان حسنا أم سيئا ؟ إنه لغز عسير ، وهذا ما يقلقني ! ؟

هنا توقفت تشونندرا كوماري عن الحديث ونظرت مستطمة إلى وجه مضيئها اندرامايا التي كانت تنصت لها بدهشة وتمعجب ، وفي خاطرها كذلك سؤال يتدد : « حسن ، ولماذا بعد كل ما حدث ، لا تزال تشونندرا قلقة ؟ » □

لبعض شأنه ، كان جارنا الشاب يكتب في غرفته ، لا أدري ماذا كنت أفعل من ناحيتي ، أروح وأجيء بين غرفة نومنا والمطبخ ، مرة بغرفته التي تقع بينهما . كان على أن أفعل ذلك مرات عديدة ، وأنت تعرفين يا عزيزتي كيف تكون حال المرأة وهي مشغولة في بيتها ، تلات أعيتنا مصادة ، فتوقف عن الكتابة حالا وسألني : « هل انت جاهزة الآن ؟ »

لم أرد عليه ، عدت إلى حبرتي وألقيت بنفسي على الفراش ، شعرت بارتجاء مفاجيء في قوتي ، لم أدرك لماذا أحسست بأنني أريد أن أكتب رسالة . وبيد مرتجفة كتبت على قصاصة من الورق « سمعت بأنك ستغادرننا قريبا ، فلماذا تهتم بقبلة ، مجرد قبلة ؟ ثم ماذا هناك في القبلة ؟ »

قذفت بتلك القصاصة في غرفته ، ومع انه لم يكن هناك أي داع للنوم ، انغمضت عيني وبقيت مضطجعة في الفراش .. كان قلبي يتخفق بسرعة ، وكان حلقي جافا .

ثم فجأة تغيرت حالته تغيرا كاملا . بقي في غرفته مع كتيبه لم يتحرك ، كان سلوكه مشيرا للسلخ ، وليس للغضب فقط . وصرخ قلبي في جوفي عمقا : « وأي حق له ؟ وكيف يمر ؟ » لكنه ظل متشغلا في كتيبه ، مكبا عليها بشكل عجيب ، وبدون أن يتأثر بشيء مما حوله .

مرة أو مرتين تجرأت على دخول غرفته ، كان يرفع عينيه عن الكتاب ، ينظر إلي نظرة مبهمة ثم يعاود المطالعة ، لقد أغضبني سلوكه هذا كثيرا ، ملاني بالعار والاحتقار ، وكأنه يتزعج إلى ادنالي .

وذات يوم ، وجدته مشغولا كعادته في كتيبه ودراسه . دخلت عليه غرفته ، نظر إلي بيروء كما لو كنت غملا جامدا ، وعاد إلى مطالعته . انقضضت على الكتاب بين يديه ، اختطفته من فوق الطاولة ، ورحلت أمزقه وأرميه قصاصات ، دهش للامر وأخذ يردد : ما الذي تفعلين ؟ ما الذي تفعلين ؟

كنت أمزق الكتاب وأنا أبكي وأقول : « خذ هذا ، وهذا ، وهذا ، أيها الشرير ، الوغد ، المخادع المحتال . »



أبو جعل ..

خنفساء عُبِدَتْ !

بقلم : الدكتورة وسمية الحوطي

لم تحظ حشرة باهتمام الانسان مثل حشرة الخنفساء ، فقد استخدمها في
أساطيره ودياناته القديمة ، والمصريون القدماء ألّفوا أبو جعل (الجعران)
وعبدوها ، وبعض الشعوب تتفاد بالخنفساء كمجلبة للحظ السعيد .

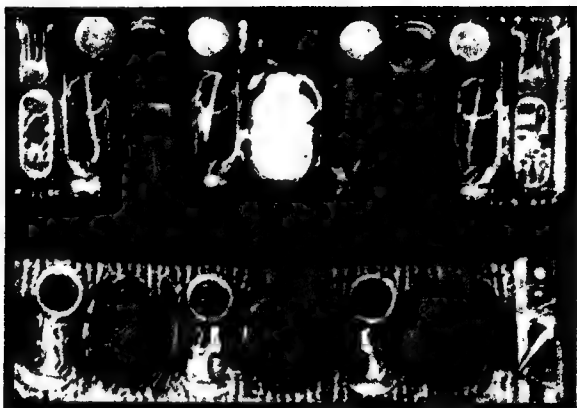
الانسان . وسبب شيوع الخنافس تواجدها في جميع
أنواع البيئات مثل الغابات والحقول والصحاري
والكهوف والبيئات المائية العذبة والمالحة والبحرية .
وكذلك تنشطها لأنواع مختلفة من الغذاء ، فمما
النباتية والحيوانية والمتفلة والمفترسة .

الخننافس والأسطورة

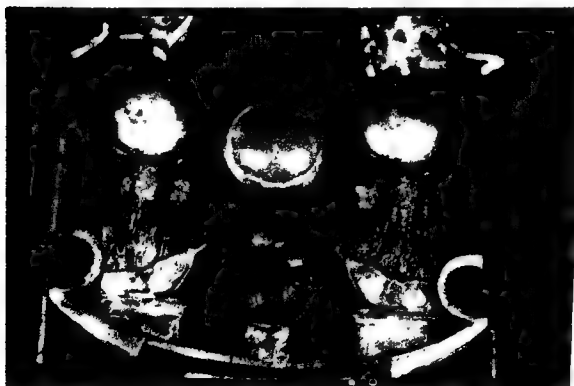
عرف الانسان الخنافس منذ قديم الأزل ،
وارتبطت بمخيله عن طريقين ، أولهما مباشر وهو

قال شارلز دارون :
وكلما سمعت باصطياد خنفساء شمعت يدنو
الحرب وتناهى الى مسمعي صوت هرولة الفرسان
هل يخيلهم ، استجابة لصوت البوق الذي يعلن بدء
المعركة .

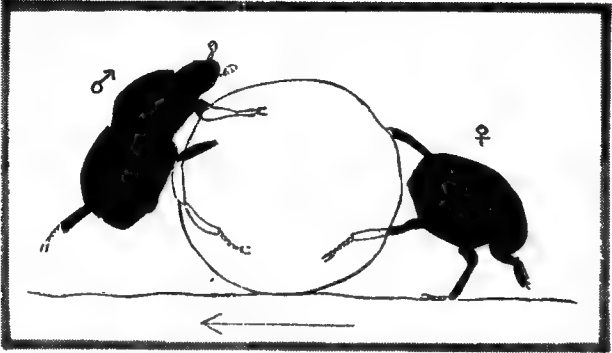
تعتبر الخنافس من أكثر فصائل الحشرات عددا ،
فهي تفوق الفراشات والنمل والنحل والذباب ،
فهناك حوالي ٣٠٠,٠٠٠ نوع من الخنافس في مقابل
٤,٥٠٠ نوع من الثدييات التي يتسبب اليها



● أساور من الذهب من احد القبور الفرعونية ، مرسوم على الأساور خنفساء الروث والشمس بين
يديها ، ومحاطة بالتمارين من الحاتين .
صورة (١)



● بعض الكنوز الذهبية التي وجدت في قبر توت عنخ آمون ، وتظهر فيها خنفساء الروث مع حيوانات
اخرى مثل البايون (نوع من القردة) .
صورة (٢)



● ذكر وأنثى خنفساء السكراب يتعاونان على دحرجة كرة الروب ، لاحظ الأنثى على اليمين تدفع ، والذكر على الشمال يتعلق .

التخفساء في مقابر السلالات الفرعونية لضمان خلود أرواحهم بعد الموت . كما استخدمت خنفساء « الروث » كرمز في الكتابة الهيروغليفية (اللغة المصرية القديمة) لتعني للديم « يصبح » فمثلا وجدت نسخة من تلك الكتابة على قبر اختاتون ، وتعني كما هو ظاهر في الرسم المصاحب للمقال « يصبح - شمس - جميل » . كما استعملت خنافس السكراب في عمل الأساور الذهبية في عهد الفراعنة . وقد وجدت كثير من هذه الكنوز في مقبرة توت عنخ آمون كما هو واضح في الصورة رقم (٢٠١) .

كما يؤمن الجنود الرومان إيماناً راسخاً بمقدرة تلك الخدس على حمايتهم أثناء الحروب ، لذلك يلبسونها كتعويذ قبل البدء في أي معركة حربية ، كما تأخذ خنافس مكة مرموقة في أساطير أمريكا اللاتينية ، حيث تعتقد إحدى قبائل جنوب أمريكا بأن هناك خنفساء حقت «عالم بأرضه وسياه» ، وخلقت لرحب « وساء من حبات جمعته من تربة الأرض » . وفي « زيبا » لمصور الوسطى ، دخلت الخنافس «مونكتور» شمعي ، حيث يرى بعض الأوروبيين

تأثيرها ككافلات زراعية تآكل غذائه ، وتعيث فساداً في أثائه ومبيحاده واستخداساتها في مجالات الطب الشمعي كمراهم لازالة كثير من الاعتلالات الجلدية والأمراض الجلدية كالثبور .

وثانيتها غير مباشر وذلك من خلال الفولكلور والأساطير القديمة التي دخلت التخفساء في مكوناتها ، ولعل أساطير مصر القديمة الفرعونية منذ ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد خير نموذج لذلك ، فقد اهتم فراعنة مصر بخنفساء السكراب (أبو جعل) حيث رأوها تمثل نسخة مصفرة جدا للحياة حولهم ، لقد علموا أن خنفساء السكراب تدرج أصامها كرة كبيرة من الروث تدفنها تحت الأرض ، وبعد ذلك ، وفي كل سنة تظهر خنافس كثيرة في العدد تمشي على الأرض وتشبه الأم التي دفنت تحتها الروث ، ولقد رأى الفراعنة إله الشمس « خيري » على هيئة خنفساء السكراب الكبيرة يدرج الشمس بين يديه في طبقات السماء العليا أثناء حلول الليل ، ثم يعيد دحرجتها مرة ثانية حتى تشرق في صباح اليوم التالي ، فخنفساء الروث لديهم دلالة على إعادة الحياة والخلود بعد الموت ، لذلك وضعت منحوتات على شكل تلك

● أبو جمل .. خنفساء قُبِذَتْ

تكثر حشرات المن تكثر معها الدوسوقة لأن الأخيرة تفرس الأولى ، فكان الحشرات ترمي الكلا والخبث ، والدوسوقة ترى المن وتتغذى عليه والمن من الرب كما ورد في الآيات .

خنفساة الجبون وحصن الداء

وفي الكويت ، هناك أنواع مختلفة من الخنافس منها « الجبون » وهي خنافس سوداء ذات أرجل طويلة تراها تجري في الصحراء بسرعة كبيرة ، وكان أولاد الكويت قديماً يصطادونها وكل واحد منهم يصيغ جيونه بلون معين ثم يضمون خط على الأرض تقف عليه الخنافس ويبدأ السباق بينهم والذي يفوز جيونه يأخذ الجائزة . وفي الكويت أيضاً « حصن الداب » وهي الخنفساء الكبيرة السوداء المنقطة بالأبيض وتسمى في بعض الأحيان بخنفساء الدوميتو ، كما توجد « أم زيد » وهي حشرة سوداء لها خطوط بيضاء كان الأطفال يفتنون لها « أم زيد فتحي جناحك » ويلمسونها فتطير بعد أن تخرج جناحها الأبيض ، والأم الكويتية عندما تريد لطفها إن ينام تقص عليه قصة الخنفساء الجميلة التي زارت المدينة ، وطلبها كثير من الخطاب الذين كانت تردهم بدلال فتقول القصة « خنفسيتي خنفسيتي شنوا جابك على درب المدينة تنجسنا « فترد الخنفساء « انا الشمعة وانا اللمعة وانا سراج البيت ليلة الجمعة » .

يسمى الكويتيون الخنفساء بالخنفسيتة وهو تصغير لاسم الخنفساء ، ويعتقد الكويتيون ان من يلمس الخنفساء يشم رائحة كريهة تبيث منها ، ولذلك فهم لا يلمسونها ويعلمونها عن مجالسهم ، ويلتقطونها باللقط أو بالعصا ، اما منشأ أنها الشمعة التي تضيء البيت ليلة الجمعة فلأن العلماء أثبتوا أن كثيرا من الخنافس الليلية تضيء اثناء الليل ، وهذه طريقة للتخاطب والتفاهم بين تلك الخنافس .

ويستعمل الكويتيون يرقات الخنافس لصيد الطيور ، وتسمى « الفمي » والجمع « فباب » وتوضع في الفخاخ حية ليرأها الطير تحرك فينقض عليها وتطبق عليه المصيدة حيثئذ .

أن خنافس شبيهة بخننافس الكراب تجلب الشقاء وسوء الطالع ويوجد قتل تلك الخنفساء تحمل المواقف والأعاصير التي تدمر الأرض وماعليها ، ولكن يمكن للفلاح أن ينقذ نفسه ويته وعصوله من تلك المواقف بمجرد أن يقوم بمساعلة خنفساء تجنو على ظهرها بضمف في مزرعته ، ويعتقد الأيرلنديون بأن الخنافس يمكن أن تقتل بمجرد النظر ، أو أن تكون سببا لحلول اللعنة بمجرد رفع ذيلها ، وبعض الخنافس لديهم تسبب الحرائق التي تأتي على الياض والأخضر ، لأنها تطير على سقف المنزل حملمة بين فكيفها قطعة من الفحم المشتعل لترميها على ذلك المنزل ، ليحترق بمن فيه ، لذلك يستعملوا رأس وفكوك هذه الخنافس كتموية تجلب الحظ السعيد في البيت . ولا تزال هذه القلائد تباع في اسطنبول الى وقتنا الحاضر ، وفي اسبانيا والمانيا الغربية والسويد ترى الخنافس كساحرات قريبات للشيطان .

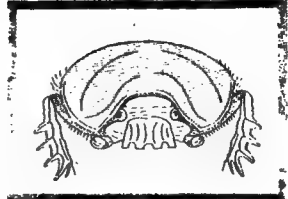
مجلبة للحظ السعيد

وليس كل الخنافس لها سمة شريرة ، فهناك بعض الخنافس التي تجلب الحظ السعيد وتكون مصاحبة للسيدة المدراء عند المسيحيين وليس للشيطان مثل خنفساء الدوسوقة ، وهي خنفساء صغيرة مستديرة برتقالية اللون مرقطة الجناحين باللون الأسود أحيانا ، تقول الأم الانجليزية عندما تضع طفلها في المهد لينام ، « يادسوقه يادسوقه طيري الى بيتك يادسوقه ان بيتك مضطربة فيه النار وأولادك ستحترق يادسوقه » . ومنشأ هذه الاخنية أن الفلاح الانجليزي يحرق محصوله بعد الحصاد وتكون الدوسوقة ويرقاتها (أولادها) مازالوا على تلك المحاصيل . يضاهل الناس بالدوسوقة خصوصا عندما يحط عليهم ، وتسمى في بعض المناطق بخنفساء الرب ، وفي ايطاليا براعية الرب ، وفي الهند براعية أندرا ، والتسميتان الأخريتان تبتنان مدى العلاقة بين الدوسوقة وحشرة المن ، فحشرة المن هي التي وفرت لبني اسرائيل وهم في اتيه - كما ورد في سورة البقرة آية ٥٧ - الندوة الصليبية وهي مادة سكرية تفرزها حشرة المن على الأشجار ، وعندما

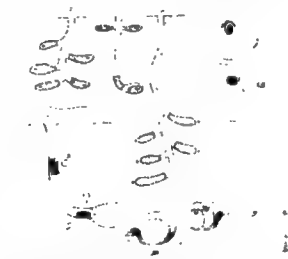
تكون الروث بأرجلها الوسطى والخلفية على هيئة كرة قد تصل في حجمها الى حجم التفاحة وهي تقوم بتكويره على هذا الشكل حتى تسهل دحرجته لمسافات طويلة لتدفئه في الحفرة التي تقوم بحفرها تحت الارض ، واذا كانت الحفرة غير بعيدة عن الروث فلا تجعله على شكل كرة ، ولكنها تحمله على دفعات صغيرة .

عندما تنتهي الانثى من تكوير الروث تقوم بحمله بين الارجل الخلفية مع رأسها الى أسفل ، فحركة الأرجل الخلفية تدحرج الروث أما الأرجل الامامية فتستعمل للمشي ، وعندما تكون الأرض غير مستوية تكون عملية المشي كسباق الماراثون من حيث الجهد الذي تبذله الحشرة . وفي بعض الحالات تتعاون حشرتان في هذا العمل كما في الصورة ، وتكون الخنفساء الثانية منجذبة لرائحة الروث الذي جلبته الاولى وقد تكون الخنفساء الثانية هي الذكر الذي قد يساعد الانثى في حمل ودحرجة الروث بالأرجل الخلفية ، أما الذكر فيكون رأسه الى الأعلى ويدحرج الروث بأرجله الامامية ، وفي هذه الحالة قد تندرج كرة الروث في حلقة مستديرة وليس للأمام ، وقد لا تساعد الخنفساء الثانية ولكن تؤخذ الدحرجة أو المساعدة كفرصة للعب حيث تقفز الى الأعلى وتكون جثا اضافيا على الخنفساء الاولى .

وعندما يصل الروث الى الحفرة - التي عادة ماتكون في مكان ظليل - تكمن فيه خنفساء الروث بعد خلق الباب عليه ، ويتعاون أحيانا الذكر والانثى من أبو جعل بعمل تلك الحفرة ، فتحضر الانثى خندقا بعمق ١٨ بوصة - ٢ قدم وتخصص غرقا خاصة لتربية البيض ، ويقوم الذكر بمحاولة الروث للانثى التي تقوم بدورها بجمعته وتقطيعه على شكل كتل صغيرة الحجم على شكل التناقض تضعها في غرف التريبة ، وتضع كل قطعة في حجرة مستقلة ثم تقوم بوضع بيضة واحدة مع كل قطعة ، ثم تغطي البيض بالروث ويغلي الأبووان مع البيض حتى ينفس الى برقات ، ويكون دورهما حيثما مقتصر على اصلاح ما يتعرض للتلف في حفرهم ومنع ظهور النطير على الروث بتغطيته □



● رأس خنفساء السكراب من الامام لتوضيح الرأس والأرجل المستنة .



● خفر التي تجهزها خنفساء السكراب لدفن البيض في روث الذي تجمعه (البيض باللون الاسود والروث باللون المنقط) .

خنفساء أبو جعل :

كما أسلفنا من قبل ، فخنفساء أبو جعل تقوم بتكوير الروث أو يراز الانسان ثم تدفئه في أنفاق تدعها تحت الارض لتكون سمادا طبيعيا فيما بعد . والاسم الشائع لخنفساء أبو جعل هو خنفساء السكراب التي تشتهر بجمع السكراب أو الروث وهي البقايا على شكل كرة تقوم بدحرجتها لمسافات قد تطول لتدفئها في الأرض وتغذي عليها اليرقات عندما تنفس من البيض .

عندما تصل الخنفساء الى روث الحيوانات تلحظ منه غرة مسعدة رأسها وأرجلها الامامية المستنة ثم

وجهًا لوجه



د. علي الوردي [D] د. جليل العطية

■ للأخراف الشعبية سطوة على العقول !

■ الطبيعة البشرية من أعقد الموضوعات وأصعبها !

■ العقل البشري .. عقل متحيز !

■ الإنسان - بوجه عام - "أنوي" وليس أنانيًا.

■ دعوة إلى الغاء ثلاثة أرباع النحس العربي !!

الدكتور علي الوردي مفكر وعالم اجتماع بارز ، بدأ نشاطه الفكري منذ بواكير الثلاثينيات ، ولا يزال حتى اليوم يواصل الأبداع والتبشير بنظرياته التي تعتمد على تحليل بنية المجتمع العربي عامة والعراقي خاصة ، تقوم فلسفته على التبسيط والموضوعية ، فقد أولع منذ صغره بعلم النفس الاجتماعي ، وهو يرى أن علم الاجتماع مازال عاجزا عن فهم طبيعة الإنسان على حقيقتها .
تثير كتابات الوردي جدلاً واسعاً في الأوساط الثقافية والاجتماعية ، وقد صدر له تسعة مؤلفات أهمها « لمحات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث » ويقع في ثمانية أجزاء ولم يتم بعد ، وقد وجدت هذه الكتب رواجاً شعبياً كبيراً ، وترجم بعضها إلى الألمانية والانجليزية والاسبانية والفارسية والبولونية وغيرها .

أصبحت المواضيع النفسية والاجتماعية ، إن لم تكن أصعبها جميعاً ، فهي موضوع متشعب ومعقد إلى أبعد الحدود ، والواقع أنني كلما توخلت في دراسته شعرت بأنني لا أزال في أول الطريق ، وكلما بحثت في جانب من جوانبها ظهرت أمامي جوانب أخرى تحتاج إلى بحث .

ظهرت في موضوع الطبيعة البشرية نظريات متعددة ، كما نشرت فيه دراسات لا تحصى ، وأعترف لك أنني أشعر بالعجز تجاه تلك النظريات والدراسات ، فهي في غاية الصعوبة ، بل من المستحيل استيعابها كلها ، أضف إلى ذلك أنها قد تتعارض وتتناقض ، ولهذا يقف الباحث حائراً لا يدري ماذا يأخذ منها وماذا يترك .

كذلك يجب أن لا ننسى أن العلوم التي تبحث في الطبيعة البشرية ، كعلم النفس وعلم الاجتماع ، هي من العلوم الحديثة جداً ، فهي لم تأخذ بالمنهج العلمي إلا منذ قرن واحد أو أكثر قليلاً ، ويمكن القول إن هذه العلوم مازالت تحت التأسيس ، وذلك لما فيها من نظريات ودراسات مختلفة أو متعارضة .

حاولت قدر جهدي أن أدرس النظريات المختلفة في هذا الموضوع ، ولكن طاقتي محدودة ، كما أن اتصالاً بالأوساط العلمية في الخارج محدود كذلك . إن الذي دفعني إلى الاستمرار في دراسة الطبيعة البشرية هو ما انتشر بيننا من مفاهيم مغلوطة حول هذه الطبيعة ، وهي المفاهيم التي ورثناها من

هو شخصية مثيرة للجدل ، يكفي أن تشير إلى صدور اثني عشر كتاباً في الرد على آرائه وتحليلاته ، وهذا أمر نادر !
 تذكر شخصيته المتواضعة وتلقاه وروحه الشابة بأبي حيان التوحيدي وغيره عن عاشوا في أزمنه عصور الحضارة العربية !

وهو يعمل على كتيبه اليوم هوم خمسة وسبعين عاماً ، وقد أدار هذا الحوار معه الدكتور جليل العطية .

- منذ نحو عشر سنوات وأنت غالب عن المسرح الفكري ، وقد قيل الكثير عن أسباب هذا الغياب ، وعلمت أخيراً أنك عاكف منذ أمد بعيد على تأليف كتاب جديد يتناول « طبيعة البشر » ولعرفتني بهتمك وصبرك على التأليف ، فلأنني استغرب أن يتأخر كتابك الجديد ، الذي يتشوق له كثير من قرائك والمحبين بك . . فهل لك أن تبين لنا أسباب هذا التأخير ؟

• لا أكتفك أي أصل في تأليف هذا الكتاب منذ أكثر من خمس سنوات ، هناك سببان لتأخير صدوره ، أولها كبر سني وضعف صحي ، بحيث أصبحت لا أقوى على العمل أكثر من ساعة أو ساعتين في اليوم ، أما السبب الثاني فهو صعوبة موضوعه ، ولا يخفى عليك أن طبيعة البشر هي من

● وجهها لوجه : د . علي الوردي

وجد ، فهو يعني أن على الفرد - خاصة الذي ينحدر من الطبقة العاملة أو المحنودة الدخل - أن يعمل لكي يتبوا مكانته في المجتمع ، ولدينا شواهد كثيرة تؤكد أن أبناء قراء تسلفوا أعلى مراتب الجدد والسلطة . .

● إن النظرة الحديثة تعتبر العقل البشري أنه متحيز ومحدود بطبيعته ، وهذه النظرة على التقيض من النظرة الفلسفية القديمة التي كانت ترى بالعقل قوة مطلقة وتبالغ في تمجيده وتقديره .

نحن لا ننكر أن العقل جهاز عظيم ، وهبه الله للإنسان وهو أهم ما يميزه عن الحيوان ، ولكننا إذ نعترف بذلك يجب أن لا ننسى أن العقل له حدود يفرضها ، فهو عظيم في نطاق تلك الحدود ، وهو عاجز مشلول إذا خرج منها .

انتشرت بيننا أقوال عديدة حول العقل وتمجيده ، وهي أقوال ورثناها من الماضي ، وقد اتسع نطاق تداولها حتى وصلت إلى العوام ، فأنت لا تكاد تتحدث إلى أحد من العامة حتى تراه يشير إلى شيء ويقول : « الله بأي شيء عرفناه ؟ بالعقل » ، أو يقول : « الله أعطانا عقلاً لكي نميز به الأمور ، أو ما يشبه ذلك » .

إن هذا الإنسان البسيط لا يدري أنه عرف الله لأنه نشأ في بيئة اجتماعية تمجد الله ، سبحانه وتعالى ، ولو أنه كان قد نشأ في بيئة تمجد الأوثان لعبدها مثل غيره من أبناء بيئته ، وهذا لا يصدق على العوام فقط بل يصدق على كثير من المثقفين أيضاً !

إن الإنسان حين يفكر يتصور أنه يجري في تفكيره حسياً يقضي به المنطق السليم ، وأنه حر مختار في تفكيره لا تأثر لأي مؤثر آخر عليه ، فهو لا يدري أن هناك عوامل لا شعورية متعددة تلعب دورها في تفكيره .

إذا تجادل اثنان حول رأي من الآراء ، فمن النادر أن ينتهي الجدل بينهما إلى اتفاق ، فالدليل الذي هو قوي واضح في نظر أحدهما قد يكون واهياً أو غامضاً أو غير معقول في نظر الآخر ، لكل منهما ينظر في

الماضي ، وأضرت بنا كثيراً من الناحية النفسية والاجتماعية ، ولا يزال الكثيرون منا - من المثقفين والعوام - يتداولون هذه المقاهيم ويتكلمون بها في علاقاتهم الاجتماعية ، دون أن يدركوا مبلغ الخطأ فيها أو فداحة الضرر الناتج عنها .

نماذج من الأخطاء

- هل لك أن تقدم لنا نماذج من تلك المقاهيم المغلوطة والضارة وأنت تعلم بأن جيلنا يعيش ظروفًا مختلفة ، وبالتالي فإنه يعيش بعقلية أخرى وقيم مختلفة ، فما رأيك ؟

● لا يتسع المجال هنا لتعداد تلك المقاهيم ، وقد يكفي أن أذكر اثنين منها على سبيل المثال :

أحد هذين المقاهيم هو الذي نسميه « العقلانية » ، وتعني به اعتبار الإنسان حيواناً عاقلاً ، وأنه يجري في تفكيره وسلوكه حسبما يقضي العقل الواعي والمنطق السليم .

فلماذا أرفنا اقتراح انسان يتبدل رأي له أو عقيدة ، فليس علينا إلا أن نقدم له الدليل العقلي الواضح الذي سيقتنع به حالاً فيغير رأيه أو عقيدته ! أما إذا لم يقبل ذلك فهو لا بد أن يكون متعصباً أو معانداً أو مفرضاً ، وهو في هذه الحالة يستحق العقاب أو التوبيخ .

أما المفهوم الثاني ، فهو الذي يمثل في المبدأ القائل « من جد وجد » ومعناه أن كل انسان قادر على أن يصل إلى ما يصلح إليه من نجاح أو عظمة ، بمجرد أن يبذل الجهد ويسعى ويتأصل ، فالطريق مفتوح أمامه حسبما جاءت به الأمثال الماثورة نحو « كل من سار على الدرب وصل » و « كل من جال نال » و « من طلب العلا سهر الليالي » و « وعم الرجال تزهر ع الجبال » وغيرها .

العقل البشري متحيز

- اسمح لي أن أختلفك في هذين المقاهيم : فالعقلانية هي السمة التي تميز الانسان الواعي ، أما مبدأ « من جد

الشمية ، إن الأعراف الشمية تستطيع أن تجعل أي شيء حسناً وأي شيء قبيحاً ، وهذا هو أحد التواميس الاجتماعية التي يجب أن يبرهنها كل من يريد معاصرة الناس والتعامل معهم .

يرى عن الاسكيمو الذين يسكنون بالقرب من القطب الشمالي أن من تقاليدهم التراثية أن الضيف الذي يتزل في بيت أحدهم يجب أن يتام مع زوجة المضيف في فراش واحد !

إن هذه عادة اجتماعية نشأ عليها الفرد من هؤلاء القوم ، فلا يجد فيها مقصداً أو علواً ، ولكنها في نظر البيندي أمر لا يمكن تصديقه ، فالبيندي كما هو معروف من أكثر الناس إعتنائاً بصفة المرأة وصيانتها ، وقد اعتاد أن يقتل المرأة التي تحوم الشبهة حول سلوكها ، وهو لذلك لا يستطيع أن يصدق ما يقال له عن تقاليد الاسكيمو حول المرأة ، إنه لا يدرى أنه لو كان قد تروى وفق تراث الاسكيمو لغضب من الضيف الذي يرفض النوم مع زوجته !

المصلحة الخاصة .. والعاطفة

الإنسان إذا كانت لديه مصلحة خاصة في أمر من الأمور أصبح عقله متحيزاً نحو ذلك الأمر من حيث يدري أو لا يدري ، وهذا هو ما نلاحظه واضحاً في قاعات المحاكم ، فالشخص الذي لديه قضية معروضة أمام إحدى المحاكم يكون تفكيره منصفاً على نجاح تلك القضية ، وهو يائي في سبيل ذلك يختلف الأدلة والبراهين التي تقيد دعواه ، فإذا أصدر القاضي حكمه في مصلحة صاحب القضية صار في نظره أعظم القضاة في الدنيا وأكثرهم عدلاً ونزاهة ! أما إذا أصدر القاضي حكمه بخلاف ذلك فإنه يتقلب حالاً إلى أسوأ قاضي .

ومن الممكن أن تقول عن العاطفة مثلاً قلناه من المصلحة الخاصة من حيث تأثيرها في تفكير الإنسان ، وكثيراً ما تتوحد المصلحة والعاطفة في الإنسان فتجعله يرى الأبيض أسود ، والأسود أبيض ، فالإنسان يجب الذي يساعده في أمر من الأمور أو يحسن إليه ، ولكنه لا يكاد يبره قد نالته في

الأمور من خلال الإطوار الذي وضعته العوامل اللاشعورية حول تفكيره ، فأنت تقول عن ذلك الواضح أنه كالشمس في رابعة النهار ، ولكنك لا تدري أن خصمك قد يكون أعمى أو هو في غرفة مظلمة ، أو أن إطراره الفكري يجعله ينظر نحو جهة ليس فيها شمس ، وفي مصلحك ما ورد في القرآن في قوله تعالى : « إنما لا تسمى الأيصار ولكن تسمى الغلوب التي في الصدور » أو قوله تعالى : « أكثرهم لا يعقلون » . المائدة (١٠٣)

علينا أن نضع ذلك أمام أعيننا عندما نريد أن نتعامل مع الناس ، أو نحاول الفهم برأي من الآراء . فإن الذي يتعامل مع الناس يوصفهم عقلاء كثيراً ما يفشل في حياته ، وهو عند فشله قد يلوم الناس على ما فعلوه به ، ولكنه أجبر بالعلوم منهم .

التراث

أنت تقول أن هناك عوامل لاشعورية تؤثر في تفكير الإنسان من حيث لا يدري بها ، فما هي هذه العوامل ، وكيف يؤثر كل واحد منها في التفكير البشري ؟

● العوامل اللاشعورية المؤثرة في تفكير الإنسان متعددة أذكر أهمها :

التراثية ، وأهمي بها ما يدل عليه مصطلح (Culture) المعروف في علم الاجتماع ، أي مجموعة المعتقدات والقيم والتقاليد والأعراف والتقنيات والحرف الموجودة في مجتمع معين التي يتميز بها كل مجتمع عن غيره من المجتمعات الأخرى ، فلكل مجتمع تراثه الخاص به ، كما أن لكل فرد شخصيته الخاصة به ، فالإنسان ينشأ منذ طفولته الباكرة في تراث معين ، وإذا ظل في كبره قابلاً له ، فإن تفكيره يكون مصبوغاً في قوالبه التقليدية ، فالفيح قد يكون في نظره حسناً ، والحسن قبيحاً تبعاً لتراثه وقيمه التي نشأ فيها ، فنحن قد نرى في بعض المجتمعات معتقدات أو تقاليد مستهجنة في نظرنا أو غير معقولة ، ولكنها صالحة ومعقولة في نظر الذين نشأوا فيها .

يقول العالم الاجتماعي سمنر في كتابه « الأعراف

فيه ، والمتوسطون ، ولا حاجة بنا الى القول أن
الذكي يفهم الأمور بشكل يختلف فيه عن الغبي .
وكثيرا ما يشعر المضحوق في ذكائه بأنه غريب بين
الناس ، أو أنه غير قادر على إقناع غيره بصواب رأيه
من الآراء ، وهو قد يجب تقمة الناس عليه لاختلافه
عنهم في التفكير ، وهم قد يحضرونه أو ينبلونه .

وما يقال عن درجات الذكاء يقال عن درجات
الجنون ، فالناس كلهم مجنونان إما هم يفتوتون لها
بينهم في درجة جنونهم ، فليس في البشر عاقل كل
المقل ، أو مجنون كل الجنون ، وأكثر الناس لديهم
من الجنون درجة ضعيفة ، وفي مقدورهم ترويضها
والسيطرة عليها .

أما الذين نسميهم « مجانين » ، فهم الذين بلغ بهم
الجنون درجة قوية بحيث لا يستطيعون السيطرة
عليها ، وهذا يؤدي بنا الى القول إن الكثيرين من
الذين نسميهم عقلاء هم ليسوا عقلاء تماما ، فكل
واحد منهم لابد أن يكون في عقله شيء من الخلل
الذي يجعله يفهم الأمور بخلاف ما يفهمه الآخرون
قليلًا أو كثيرا .

يجب أن نضع هذه العوامل أمام بصرنا عندما نريد
التعامل مع الناس أو مجاننتهم .

فأنت حين تريد أن تقنع شخصا بصحة رأيه من
الآراء لا يكفي أن تقدم له الدليل العقلي في ذلك ، بل
يجب أن تتسلل الى تفكيره عن طريق هذه العوامل ،
بعضها أو كلها ، ومعنى هذا أنك يجب أن تتسلل اليه
عن طريق تراه أو مصلحته أو عاطفته وأهويته أو
غيرها ، فالدليل لا يكون مقنعا إلا إذا كان منسجما
معها على وجه من الوجوه ، ويجب أن لا ننسى أن
هذه العوامل قد تكون متعارضة في بعض الأفراد ،
وليست هي في تناسق دائم ، وهذه ثغرة يمكن التسلل
منها الى داخل تفكير الإنسان .

الأنوية والأنا !

- يلاحظ أنك تكثر في بعض دراساتك
وأحاديثك من ذكر « الأنوية » ، وهذا
المصطلح غير معروف في الوطن العربي ،
فهل جاءت نسبة من « الأنا ؟ » تعرف أن

الهيئة أو المكائنة الاجتماعية حتى يبدل نظره اليه من
الحب الى الكراهية ، وعندما تتحول عاقبته الى
مساويها عندما كانت عيوبه قد تحولت الى عاقلين ،
يقول الامام الشافعي في بيت له من الشعر مشهور :
وهين الرضا عن كل عيب كليله
كما أن حين السخط تهني المساويا

التجارب المتسبة والأنوية

قد تمر بالإنسان تجربة مؤلمة أو سارة تجعله أمر من
الأمر ، ثم ينسى الحادثة ، ولكن ذكراها تبقى كلمة
في لاشعوره ، فإذا رأى شخصا أو شيئا يذكره بتلك
الحادثة شعر بالبغض أو الحب له ، وكثيرا ما يؤثر
ذلك على تفكير الإنسان تجاه الآراء أو المبادئ أو
الاتجاهات الثقافية أو السياسية .

أما الأنوية : فهي شعور الإنسان بذاته - أي
بالأنا - تجاه الآخرين ، فالأنا محور الشخصية
البشرية ، وكل إنسان يسعى دائما نحو رفع مكانة
« الأنا » في نظر مجتمعه ، وآخر قد يندوس في بعض
الأحيان على مصلحته أو عاطفته من أجل الأنا ،
وأنت تستطيع أن تجعل من صديقك خالصا إذا أجزلت
له الاحترام والمديح ، كما تستطيع أن تجعل من عدوا
لدودا إذا احقرته أو أهنته .

وللمعرفة دور مهم ، فالإنسان يكذب الأمور أو
يصدق بها حسيا على عليه معلوماته التي يملكها تجاه
تلك الأمور ، خذ - مثلا - الأمي الذي يعيش في قرية
بدائية منزلة ، فهو يرى الأرض مسطحة ،
والشمس تدور حوله ، ومن المستحيل أن تتقنعه
بخلاف ذلك ، وهو قد يمدك مجنونا أو جاهلا لأنك
في نظره تتكرر بديعية من البديعيات العقلية التي لا
يجوز الشك فيها ، وهذا لا ينطبق على الأمي البدائي
فقط ، بل هو يشمل أيضا البشر جميعا حتى العلماء
منهم ! إذا نظرنا الى الأمر نظرة نسبية . فكثيرا ما
وجدنا العلماء في القرن الماضي يمتدرون بعض الأمور
مستحيلة ، ثم أصبحت في هذا القرن ممكنة .

الذكاء . . . الجنون

الذكاء على درجات متفاوتة في الأفراد - كما هو
معروف - فهناك المضحوقون في ذكائهم ، والمضحوقون

● إن الإنسان يوجه عام يركز معظم تفكيره حول «الأنا» ، وكيف ينظر الناس إليه ، وهو يشعر بالقبلة حين يرى الناس يقبلونه ويمجّبون به ، كما يشعر بالامتصاص حين يرى الناس يمتصونه أو يتفكرون فيه . وقد يصح أن أقول إن معظم نشاط الإنسان في حياته يدور حول هذه النقطة ، فهو يسعى دائما من أجل أن يكون موضع فخر لا موضع عار !

يقول المثل البدوي القديم « النار ولا العار » ، ومازال هذا المثل مستترا وقوي الأثر في المجتمع البدوي حتى الآن ، وممن أن البدوي يفضل دخول النار في الأخيرة على كسب العار في الدنيا ، فالعار لا يمكن أن يحمله البدوي في حياته على أي حال ، والواقع أن هذا ليس هو شأن البدوي وحده بل هو يشمل الناس جميعا على درجات متفاوتة .

إن الأنوية تظهر في الإنسان منذ طفولته المبكرة ، ومن علامات ظهورها في الطفل أنه يتجسس ويدور عليه الزهو حين نمده ، كما يبدو عليه الإمتصاص حين نلحه ، ونحن نستطيع أن نجعل الطفل يقوم بأي عمل نطلبه منه بمجرد أن نمده إذا قام به ونشجعه عليه .

والملاحظ أن الطفل يكون شديد الحساسية تجاه أقرانه من الأطفال ، فنحن لا نكاد نمدح طفلا آخر بحضوره ، أو نحمل ذلك الطفل ونضاحك له ، حتى يشعر هو بالغيرة الشديدة منه ، وقد يكفي دون أن نعرف السبب الذي دفعه إلى ذلك .

إن تجاهلنا «للأنوية» في الطفل كثيراً ما يؤدي إلى تكوين العقد النفسية فيه ، فقد اعتاد الناس في مجتمعاتنا على مداعبة الطفل الصغير أمام أطفال آخرين أكبر منه ، إننا لا نترك مبلغ الألم العميق الذي يشعر به الطفل من جراء ذلك ، إن أفراد العائلة كثيراً ما يفرحون بولادة طفل جديد لهم ، فيلبضون حوله ويضحكون له في حضور إخوته الذين هم أكبر منه ، خائفين مما يحدثه ذلك من أثر سيء في نفوسهم ، إن الطفل الجديد لم تتكون «أنويته» بعد ، وهو إذن لا يقدر اهتمامهم به ، بينما يشعر الأطفال الآخرون

النظرية الحديثة للدراسة طبيعة الإنسان تنحصر إلى اعتبار «الأنا» محور الشخصية البشرية . . في هذه الحالة كيف نحمل الفرق بين «الأنا» و«الأنانية» ؟ !

● «الأنوية» «كالأنانية» متسوية إلى الأنا ، ولكن هناك فرقا بينها في المعنى ، فالعلماء المتداول بين الناس عن الأنانية هو أنها هي التي تجعل الإنسان يهتم بمصلحته ، ولا يهتم بمصلحة الآخرين ، أما «الأنوية» فهي تعطي معنى آخر ، إذ هي تعني شعور الإنسان بذاته «أي الأنا» تجاه الآخرين ، وهذا الشعور يجعل الإنسان في دأب متواصل نحو رفع مكانة الأنا في نظر المجتمع .

إن الإنسان يوجه عام «أنوي» وليس أنانيا ، ونحن لا نكر وجود أفراد غير أسوياء ، نلاحظ فيهم الأنانية ، ولكن هؤلاء قلّة قياساً إلى غيرهم من الناس ، فالإنسان السوي في الواقع كثيراً ما يخدم الآخرين ، ويضحى من أجلهم بنية نيل تقديرهم ، أي بقصد رفع مكانته في نظرهم ، وبعبارة أخرى : إن الإنسان يمد من مصلحته أن يخدم مصلحة الآخرين ، فهو فرد في مجتمع ، يسعى دائماً إلى رفع مكانته في نظر الآخرين ، وهو يشعر بالمعانة في ذلك ، وكلما ازداد ارتفاع مكانته ازدادت بذلك سعادته .

إن النظرية الحديثة في طبيعة الإنسان هي أن «الأنا» محور الشخصية البشرية ، ويؤسفي أن أقول أن هذه النظرية لم تعرف في اللغة العربية إلا في نطاق محدود ، ولا يزال الكثيرون من الكتاب العرب واقعين تحت تأثير مرحلة فرويد ويونغ وأطروا ولم يتجاوزوها ، هذا مع العلم أن نظريات هؤلاء أصبحت من النظريات المتبعة التي عفا عليها الزمن .

.. ماذا نقصد بقولك إن «الأنا» محور الشخصية البشرية ؟ هل هذا يعني «أنا» نرجسيون ؟ بالطبع ؟ هل «الأنا» يكتسبها الفرد من أفراد المجتمع أم أنها تنشأ لديه منذ الطفولة . . وهل كانت «الأنوية» معروفة قديماً ؟

ومن الجدير بالذكر أن هذه القواعد الكثيرة التي تدرس في مدارسنا ، لم تنشأ نشوءاً طبيعياً ، فالكثير منها قد اختلطها التحلة في العهد المباني تحت تأثير المتعلق الاغريقي وعوامل أخرى ، فأخرجوها بذلك عن السليقة الفطرية التي كان العرب الأولون يبرون عليها ، وبعبارة أخرى : إن العرب الأولين لم يكونوا يعرفون هذه القواعد المعقدة أو يتبعونها في أحاديثهم اليومية ، فهي قواعد غير طبيعية ، وليس من المعقول أنهم كانوا يعرفونها في الوقت الذي كانوا يتكلمون فيه على فطريتهم من غير تكلف وتصنع ، ولكن التحوين جعلوا بعضهم فصاروا يتنافسون في تطوير القواعد النحوية وتزويقها ، حيث صار ذلك حرفة لم يرتزقون منها ويتباهون بها .

نستطيع أن نقب القواعد النحوية التي طورها النحويون بالقواعد الفقهية التي طورها الفقهاء . فنحن نعرف أن النبي (ص) جاء بتعاليم قليلة في شأن الطهارة والوضوء والصلاة والصوم والحج وغيرها ، ولكن الفقهاء جاموا فطوروا تلك التعاليم وحملوها بحيث أصبح من الصعب على الإنسان اتباعها بعدا فريها ، ومن يريد اتباعها حرفياً قد يصاب بداء « الوسواس » الذي لا يرجى شفاؤه ، ومن يقرأ المجلدات الضخمة التي كتبها الفقهاء في موضوع الطهارة وحدها يجد بحراً بلا نهاية . وهذا هو الذي ثار عليه الشيخ محمد عبده في مصر والسيد حسن الأمين في الشام .

لقد دعوت دائماً إلى وجوب تقليص القواعد النحوية في لغتنا وتبسيطها ، وقد عانيت من هذه الدعوة ما عانيت ، وما أنا في أواخر عمري لا أبالي بما قالوا ويقولون ، وعزائي في ذلك قوله تعالى : « فلما الزيد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض » (١٧) الرعد . □

بالغيرة منه ، وربما انتهزوا الفرصة فيها بعد للإسامة إليه انتقاماً من حيث لا يقصدون أو لا يشعرون . كانت التربية القديمة غافلة عن وجود « الأنوية » في الطفل ، فقد كانت تعتمد على العصا في تأديبه من جهة ، وعلى الموعظة الخطابية من الجهة الأخرى . كان الأطفال عندنا يلعبون في الأزقة ، حيث تنشأ « أنويتهم » على أساس الضاحك بالقيم « الزقاقية » في الغلبة والإعتداء والسرقة ، كنا نتركهم يشلون على هذا النمط ، ثم نأخذ بتوجيه مواهبنا الرنانة اليهم . وهذا هو من عوامل نشوء الشخصية المزدوجة في البعض منهم ، أما « الترجسية » فلها حب الذات وهي شيء آخر .

يمكن إلغاء ثلاثة أرباع النحو !

- الحريصون على سلامة اللغة العربية ودعاة التشدد في استخدامها ، يهتمونك بضعف الأسلوب ، وقلة العناية بقواعد اللغة ، وخاصة النحو والإسماء ، وما أشبه ، والمعروف أنك نشأت في مدينة دينية تكثر فيها المدارس التقليدية التي تدرس فيها مختلف العلوم ومنها العربية ونحوها وصرفها . فلم ابتعدت وخالفت ، وما هو تصورك لو طيفة اللغة ؟

● إن اللغة في مفهومها الحضاري الحديث وسيلة لا غاية . ولعلني لا أخالي إذا قلت إن الذين يسعون لتجديد لغتهم ، وإبقائها على نحو ما كانت عليه قديماً ، إنما هم يسعون إلى أهمتهم من حيث لا يشعرون .

قال لي أحد المتحورين من الذين درسوا النحو دراسة مستفيضة : إن ثلاثة أرباع القواعد النحوية التي تدرس في مدارسنا يمكن أن تُلغى دون أن يؤدي ذلك إلى أي ضرر .

● إن الكثير الذي ربحه العالم بالعقل ، لا يوازي ما خسره بسبب العقل أيضاً .
(براتراند رسل)



«المرتجى والمؤجل»

رواية من تأليف الكاتب العراقي غائب طعمة فرمان

بقلم : صلاح حزين

لا نبالغ إذا قلنا إن تاريخ الرواية العراقية - تقريبا - هو تاريخ روايات غائب طعمة فرمان ، فمنذ أن كتب عمله الأول « النخلة والجيران » حتى روايته الأخيرة « المرتجى والمؤجل » وهو يسيطر على المشهد الروائي العراقي ، ليس من حيث تصويره الفذ للحياة البغدادية الشعبية في تحولاتها منذ الأربعينيات حسب ، بل من حيث إسهامه المتصل في تحويل هذه الحياة بملاحمها الأساسية وتجلياتها المختلفة إلى موضوعات روائية لها ذلك السحر الذي يضفيه المؤلف على عوالمها وشخصياتها ومسار أحداثها .

العالية الثانية ، حيث يدخل الجنود الانكليز وجنود المستعمرات البريطانية ليعثوا في سكان أحياء بغداد الشعبية ليس كراهية المستعمر حسب ، بل يمثّلوا أيضا ذلك الحلم الجارف بالثراء السريع ، والتخلص من حياة الفقر والكد والتعب . فيبيع الحاج أحد طوّلته (زريبة البهايم) ، ويتحول سلمية الحبازة التي تقيم في الحوش الملاصق للطولة إلى بيع الصمون (الحبز الافرنجي) ، ويشرد مرهون السليس ، وحمودة المربنجي ، ومهرب نماضر من زواج لا تقبله ، ويتحول حسين ابن زوج سلمية الحبازة إلى بلطجي للحي بعد معركة

إن قاريه غائب يدهش مرتين ، مرة لأنه شاهد قطعة من بغداد الحقيقية تعود إليه نابضة بالحياة يشوارعها وأزقتها وأناسها ، ومرة لأن هذا البحث لقطعة الحياة القديمة أخذ شكلا آخر ومضمونا آخر ، واتخذ أبطال قصصه مسارات حكمها منطق جديد يمت إلى عالم الأدب المسرح وليس إلى عالم الحقيقة التي بقيت هناك في رحم الزمان الحقيقي للأحداث .

هكذا كانت روايته الأولى « النخلة والجيران » التي بحثت إلى الحياة تلك القطعة الحميمة والحسنة من تاريخ العراق الحديث ، وتعنى بها فترة الحرب

عن الغربة ، وليس عن قلب بغداد الشعبية ، ولكن -وعده هي القنطرة- تظل بغداد بأحيائها ولزقتها وميلها وشخصها وشطها ونخيلها حاضرة في الرواية كشأنها دائما ، وإن كان حضورها هنا على لسان المفتريين وفي أنفهامهم ، وفي زيارات الأكلاب القاصمين من هناك ، وفي الشرطة التسجيل ، وفي الأغنيات ، وفي الليمون الحامض الذي يأتي مع زائرة من العراق فتحمل معها « راحة الجنوب الراجعة » وفي « كرزات مشكلة من



الموصل ، وحة خضرة ، وسبي » تعيد إلى ذهن المفترب حاضرة حية ، « أسيات الشتاء الحلوة حين تضع قرب المدفأة الضيقة كالجرد في اسطوانات أم الكلب صوت سيده ، وكذلك في أناشيد الدراسة الأولى التي تستعد في غربة تلف خريف العمر بقوة طافية أسرة لا تكفك من لحنا المميز في الايقاع الطفلي البسيط .

غير أكثر من شكل من أشكال النص يأخذنا غلاب إلى عالم المفتريين العراقيين الذين وجدوا أنفسهم يعيشين عن وطنهم الذين غادروهم لسبب أو لآخر ، دون أن يكون في استطاعتهم الانتهاء إلى

يتقلب فيها على البلطجي القديم ، وتكتمل حودة التغير الاجتماعي الذي طرأ على العراق في تلك الفترة من التاريخ بانتساق هذه الفئات الماشية التي أهلها بريق الثراء الخادع عن رؤية واقعها اليأس . وخلال الرواية تتوالى الأحداث على خلفية الوجود الانكليزي ، ليس عبر الجنود والمسكرات فقط ، بل من خلال تلك الحالة التي يثربونها في حيلة شريحة من سكان بغداد الحاملين بالثراء . وفي « خمسة أصوات » يختر غلاب بغداد ما قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، حيث ترسم صورة الرواية على لسان خمسة من شخصيات الرواية الأساسية الذين يشكلون عبر أصواتهم صورة العراق المضطربة قبيل الثورة ، ومن خلال هذه الأصوات ترسم صورة الفساد والفقر والتخلف والظلمة .

وفي « المخاض » و « القران » و « ظلال على النافذة » - وهي أهم رواياته قبل « المرغى والمؤجل » - يتابع غلاب رصد لتحويلات الحياة الاجتماعية العراقية ، وهو رصد لا يعمل أبسط التفاصيل ، بل إن صورة التحويلات الحقيقية تبدو أكثر ما تبدو في تلك التفاصيل اليومية البسيطة التي لم تقب عن غلاب في غربته عن وطنه منذ أكثر من ثلاثين عاما .

أشياء الوطن الجميلة

من بين أعماله الأخرى تذكرنا رواية « المرغى والمؤجل » برواية « خمسة أصوات » ، فالروايتان تنتميان إلى ما يسمى رواية الشخصيات . إذ كما في « خمسة أصوات » ينهض الحدث الروائي في « المرغى والمؤجل » ، من خلال عدد من الشخصيات أيضا ، ولكن مقابل الخلفية القائمة للفقر والفساد والانحلال والتفرد في « خمسة أصوات » تشكل الأصوات في « المرغى والمؤجل » بنية الرواية على خلفية من الضجر والقلق والوحدة والحزن إلى أشياء الوطن الجميلة الجميمة . و « المرغى والمؤجل » هي أول رواية يكتبها غلاب

صفحات الكتاب يحمل على الوجه الآخر نص الوطن ، فالملاقة بينهما هي شكل آخر من أشكال الملاقة بين الوطن والغربة ، بين اليأس والأمل ، بين الضجر من الحياة والتعايل من أجل استمرارها ، بين التمسك بها واستفاد فرصها والاستفادة من احتمالاتها المتعددة .

وعلى الرغم من البساطة الظاهرة في بنية « المرعى والمؤجل » إلا أن القاري ما يلبث أن يكتشف أن هذه البنية أكثر تعقيدا مما تبدو لأول وهلة ، إذ يقدم غالب شخصياته الروائية ، التي تتحدث وتتواجه وتتجاوز وتسكر وتتشارك مثرية أحداث الرواية ، عبر ثلاثة من أشكال السرد الروائي ، الأول هو قصة الفيلم الذي يرويها ثابت حسين لابته ، وهو يشكل جزءا مهما من بناء الرواية ، والثاني هو تلك الاعترافات المكتوبة بخط يحيى سليم التي يتركها لدى صديقه ثابت حسين ليرأها ، وتشكل هذه الاعترافات المكتوبة جزءا آخر ليس بالضرورة مكمل للجزء الأول ، لكنه جزء أساسي من البينان الروائي على أي حال . أما الشكل الثالث فهو شكل السرد الروائي بضمير الغائب ، وهذه الأشكال الثلاثة تتداخل وتتقاطع وتتضافر لتقيم معمار الرواية ، لكن حتى داخل الشكل الواحد من أشكال السرد المذكورة هناك مستويات للنص ، ففي مستهل الرواية تبدأ مع ضمير المتكلم : « أحذرك يا حسان عن أناس من بلادك ، وحلوا طلبا للعلم أو للرزق أو هروبا من ظروف قاسية ، وقلوا ما هي إلا أعوام ، ونمود سوفوري الصحة والعلم . ولكن الغربة استطالت ، فرأوا ينسجون على منوالها قصصا لهم وحكايات ، واقعين في حبال الانتظار » . وينتهي الفصل الأول والراوي هو المتكلم الذي لا نعرف هويته ولا هوية ابته . وفي الفصل الثاني يتحول المتكلم نفسه إلى موضوع الرواية ، لكنه هنا أيضا مجرد رجل بلا اسم ، يروي لابته الذي نعرف أنه مريض جاء للعلاج في هذه المدينة المجهولة الاسم قصة فلم تدور أحداثه حول يحيى سليم وأصدقائه

عالم الغربة ، فهم وإن غادروا وطنهم إلا أن وطنهم لم يغادرهم . ألممكن للاختراق فهو ببساطة شديدة ليس وطنهم ، وحياة الغربة ليست إلا « انتظارا لشيء سيحدث دون أن نعرفه على وجه التحديد . الحياة هنا لا تنمو ، بل تستطيل أياما وليالي مؤرقة مملوءة بالكموايس ، هكذا يصف يحيى سليم المغرب القديم أيامه في « المدينة الحجرية الجادة أكثر من اللازم » مستلهما حكمة صديقه ثابت حسين الذي حضر إلى المدينة لعلاج ابته من إصابة في رأسه ، فيلتقي صديقه الحميم القديم ، وفي هذه الغربة المؤرقة يبدأ بينهما حديث الوطن الذي هو حديث الذكريات والمزائم وخيبات الأمل والمعارك الخاسرة ، لكنه أيضا حديث الطفولة الأولى ، وحديث سنوات التكوين وسنوات المشق الأولى والتفجع على حياة ما لبث أن أسلمته للغربة ، ليجد نفسه دون أن يدري يواصل فشله وهزائمه وخيبات أمله ومعاركه الخاسرة . ويقضي أيامه في ضجر وملل « مترجما متزويا بين الأوراق والكتب المفتوحة والقواميس » .

ويحيى سليم واحد من مجموعة المقترين في تلك المدينة الحجرية التي لا يذكرها غالب بالاسم ، حيث يلتقي هؤلاء « الحرفان » ، كما يسميهم يحيى ، بينهم طالب الدراسات العليا الذي أضمن الدراسة صالح جيل ، وزميله في الدراسات العليا والغربة والفشل أيضا علوان شاك ، وبينهم الرسام مظهر ، وحازم تلك المغرب الغريب الأطوار الذي لا يكف عن إقامة الحفلات الوادعية التي يزعم بعدها أنه سيعود إلى الوطن ، لكنه يعدل عن ذلك في اللحظة الأخيرة . ولكن من بين أصدقاء الغربة هؤلاء الذين يخففون وطأة غربتهم تلك بالشراب والثرثرة على المقاهي وفي المطاعم والحانات ، هناك تلك الملاقة الخاصة التي تربط يحيى سليم بالقادم من أرض الوطن للعلاج ابته المطلوب ثابت حسين . وخلال لقاءاتها وحواراتها التي تستمر طيلة الرواية يقلب الاثنان صفحات كتاب الغربة ، ليكتشفا أن نص الغربة المكتوب على وجه كل صفحة من

في البداية أردت أن أقص عليه حكايات الذين استطاعوا الحياة في الغربة ، ثم وجدت نفسي أنفرد بأخبارك وجعلتك بطل فيلم .

لم يبد الغضب أو الضيق على يحيى ، لكنه ضحك ضحكة مهشمة ، وهم أن يقول شيئا ، إذ حرك صدره إلى الأمام ثم ارتد في اللحظة التالية ، وانكأ على المقعد كالنهار قائلا :

لم نجد شيئا آخر سلبيا نقصه عليه ؟

هذا المشهد الذي يفجر السكون الذي نكلس بفعل الغربة تحت السطح الوديع ليحيى سليم هو واحد من سلسلة من المواجهات الكاشفة التي تنشأ وكأنما بتدبير قدرى لتقول ليحيى سليم كم هو فاشل ، وتقنعه بأنه كان دائما كذلك ، لكن هذا الفشل الذي يمكن ليحيى سليم السيطرة عليه واحتواءه بين يدين نفسه ، يتحول إلى فعل مضفوح عندما يكون ثابت حين هناك . ومع ذلك فإن يحيى سليم يجد نفسه مساقا وكأنما بقوة قدرية إلى ثابت حين مرة بعد أخرى ، ليرى نفسه المشروخة في وجه صديقه الذي تحول إلى قرين له منذ ذلك اليوم الذي لا ينسى ، يوم تماركها الذي هو نفس يوم ارتباطها بتلك الصداقة الطويلة المضنية التي تحمل في ثناياها الاطمئنان والحب والإعجاب ، كما تحمل النذور والغيرة والحسد ، وربما نوعا من الكراهية الخفية التي تتيه في شبكة الخيوط المتداخلة لتلك العلاقة المعقدة ، وهو يوم يذكره أيضا ثابت حين في إحدى ليالي سهاده في المدينة الحجرية ، فينسى حين يذكر ، يوم أن تشاجر مع يحيى سليم . كانت هذه الصورة راسخة في ذهنه كلما استعاد صفحات من طفولته الباهتة ، في ليالي سهاده ، صورة فتى نحيل متوسط القامة ، له عادة إحوال عينيه عند الغضب ، وفي الظروف الحرجة ، ولم تكن هيته توحى بأنه معارك : احديداب خفيف في الظهر ، تقوس ملحوظ في الذراعين ، وذلك الحول في ساعة الغضب والشدة .

ينظر الطفل يحيى من ثابت ، ويتوعد بهراكه ، أما ثابت فقد كان مجبرا على الدخول في تلك المعركة

« الخرفان » ، ولا نعرف اسم الرجل ، ونكتشف علاقاته ولا نتعرف على أصدقائه « الخرفان » إلا في الفصل الثالث من الرواية . على هذا النحو من التدرج المعقود تبدي لنا الشخص والأحداث لتتضافر بعد ذلك أشكال السرد الأخرى في نسج أحداث الرواية حتى نهايتها .

الأصدقاء المرايا

عبر أشكال القص العديدة هذه تبدو الصورة المركبة للعلاقة بين يحيى سليم وثابت حسين هيكلًا للرواية تتمحور حوله الأحداث ، وتحرك الشخص ، وتقيم علاقاتها وحواراتها . فيحيى وثابت الصديقان الحميمان القديمان مرأتان لبعضهما بعضاء كل منهما امرأة للآخر ، لكنها مثل غيرها من الأصدقاء المرايا ، يكشفان لبعضهما بعضا أحياق نفسيهما ، ليدو الواحد منهما أمام الآخر عريانا يحاول أن يغطي عريه بكلمات جميلة متممة ، لكن دون جدوى ، وكلما أمعن أحدهما النظر في الآخر وجد ذاته هناك في أحياق صديقه ، ولا يتوقف إمعان النظر ، وتستمر الصداقة التي يقدمها غائب على أنها في أحد وجوهها نوع من التناقص الخفي ، وربما نوع حميم من الكراهية التي تبدي كلما احتتم التقاش بين الصديقين الغريمين .

ففي مستهل الرواية يصد ثابت إلى رواية قصة فلم لأبته الراقد على سرير المرض ، ليثبت فيه الاهتمام بالحياة بغضابيلها الصغيرة ، لتتشتت فكره وذكريته ، فيجد نفسه يتلو على ابنة قصة صديقه يحيى سليم مع عطلته التي احتفظت بأبنائها ، فتشأ الطفل وهو لا يعرف والده ، وعندما يلتقي الاثنان يتخاطبه ابنة على أنه عمه وليس أباه . ويرويته تلك لقصة القلم انما كان يروي حلقة من مسلسل فشل صديقه المغترب يحيى سليم ، وهذا ما يؤلم الأخير ، فيقول حين يعلم أن صديقه القديم قد حكي قصته لابنة المريضة .

« كأنك موكل دائما بنشر هزائمي .

قال ثابت متراجعا :

أم اعترافات ؟ لم زفرة كانت غنوة في الصدر ، لم يجد صاحبها بدا من أن يغنوها وإلا خنته فروسيه ، ولا فرق أن تكون مهزومة أو موهومة . وخلال قراءته للأوراق يكتشف ثابت أنها بالفعل زفرات تحكي قصص فشل يحيى التي لم تنته . فشل في العمل ، وفشل في اللصب ، وفشل في الحصول على امرأة ، وفشل في الخطبة ، وفشل في الزواج ، وفشل في الحب ، ثم فشل يصل حدود العبت عندما يتصرف على امرأة ويدعوها إلى مطعم ، فضلل المرأة في التآلف مع المكان ، وتصرف في الشراب قبل أن تعلم له أن هذا المطعم هو المكان الذي أقيمت فيه حفلة الزفاف مع زوجها الراحل .

فشل الغربة

لكن فشل يحيى الأكبر هو في الاستسلام لفكرة الغربة ، وفي رفض أن يكون لحياته مردود ، فهو في النهاية رجل بلا تاريخ ، بعكس ثابت الذي يستند إلى تاريخ ، والذي يحاول أن يفتح يحيى أن « لا تاريخ يمكن أن يكتب خارج الوطن » . هذا النوع من الفشل هو الذي ينشأ يحيى . وحين لا يجد غضاضة في ذكر قصص فشله في أوراقه أو في أحاديثه العابرة على المقهى أو على الهاتف مع ثابت فإن فشل الغربة هو الذي يحول الحوار إلى مواجهة بين الصديقين القديين والتي يملن فيها ثابت أنه « ضد المشاريع الطويلة خارج الوطن » ، ويطلبه بأن « يكون لحياته مردودها » ، ويزداد الحول في عيني صديقه لبشجر قائلا :

« كنت أبغض أولئك الذين يشعرون بأنهم مضطرون علي ، وأنت كنت تبدو كذلك . كنت مضطوقا علي بسهولة الطويل ، بهمتك القاتل ، وحتى بضمحك الجسدي الذي كنت تبدو وكأنك تتحدى به إنسانا عملاقا مثلي ، بينما تريبت أنا كإنسان مؤهل لأن يقوم بمجيزات .. لم تبق لي علاقة بها إلا في الانتظار » .

غير أن فشل يحيى ما هو إلا الوجه الآخر لفشل ثابت ، وإن كان فشل يحيى أكثر صخبا ، فإن فشل

التي لم يجتزا . وبعد الدرس الأخير تقابل الحصان الصغيران بين رعد من التلاميذ الذين تحلقوا حولها . « كان يحيى سليم يسير في جانب من الطريق ، وثابت حسين في الجانب الآخر . نزل الأول من الرصيف . ونزل الثاني . تقدم هذا وتقدم ذاك . وعندما كانا على بعد خطوتين وأى ثابت عيني صاحبه تحولان ، فعرف أنه في غاية الغضب . وحصل ضرب طائش عجول غير موفق ، بعضه كالرقص في الهواء . ولم يت إلا بعد أن أمك الطرفان وتوقفا عن القتال من تلقاء نفسيهما ياسا من عابضة الأنصار لها . وأسفرت الحركة عن خدوش وكدمات ، دون أن يشعر أحدهما أنه أنشئ خليه من صاحبه . والغريب أنها صاروا ، بعد هذا الحادث ، صديقين قريين » .

الكراهية الحميمة

إن غالب يقول هنا إن صداقة ثابت ويحيى منذ ذلك اليوم الفاصل ، وحتى أيام اللقاء في الغربة كانت استمرارا للمعركة التي لم يكن فيها متصرا بينهما ، والتي لم يشف أي منها خليه من صاحبه خلاها . إنما استمرار للصراع الخفي ، غير المسبب ، وغير المبرر بين يحيى وثابت ، لكنه اتخذ شكل الصداقة اللدودة ، أو الكراهية الحميمة بين الاثنين ، صداقة اندلعت بين يحيى وثابت بعد أن فشلا في إنهاء معركتهما الجسدية بانتصار أحدهما . وحين يبدأ ثابت قراءة أوراق كان قد تركها عنده يحيى سليم يقابجه العنوان الذي كتب بخط يد صديقه « الفروسيه المهزومة » ، وبعد تردد يقرأ ثابت « له أيا الشح الذي يطاردي » . ويستمر ثابت في ذكرياته القديمة ، ويتذكر صاحبه وهو يقول له : « هل قرأت قصة اسمها الشيء لديستوفسكي ؟ اقرأها ، وسنغم ، الأصل والشيء كلاما تتلطمه أمواج السياسة . فآثر أحدهما البقاء في العراق ، ودمت الآخر إحدى الأمواج العاتية ، فآلقته خارج الوطن ، يتلمس موردا للرزق » . ويتساءل ثابت : « ما هذه ؟ قصة

المشاريع المؤجلة

وتعطي المواجهة بين الاثنين ، تستهلك فصول الرواية ، وينجح يحيى في واحدة من تجاربه ، وهي - للمفارقة - تجربة مواجهة الموت ، حيث يموت والد زوج إحدى صديقاته ، فيضطر إلى الذهاب معها لتجهيز الميت ، ويفعل ذلك بنجاح تقريبي كما يقول لنفسه متذكرا صديقه الحاضر أبدا ، أما ثابت فيخبره « البروفسور » المشرف على علاج ابنه أن باستطاعته العودة إلى وطنه مطمئنا وإلى أنه سيعيش ما كتب له من العمر . ويفلتر ثابت المديونة الحرجية ، ويبقى فيها يحيى الذي يقول بأسى : « سأقتنه ، سأقتنه .. سيأخر » ويقرر ألا يفعل شيئا ، بل أن ينأى حتى ما بعد الصباح ، مثل صالح جميل وبقيّة أصدقاء الغربة أو الحرفان الذين تركهم ثابت أفلاكا تدور حول نفسها . ويقول يحيى : « من موقعه هناك يستطيع أن يفعل شيئا ، أما هنا فيأبى أن يستطيع أن يفعل ؟ كلتا مشاريع مؤجلة » .

« المرحى والمؤجل » رواية عن الغربة ، رواية حنين ، والحنين هنا هو ذلك الشعور الغامض الذي يجمع الحزن والأسى والفرح والحنان والرضا المستسلم لقدرة الغربة الذي لا مرد له ، ومكونات الحنين هذه هي في الوقت نفسه مكونات هذه الرواية التي لا مبالغة في القول بأنها واحدة من أجمل روايات الحنين . □

ثابت أكثر إيلاما ، وأكثر غورا في داخله ، وأكثر التصاقا به ، وهو فشل لا يوجهه بمصيبة متوترة إلى صديقه ، كما يفعل يحيى ، بل يأتي على شكل حوار داخلي ، ومتناجاة وممس حزين للنفس ، فثابت الذي فشل في السياسة ، وخرج من تجربته السياسية مدنى القلب والفؤاد ، ملقى في ركن قطار سائر للموت ، يكتفى بأن يكون له من هذه التجربة تاريخ ، وحين يخلو إلى نفسه بعد إحدى المواجهات مع صديقه ومراته يحيى يكتشف أن حياته لا تقل غواء وفشلا عن حياة صديقه ، فيقول لنفسه : لا ، لا تسرف في إدانتك لصديقك ، ولتصويره بالصورة المعاكسة لك ، فتثبت بذلك صحة نظريته في الأصل والشبه (أينما الأصل وأينما الشبه ؟) ، تلك هي المشكلة . تعظه بأن يكون لحياته مردود . وأنت هل لحياتك مردود ؟ . وفي إحدى المواجهات يصرخ ثابت لصديقه : « ليس هناك شيء مضمون غير أن تشرق الشمس كل صباح ، ليصل الفشل لدى ثابت إلى لحظة عدمية ، ربما لم يصل إلى مثلها يحيى سليم ، وفي حوار مع ابنه الراقص طريح الفراش يقول له : « جيك سباني ثابتا ، على أمل أن أكون ثابتا في حياتي ، وقد حاولت منذ أن وعت على نفسي ، ولا أحرف هل وفقت في ذلك أم لا . ولكن هذه المحاولة كلفتني كثيرا » . فهل هناك أكبر من فشل يحيى سوى فشل صديقه وخبرته ثابت ؟

□ احذر من تأمن ، فإنك حذر عن تخاف .

(الجاحظ)

□ الوطنية شعور ينمو في النفس ويزداد لبه في القلوب ، كلما كبرت هموم الوطن وعظمت مصائبه .

(مصطفى كامل)

□ لا يمكن لقوة تحت الأرض أن تستعبد عقل الإنسان وروحه .

(محمد علي جناح)



مصطفى كامل



بقلم : الدكتور عبد الستار إبراهيم

يسم عصرنا الراهن بعدد من الظواهر التي لها تأثيرها الواضح على
الصحة النفسية للإنسان ، فالانتقال السريع من وضع إلى آخر بتأثير التقدم
التقني المائل وتطبيقاته ، وعوامل أخرى أدى ببعض البشر إلى الاضطراب
النفسي الذي وصل إلى حد المرض . ومن الشائع أن حالات القلق هي نتاج
هذا العصر وحده ، مع أنها كانت شائعة منذ فجر التاريخ حتى الآن .

علماء النفس المعاصرين . وما يرتبط بالقلق من
مفاهيم كالجزع والخوف والهم والتوجس أشياء
سادت أفكار الناس ، وسيطرت على مشاعرهم ، في
ختلف صيغهم الحضارية . وحاولوا - مثلاً - أن
يفسروها وأن يجدوا طرقاً لمعالجتها . ويؤكد لنا
علماء التاريخ أن الكتابات المبروغرافية التي تركها

يخلو كثير من الفلاسفة والشعراء والأدباء أن
يصفوا عصرنا هذا بأنه عصر القلق ، لكن
الحقائق التاريخية تبين لنا أن القلق شعور قد عرفه
الأقدمون كما عرفناه . كذلك اختبر الأقدمون
المخاوف المرضية وعانوا منها كما نعانى نحن .
فمفهوم القلق إذن ليس شيئاً جديداً من صنع

المصريون القدامى قد أشارت إلى الفلق وشرحه .
وأن فكرة الخلود التي ملكت عقول الفراعنة ودفنتهم
لبناء الأهرامات والمعابد المهيبة قد قامت على هذا
الشعور الأبدي بالفلق من الموت والخوف من
الفناء .

وفي العصور الوسطى كان الفلق

وفي العصور الوسطى نجد الفيلسوف العربي
علاء بن حزم القرطبي يؤكد أن الفلق حقيقة أبدية ،
ويسماله - كعلماء النفس المعاصرين - على أنه شرط
أساسي من شروط الوجود الإنساني . ويبدو أن
العرب لم يكتفوا بوصف الفلق وشرحه ، بل اهتموا
أيضا بعلاجه .

وقد تفوق الطبيب الفيلسوف « ابن سينا » على غيره
من الأطباء في الشرق والغرب عندما تنبه إلى ما يتركه
الفلق والانفعالات على الجسم ووظائفه من
تغيرات .

ولفخر الدين الرازي محاولات مماثلة لتعريف
الفلق ووصفه وما يتركه من آثار على النفس
والسلوك ، ضمها في كثير من كتبه ، خاصة كتابه
المعروف « المباحث الشرقية في علم الإلهيات
والطبيعات » .

وفي سنة ١٦٢١ م صدر كتاب « تحليل الحداد »
ليبرتون في أوروبا وفيه تحدث عن الفلق بإسهاب ،
ووصفه كما يصفه علماء النفس المرضي المعاصرون
من حيث ما يتركه من آثار على النفس والبدن
كذلك يكشف لنا تاريخ الطب النفسي عن
حقائق تبين أن الفلق لم يميز بين العظمة والصعاليك .
وهناك ما يشي أن حياة كثير من العظمة والمشاهير لم
تنتج من مشاعر الفلق وضراوته . فالفيصر
« أغسطس » كان يجزع من الظلام ، ولم يكن يجرؤ
على البقاء في مكان مظلم بمفرده .

الصفوة المعاصرة والفلق

ويسجل لنا رونالد فيف ، وهو طبيب نفسي
معاصر معروف ، بسبب اكتشافه لعقل (اللبثوم)
المعروف بتأثيره الانحياي في علاج حالات التغلب

الانفعالي ، أن الرئيس الأمريكي « ثيودور
روزفلت » كان فضلا عن إصابته بمرض الهوس
والاكتئاب يعاني من حالات شديدة من الفلق ، فكان
لا ينام إلا لاما ، ويفرق نفسه في اتصالات هاتفية
دائمة ، وكتابات تألفه مستمرة . كان يبدو أنها
محاولة منه لتجنب مشاعر الفلق الحادة والاكتئاب
الداخلي المتأصل فيه منذ الصبا .

والكاتب الايطالي « ماتروني » كان يخاف أن يغادر
منزله بمفرده خوفا من الإغفاء ، ولهذا كان يحمل معه
زجاجة « خل » صغيرة ، يتقل بها إذا ما كانت هناك
ضرورة لخروجه . ومن المعروف عن الشاعر العربي
« ابن الرومي » أنه كان مسرعا في تشاومه وتخوفه
لدرجة المرض ، وأنه كان يرفض أن يخرج من داره
إذا ما تلمس أي علامة من علامات التطير . ويصف
لنا طه حسين أن أبا العلاء المعري قد سجن نفسه في
منزله هروبا من الناس ، لدرجة أنه لقب بزمين
المحبسين : العمى البصري ، والخوف من الناس .
ومن الغريب أن « سجموند فرويد » الذي يعتبر
من أكثر العلماء اهتماما بوصف الفلق وعلاجه ، قد
عانى أيضا من أمراض الفلق ، بما في ذلك الخوف
الشديد من السفر عندما كان في الثلاثينات .

والخلاصة أن الفلق يمكن أن نراه كما كان يراه
الفيلسوف العربي « ابن حزم » على أنه حقيقة أبدية ،
وأنه حدث ويحدث في مختلف الأوقات والعصور ،
ويصيب الناس على مختلف ألوانهم ومذاهبهم .

الوضع المعاصر للفلق :

تفاوتت المجتمعات الإنسانية المعاصرة فيما بينها
من حيث درجة التصنيع والتمدن . وهناك زعم
يشجع بين بعض علماء الاجتماع ، يرى أن
المجتمعات الصناعية أكثر استهدافا للفلق
والاضطرابات الانفعالية من المجتمعات النامية ،
بسبب ما يشهده التقدم الحضاري من ضغوط نفسية .

إن نتائج البحوث التي أجراها العلماء الغربيون ،
ونتائج البحوث في الأقطار العربية تتناقص مع الزعم
الشائع بأن الفلق ظاهرة تخص المجتمعات

الصناعية .

وتعد دراسة العالم الانجليزي الأمريكي المعروف « كاتل » وزملائه من أهم الدراسات التي أجريت لفكرة مستويات القلق بين ستة مجتمعات إنسانية ، تطاولت فيها بينها ، من حيث مستوى التطور والتقدم الصناعي ، هي : الولايات المتحدة ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وإيطاليا وبلندا والهند .

لقد كان من المتوقع أن يصل مستوى القلق في المجتمعات الأنجلو أمريكية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا إلى أعلى درجاته ، وذلك انطلاقاً من الصور التقليدية بأن المجتمعات الغربية تتميز بالتنافس ، والنشاط الشديد ، والارتفاع السريع ، وبالتالي تصل إلى إشارة القلق والتوتر ، إلا أن النتائج سارت على عكس هذا التوقع ، وترتبت المجتمعات الستة من حيث ارتفاع مستوى القلق على النحو الآتي : بولندا - الهند - إيطاليا - فرنسا - بريطانيا - الولايات المتحدة الأمريكية . أي أن بولندا كانت من أكثر المجتمعات الستة ارتفاعاً في مستوى القلق ، والولايات المتحدة من أقلها ، ولهذا نجد أن « كاتل » يتضح بأن نظر للقلق والعصاية على أنها : ١ - يتزايدان في المجتمعات النامية ، والمجتمعات الفقيرة أكثر من المجتمعات المتقدمة ، بسبب الضغوط التي تخلفها ظروف التكيف لواقع اقتصادي قاس .

٢ - أن المجتمعات التي تنبج فيها التنظيم الاجتماعية والسياسية نحو التسلسل ، تعمل على كلف تلقائية الأفراد ، وتحد من مفهوم النفسي والفردية ، ويصحب ذلك شيوع في المظاهر العصبية والتوتر النفسي والقلق .

٣ - يتزايد القلق في المجتمعات التي يتبج أفرادها نحو الحظسوس الشديد والمجازاة ، ويتضائل في المجتمعات التي تشجع على المنافسة والتصير الحر .

وتعتقد - من جانبنا - أن هذه التفسيرات صحيحة بناء على ما تجمع لنا من نتائج في دراسة الشخصية في المجتمعات الغربية .

المجتمعات العربية والقلق

تعد المجتمعات العربية في حرف أهل السهاسة والاجتماع من المجتمعات النامية ، أي المجتمعات التي لم تبلغ بعد شأن المجتمعات الغربية من حيث التقدم المادي الصناعي والتقدم الحضاري . وقد أشرنا إلى أن البعض قد يظن نتيجة لهذا بأن القلق والاضطراب النفسي لا يشيع في الأنظمة العربية بكثرة ، لسهولة هذه المجتمعات من ناحية ، ولأنها ليست في مستوى التقدم الحضاري الغربي من ناحية أخرى . ولقد قمت شخصياً - خلال الزيارات المتعددة لكثير من أقطار الوطن العربي - بإجراء عدد من الدراسات عن شيوع القلق في مصر ، والسمودية ، وليبيا ، والكويت . وقد أمكن لنا خلال هذه الدراسات من الإجابة عن عدد متوع من الأسئلة في هذا الموضوع منها :

- هل نحن فعلاً أقل قلقاً ، وأقل تعرضاً للاضطرابات النفسية المرتبطة بالقلق ؟
- ما هي أنواع القلق الشائعة بيننا ؟ وما هي مصادر الاضطراب فيها ؟
- ما هي جوانب التشابه والاختلاف بيننا وبين غيرها من المجتمعات الأخرى فيما يتعلق بمظاهر القلق وأشكاله ؟

وكانت نتائج هذه الدراسات في المجتمعات العربية كما يلي :

في مصر - مثلاً - تبين لنا في دراسة أجريتها على ثلاث مجموعات من الطلاب في أمريكا وبريطانيا ومصر أن نسبة القلق ومستويات العصب تزداد بين المصريين ، بتلوهم الأمريكيون ، ثم الانجليز . بعبارة أخرى عبر أفراد العينة المصرية أكثر من أفراد العيتين الإنجليزية والأمريكية عن علامات دالة على القلق الانفعالي ، والتطرف والانزعاج ، فضلاً عن تزايد المشكلات المرتبطة بصعوبات في النوم ، والمعاملة من الأرق ، وعطفان القلب ، والتعب ، والالام العضلية . وكلها مظاهر يراها العلماء معبرة عن القلق وتبج التسمين بالعصب .

وإذا كان القلق في الدول الغربية يأخذ شكل

الدراسة أن تحدد أنواع المخاوف وحالات الفلق والاكنتاب الشائعة بين طلاب هذه الجامعة ، وإلى أي مدى يرتبط ظهور هذه الاضطرابات بالتغيرات الاجتماعية الشديدة التي يمر بها المجتمع السعودي . وتمطي النتائج صورة مماثلة لدراسنا المصرية والليبية : فمن ناحية الاضطرابات الدالة على الفلق والمصاية عبر ٥٢٪ من افراد العينة السعودية من المعجز عن التركيز جيدا في موضوع واحد ، وذكر ٥٣٪ منهم بأنهم يأتون من الحجل ، و ٤٦٪ قالوا إن من الصعب عليهم المحافظة على الانتباه لموضوع واحد دون التحويل الفكري والسرطان ، و ٤٢٪ عانوا من الرعدة والانتفاض عندما استأثرهم أحد ، بينما عبر ٣٥٪ عن مخاوف مرضية مرتبطة بالحوانات ، و ٣٣٪ عن مشكلات وخاوف متعلقة بالدراسة والمستقبل .

أما من ناحية الاكنتاب ، وهو من أحد الأعراض التي تصاحب في أحيان كثيرة حالات الفلق ، فلم تختلف نتائج دراستنا للطلاب السعوديين عن نتائج الدراسات السعودية للمرضى السعوديين التي تبين أن حالات الاكنتاب تلوق مثيلها في الغرب . أما بين الطلاب فقد عبرت نسبة مرفعة منهم عن لوم النفس عندما تسوء الأمور (٦٤٪) ، وأهم يشعرون بالمعجز (٥٢٪) ، وأن شهيتهم للطعام ضعيفة (٤٩٪) ، وأن للمجتمع لا يبالي بهم (٤٥٪) ، وأن حياتهم لا تثير اهتمامهم (٤٢٪) ، وأهم يعانون من صعوبات متعلقة بالنوم (٣٨٪) ، وأهم فقدوا شعورهم بيهجة الحياة ولذاتها (٣٣٪) .

وفي الكويت درس الباحثون مدى شيوع الفلق ، وعدم الاستقرار الانفعالي (خالي، ١٩٠) ، وتبين هذه الدراسات أيضا أن حظ الكويتيين لا يقل عن حظ غيرهم من أفراد المجتمع العربي من حيث شيوع المظاهر الدالة على الفلق والتوتر النفسي . وقد ازداد شيوع المصاب بينهم أكثر من الانجليز .

وتكتشف المقارنة بين الذكور والإناث في المجتمعات العربية عن نتائج أخرى تثير الاهتمام ،

الصراع الداخلي والتعبير عن مشاعر الضغط ، والهروب إلى العقاقير والخمور ، والمعجز عن الجسم والتوجس ، فإنه يظهر لدى المصريين - كياتين دراسة أخرى - بصورة مختلفة : شكوى جسمية ، وآلام في المفاصل ، وآلام في الظهر ، وعفان القلب ، وتعب سريع ، وتنميل ، وضيق النفس .

إن الشخص الفلق في مصر عادة ما يشكو - من الآلام والمظاهر الجسمية المرتبطة بالفلق . ويوضح لنا ذلك أن الشكوى الجسمية تكون هي الطابع الغالب على المرضى بالاكنتاب والفلق في المجتمعات النامية كالعند والباكستان وجنوب شرقي آسيا . ونتائج دراستنا المصرية تؤيد ذلك ، وتبين أن المصري بسبب عدم إتاحة الخدمات النفسية من جهة ، والحجل من التعبير عن الاضطراب النفسي من جهة أخرى ، مستحب الشكوى ذات الطابع النفسي المرتبطة بالفلق مثل الحوف والذنب والتوجس ، وسيكفي بالتعبير عن الألم الجسماني بمظهره المختلفة .

وإذا صح ما يقال من أن المخاوف المصاية تنشر بنسبة تتراوح بين ٣٠٪ و ٣٥٪ من أفراد المجتمع في الدول الصناعية ، فإن دراستنا تبين أن انتشاره في المجتمعات العربية يصل إلى نفس النسبة ، أو أصل من ذلك بكثير في بعض الأراض المهددة . ويتأكد ذلك في دراسة قمنا بها في ليبيا عن انتشار مظاهر الفلق الاجتماعي في عدم الثقة بالنفس في مواجهة الآخرين ، أو الحوف من التعبير عن الانفعالات والحاجات النفسية عند التعامل مع أفراد المجتمع والأسرة ، فتبين لنا أن ما يقرب من ٥٢٪ من افراد العينة الليبية عبروا عن مشكلات متعلقة بانخفاض الثقة بالنفس ، وتأكيد الذات .

التغيرات الاجتماعية والفلق

أما في المملكة العربية السعودية فإن النتائج التي توصلت إليها كانت بالتعاون مع د الزميل الدكتور عبدالله النافع ، وقد اعتمدت على دراسة ٢٨٠ طالبا بجامعة الملك سعود بالرياض . كان هدفنا من هذه

للمحافظة والتقبل لما هو سائد أو ما كان سائدا من القيم والاتجاهات ، ويدفع بعضها الآخر للتطلع نحو النماذج الحضارية الغربية بتركيزها الشديد على الاستهلاك المادي والثروة . ومن شأن هذا الشد أن يستثير تطلعات متضاربة تثير كثيرا من جوانب القلق وعدم الاستقرار في شخصيات أفراد هذا المجتمع .

ويمكن القول بأن العلاقات الاجتماعية في الأقطار العربية تدفع للخضوع الشديد والمجبرة على المستويات الاجتماعية المختلفة ، بدءا من الأسرة بتشجيعها على التقبل الأعمى لسلطة الأبوين ، والمدرسة بتشجيعها للسلطة المدرسية ، والعمل بتشجيعه على الخضوع للنظام الهرمي الذي يحل على قمته مدير العمل أو الرئيس ، وانتهاء بالنظم الاجتماعية والسياسة العامة التي تأخذ غالبا وصفا معارضا لحرية التعبير والتلقائية . ومن شأن هذه الضغوط وهذا النسل أن يستثير كثيرا من جوانب الصراع النفسي والقلق .

ومهما كان السبب فإن من الضروري مواجهة الاضطرابات النفسية وما تشيعه من نتائج سلبية بين الأفراد والنظم الاجتماعية في داخل هذا الوطن . فمن هذه النتائج يجب أن نقول ، ومن هذه النتائج يجب أن نتطرق بجدية نحو الإصلاح والتوجيه التربوي والصحي . ولعلنا من هذه النتائج مثال جيد للقلق المحمود الذي يدفع لمواجهة الخطر والتحيز الذكي لما تطرحه الحياة من مشكلات . □

وتستدعي ضرورة تتيها لمصادر الخطر ، فهي كل الدراسات التي قمتا بها تبين دائما أن الإناث أكثر تعرضا للقلق والتوتر النفسي من الذكور ، كما أنهم أكثر ميلا لتطرف الانفعالات والتقلب الوجداني والاكتئاب من زملائهن الذكور العرب . هذا الارتفاع الملحوظ في مستويات القلق بين الإناث العربيات مقارنة بالذكور العرب وجدناه في دراسات المصرية والليبية ، ووجدناه الدكتور خالي في العينات الكويتية ، ووجدناه «أهلوات» في الأردن في مقارنة الأطفال الأردنيين الذكور بالإناث . ونتائج العربية في هذا الصدد لا تختلف عن كثير من الدراسات العالمية الأخرى التي يبين أن الإناث دائما يرفعن عن الذكور في مستويات التوتر النفسي والقلق ، وربما نتيجة للتوتر البيئي والضغط الاجتماعي الشديد على المرأة بسبب الأدوار المختلفة ومتطلبات التوافق لواقع اجتماعي يتعارض مع التلقائية والتعبير عن المشاعر بحرية .

الخلاصة :

إن النتائج تبين في عمومها أن القلق والتوترات النفسية ترفع في المجتمعات العربية أو تتعادل - في أحسن الأحوال - مع درجة شوعها في المجتمعات الصناعية . وثبت أن هناك أنماطا من القلق تنتشر أكثر من الأنماط الأخرى في المجتمعات العربية . إن مجتمعاتنا العربية تعيش فيما يبدو في فترة حادة من فترات الشد بين تيارات متعارضة ، يدفع بعضها

□ العبقرية هي القدرة على تحمل المشاق .

(كارليل)

□ الحرية تنمو في أحضان العلم ، كما يتسلق النبات الجديد على العصى الخشبية .

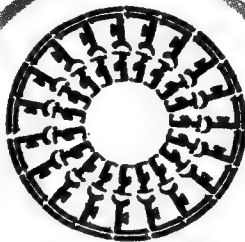
(روجيه جارودي)

□ إذا ابتسم المهزوم فقد المتصر لذة النصر ! (شكسبير)



روجي جارودي

في الأسواق



كتاب العرب

الحادي والعشرون

ماذا في
العِلْمِ وَالطَّبِّ
من جديد؟

بقلم مجموعة من الكُتَّاب

كتاب العربي مرآة العقل العربي



شأن العرب

قضية

مازق الإبداع الأدبي: أو "الروح الأسيرة"

بقلم : غالب هلسا*

كيف يرى الأديب الواقع من حوله ؟ ما العوائق التي قد تزيّف رؤيته ، أو تحد من أن تكون رؤيته مبدعة ؟ أحد هذه العوائق ما يدعوه الكاتب « الروح الأسيرة » . فماذا يعني بهذا المصطلح الذي يستعيره من علم الاجتماع ليشخص به سمة في موقف المبدع ؟ .

بين الأديب والواقع حواجز تمنع الرؤية أو تحدّها . وأعجب العجب أن أيا من علم الجمال ، أو علم النقد لم يطرح هذه المسألة البالغة الأهمية إلا بشكل عابر . علما أن آخران طرحاها - وفي سياق آخر مختلف - وهما علم الاجتماع وعلم النفس .

بين الأدب والفكرة ، بين العمل الفني والسياسة ، وأخيرا - وهو موضوع بحثنا - إشكالية الروح الأسيرة .

تتجسد هذه العوائق التي تقف بين الأديب والواقع في مجموعة من المسائل ، نذكر منها : العلاقات التي يقيمها الأديب بين الواقع والأخلاق ،

* روائي ونقاد عربي من القطر الأردني ...

السروح الأسيرة

« الروح الأسيرة » مصطلح في علم الاجتماع تم إطلاقه على حالة من حالات المثقفين في الشرق عندما يتفاعلون مع الحضارة الغربية . وهي حالة اضطراب وعنتية في الوعي لأنه لم يتم استيعاب الأفكار والرؤى الغربية بشكل جلي وخلق ، أي أنه تكون انفصام عميق بين الأفكار الواردة بكل برجها وبكل الدهم الحضاري الذي يستلها وبين الحياة الواقعية يتخلفها واستنادها الى منظومة متخلفة من القيم .

يصف أحد علماء الاجتماع السروح الأسيرة بقوله :

« تعتبر الانتقائية ، التوليفة (التلفية) وغياب النظرة النقدية الإبداعية للوعي ، والاختراب (أو على الأصح الغربية) من القضايا الفعلية للمجتمع السمات الرئيسية للروح الأسيرة ، وشكلت هذه الحالة الناجمة عن الثقل المتسلف الميكانيكي لأنظمة التعليم الأوروبي ، ومناهجه الى الواقع الأفرود - آسيوي إحدى الطبقات الجبلية على طريق التطور السليم للمسيرة الثقافية .

سوف نرى في هذا البحث أن تحليل السروح الأسيرة لا يقتصر على التفاعل غير المتكافئ مع المجتمع الغربي ، ونرى أيضا أن العنتة الإبداعية التي يمشيها المبدع العربي تعود أيضا الى تسرب ايدولوجية المجتمع الأبوي الى مجالات لن تتفتح دون الغاء ، أو على الأقل تعطيل هذه الأيدولوجية الكابحة للإبداع .

وإذا ما قلنا مفهوم الروح الأسيرة الى مجال الإبداع الأدبي ، وخاصة القصة القصيرة والرواية ، فالتنا سجد الكثير من الأفكار الجديدة التي ستساهم في إغناء المفهوم الوارد في علم الاجتماع .

كيف يتجلى هذا المفهوم في الإبداع الأدبي ؟

ظل لأديب آخر !

بداية كل أديب أن يكون ظلًا لأديب آخر . إن تأثيرات دستوفسكي بحوجول استمرت حتى آخر

حياته . ولا يقتصر هذا التأثير على استمارة الشكل الأدبي من الأدب الملم ، ولا على الرؤية ، بل يمتد الى استمارة الشخصيات أو السياق الذي تندرج فيه الأحداث وتسلسل .

هذا أمر طبيعي ومفهوم . ولكن ذلك لا يعني أن ذلك الأديب يتسم بامتلاك الروح الأسيرة ، إلا في حالات معينة ستكون موضوع حديثنا .

تبعية الأديب لأديب آخر ضرورة حيوية لتمكين الكاتب الناشئ من امتلاك الشكل الفني . بداية الامتلاك تكون تقليداً أو اتباعاً ، يليها مرحلة ابتداء الشكل الفني الخاص بالكاتب نفسه ، يجب ان نشير هنا الى ان استمارة الشكل الفني تشكل حاجزا بين الأديب والواقع . فالحيلة لا تمنح نفسها الا عبر اطر ذهنية وإخلاقية مشحونة بمجموعة من القيم .

التجاوز الأول للأديب يتم من خلال استمارة الشكل الأدبي من آخرين سبقوه ، فمن خلال عملية الاستمارة هذه تتخلل أو قد تسقط الأطر القديمة يعود ذلك - في مجال الرواية على الأقل - الى انه منذ نشأة هذا النوع الأدبي وهو يرتبط بمجموعة من القيم والمضامين المعارضة ، أو حتى المناقضة للمضامين السائدة كان ذلك يظهر بوضوح سواء في الشكل الروائي أو في مضمونه الفكري .

منذ نشأة الرواية وينتأها الفني يقوم على افتراض وجود عالمين : عالم ظاهري وعالم سرّي . وكان العالم السري بقيمه ومضامينه هو العالم الحقيقي . كان ذلك ، بالطبع ، تمييزاً عن نشوء البورجوازية الأوروبية في قلب المجتمع الانقطاعي ، أي قيام منظومتين متعارضتين في قلب البلد ، أحدهما تحكم والأخرى تحكم بالسلطة .

لهذا ، فعند البداية ، والشكل الروائي يحمل مضمونه الفكري والإخلاقي للتجاوز : هناك قيم سرية حقيقية وأخرى ظاهرية زائفة . لهذا يمكن القول ان استمارة الشكل الأدبي هي خطوة أولى نحو النفاذ الى حقيقة الواقع . ولكن الإبداع ، بالطبع يفترض ان يمتلك الأديب شكله ورؤيته الخاصتين

به . هنا ، فقط ، يمكننا ان نتحدث عن الاديب المبدع .

من هنا ، وما تقدم ، نستطيع تعريف الابداع بأنه يتبدى بتمصص الشكل الادبي ، وروية الواقع من خلاله ، ويصبح ابداعا حقيقيا عندما تتكون للاديب رؤيته وشكله الخاصان به ، أي عندما يستطيع تطويع الاشكال المستعمارة للتعبير عن الواقع . من هنا نستطيع ان نذكر أهمية ما قاله (فوكتر) من أنه أصبح كاتباً بحق عندما تبين له أنه يستطيع أن يكتب عن قريته ولا يتوقف أبداً .

متى نكتب عن قريتنا ؟

مازق المبدع العربي أنه لا يستطيع أن يكتب عن قريته ، وأنا هنا أتحدث عن المشرق العربي . مازلتا نستعير الاشكال الابداعية الغربية ومضامينها . وهذا ما سنفصل الحديث عنه بعد قليل بمثال بالغ الوضوح يستند الى رواية « قدر يلهو » للروائي السوري المعروف شكيب الجابري .

كتبت هذه الرواية كتابة اولى عام ١٩٣٨ ، ثم اعاد المؤلف كتابتها في عام ١٩٨٠ ، ولهذا وضع على الغلاف عبارة « صياغة جديدة » وقد اخترنا هذه الرواية ليس لقيمتها الفنية ، وهي قيمة متدنية ، بل لأنها مثال تدليلي فائق الوضوح للروح الاسيرة من انجماين : اتجاه التكوين النفسي الذي ثبت هذه الروح ، واتجاه « النقل الميكانيكي المتعسف » للاشكال الأوروبية الغربية . هنا تصبح الروح الاسيرة تكويناً اجتماعياً - نفسياً راسخاً يصعب تجاوزه أو التخلص منه .

كيف يتعامل الرجل العربي ، وارث تقاليد وقيم المجتمع الأبوي مع المرأة الأوروبية المتحررة ؟ ما يفعله المؤلف هنا هو أن يخلق - أو بالأصح يخلق - الظروف التي تجعل المرأة الأوروبية امرأة من نساء الحريم .

تبدأ الرواية بلفظه بفتاة المانية في إحدى مدن ألمانيا ، وكانت : « الريح تنفخ قارصة ، ورذاذ المطر

يطأير على غير هدنى ، ويرشني بأسراب من لآله الندية .. » يلتقيها فيندفع في شريرة عاطفية لا نهائية :

« أحب شيء إلى أن انطلق في الليل الكبير .

تحت شلالات المطر .

في دوامة الزوابع ،

عبر دهاليز الظلام .

يقود خطلي فحيح اقاعي البرق ،

وعلاً سمعي هزيم معامع الكون الهائج . »

يقول هذا الفتاة « ظهر الكلال على ذراعها ،

فوقنا بنير حول على جانبها . » وتكتشف انه مضى

على الفتاة ثلاثة ايام لم تتم ، ولم تأكل شيئاً ، وإن

الراوي حين صادفها كانت ذاهبة لتتحرر . الراوي ،

إذا انقلعها من الموت جوعاً ، ومن الموت انتحاراً ،

ومن التشرد . فهي لهذا تقول له دون تردد :

« .. انه الواقع .. ألم أقل لك اني قد ولدت من

جديد منذ لقيتك ؟ .. منذ لقيتك » .

الواقع أن المؤلف هنا قال أكثر مما ينبغي . أراد

القول أن المرأة المتحررة قد ماتت وولدت بدلاً منها

امرأة الحريم . تلك المرأة التي تدنن بحسبها

ووجودها نفسه للرجل . فهي الفتاة محمد من

ينقذها من الموت ويطعمها ويؤويها في بيته . فعليها

ان تدفع المقابل ، أن تبيع حريتها وروحها له .

والراوي يتصرف ، دون شعور بالذنب أو إدانة

من المؤلف . وكأنه يمتلك روح الفتاة . فهي الخادمة

التي تعني ببيته وطعمه ، وهي التي تمنحه جسدها كلها

رغب في ذلك ، وعندما يشتهي امرأة أخرى فعليها

ان تتسكع في الشوارع حتى ينتهي . وعلى الرغم من

هذا كله فهو من محب طيلة حياتها حتى آخر لحظة .

من أجله تقبل اي شيء .

هل هي هذه الفتاة النموذجية التي يفرزها المجتمع

الأوروبي ؟ بالطبع لا . اذا من الذي أفرزها ؟

لقد أفرزها المؤلف نفسه ، فهو لم ير أوروبا

الحقيقية ، بل رأى قيمة نفسها ، قيم ومفاهيم المجتمع

الأبوي . وبهذا تصبح تجربة الحياة في أوروبا إعادة

انتاج لمفاهيم شرقية وليست تجربة معاشة .

● ملوك الابداع الأدبي : أوله الروح الأسيرة ،

ومضمونة للوصول اليه : الاستماعة بدليل الهاتف ، سؤال نقابة الأطباء او وزارة الصحة عنه ، الدخول الى عيادة اي طبيب وسؤاله عنه الخ . . فلماذا لم تلجأ الى هذه الوسائل ؟

ثم ما الذي جعل الطبيب يتزوجها وهي مصابة بالسل ، وهل شفا الموت ، في حين انه رفض الزواج بها وهي صحيحة معافاة ؟

لن نجد في الرواية نفسها اجوبة على هذه الاسئلة . الاجابة تجدها في رواية اخرى . نعمي بها رواية « سيدة الكاميليا » لالكساندر دوماس (الصغير) . الحكاية فيها ان فتى من عائلة ارستقراطية احب عذبة ، وعاش معها ، فاعتزضت عائلته بقوة . كما شعرت المرأة بورطه وبأن علاقتها به سوف تسيء الى مستقبله ، فتنظر انها تحب رجلا آخر . في النهاية يوافق اهله على زواجه بها ، ويذهب هو ووالده الى بيتها ليعلنا النيا ، فيكتشف انها ، بسبب اصابتها بالسل - تعيش آخر لحظات حياتها . ان سيطرة هذا النموذج من الرواية على الأدب العربي جعلتها مثلا يحتذى . من هذا فقط نستطيع الاجابة على الاسئلة التي طرحناها منذ قليل . فلماذا اختارت المرأة ان ترى حبيبها من خلال عملها في ملاهي بيروت ؟

السبب يعود الى ان النموذج العربي للفتاة التي تحب شابا ، وتموت من اجله تكون عادة راقصة في ملهى ليلي . لهذا السبب تم لاعتلاق العمل في الملهى كوسيلة للاتصال بحبيبها .

أما عن السبب الذي جعل الراوي يتزوجها وهي محكوم عليها بالموت فهو اعادة انتاج للفتاة ، كما تظهر في الافلام المصرية التي تضحي بنفسها من اجل مستقبل حبيبها .

وبكلمة مختصرة ان منطق هذا الجزء الأخير من الرواية يجب ان يحال الى النسخة العربية من « سيدة الكاميليا » حتى يتسنى لنا فهمه . اي ان الشكل الفني ومضمونه هو الذي يحدد انتاج الواقع ، لا العكس ، ويصبح مصير الشخصيات ، وتكوينها النفسي والاجتماعي . وكذلك منطق الأحداث محددا بالشكل

ومن هنا نستطيع ان نكتشف الجذر الحقيقي لظاهرة الروح الأسيرة . ان مفاهيم وقيم المجتمع الأبوي تقف حائلا بين الأديب ومعرفة الواقع . ولهذا هو لا يصوغ معايشته للواقع بل يصوغ الأفكار التي يعملها عن الواقع ، ويفرضها عليه . هنا يتوقف الابداع حيث تصاب القدرة على فهم واقع جديد وتجارب جديدة بالعنائة ، فلا يفعل الأديب شيئا سوى اعادة انتاج مفاهيمه .

أما الجانب الآخر من المسألة فهو استمارة الأشكال الأدبية وتطبيقها بشكل ميكانيكي متصنف ، وهو السمة المثالية للروح الأسيرة . وهذا ما طرحه علينا هذه الرواية بوضوح .

سيطرة « سيدة الكاميليا » !

تقطع علاقة الراوي بالفتاة لأسباب غير مقنعة . ولكن الراوي أصبح حلم حياتها . فبا تكاد تنتهي الحرب العالمية حتى تذهب للبحث عنه . كل ما تعرفه عنه انه طبيب في دمشق . فكيف تصل اليه وهي الفتاة اللاتنية ذات الروح المعلمة ؟

انها تذهب الى بيروت لتصبح راقصة ومغنية في احد ملاهيها . تذهب الى بيروت تأكيداً لقلوبها في قصيدتها التي تبث فيها الراوي حبها : « اني ذهبت - واني نظرت - فشيء منك يسا حبيبي - وفي الفؤاد حسرة - أه - هل من معين اء » .

وبعد مضي سنتين يلتقيها الراوي في الملهى البيروتي ، تتعرف عليه ويتعرف عليها . تكتشف له أنها جاءت الى بيروت وعملت في ذلك الملهى حتى تلقي به . فيتزوجان . ولكن الفتاة مصابة بالسل وتموت في النهاية .

إننا أمام اسئلة لن نستطيع الرواية وحدها ان نجيب عليها . فهل اضمن الوسائل للاتصال بطبيب في دمشق ان ترقص وتغني الفتاة في احد ملاهي بيروت لمدة سنتين ؟

إن الرواية لا تقول لنا ، لماذا لم تذهب الفتاة رأسا الى دمشق ، وتتصل بالطبيب ؟ هناك وسائل عديدة

والقيم والمفاهيم المستعارة .

هل نستطيع إقامة علاقة منطقية بين محاولة الكاتب إعادة صياغة المجتمع الأوروبي وفقاً لمفاهيم المجتمع الأبوي ، وبين إعادة صياغة المجتمع العربي وفقاً لقيم شكل اجنبي مستعار ؟

إن الربط بين الموقعين يتم حين تتأمل في علاقة الشكل الاجنبي بالرواية ، لقد وضع المؤلف ايلزا - منذ لقاؤه الأول معها ، في سياق النص العربي لسيدة الكامياليا ، وهي ترجمة المنفلوطي لها تحت عنوان « العبرات » جاء في الرواية :

« حين بلغت ايلزا هذا الحد من حديثها كنت اقلب في خيالي صفحات المنفلوطي .. »

ان وضع الفتاة منذ اللحظة الأولى في اطار « العبرات » أنبا ، كما اتضح فيما بعد ، بأن هنالك سلطة تتحكم في رؤية الكاتب ، وتعرض عليه طاعتها ، الى حد الغاء الواقع الخارجي . ان هذه الرؤية المتصلبة ، الطاغية ، هي سلطة المجتمع الأبوي . ان تجاوز هذه السلطة لا يعني الضياع فقط ، بل يعني ايضا اشارة مشاعر الغنى والخوف والاحباط الخ ..

ان الشكل المستعار يأخذ بالنسبة للمبدع العربي ، خاصة في المشرق ، طابع السلطة الأبوية . من هنا نستطيع ان نكتشف الجذور الحقيقية للروح الأسيرة .

هنالك سؤال لم نجيب عليه بعد ، وهو : ما الذي جعل السلطة الأبوية عائقاً للإبداع ؟

الموسم الفاضلة !

قبل أن اجيب على هذا السؤال اود أن أود على اعتراض متوقع ، وهو اني اخترت رواية غير ناعمة فنيا ، وحكمت من خلالها على الابداء العربي . ان هذا - كما قد يقول الاعتراض المتوقع - يتناقض مع أبسط قواعد البحث العلمي الجاد والمنطقي .

لقد اخترت بالفعل هذه الرواية ، رغم معرفتي بقيمتها الفنية لأنها تشير بوضوح شديد الى القضايا التي طرحتها ، ولكن هذا لا يعني ان الابداع العربي

ميراً من هذه المعطيات . فمنذ عام ١٩٢٧ كتب يحيى حقي يشكو من طغيان الموسم الفاضلة على القصة والرواية في عصره ، وتسأل : ألا توجد نماذج نسائية اخرى في مجتمعاتنا ؟ وكبر دور الموسم الفاضلة في ادبنا وفي افلامنا حتى كاد ان يلغى كل النساء الأخريات ، أو يهمشن على أقل تقدير .

ويصح القول نفسه حتى على كبار روائيتنا . فرواية نجيب محفوظ « اللص والكلاب » تقوم على علاقة اللص الشريف بالموسم الفاضلة . وهما شخصيتان مستعارتان من الأدب الغربي . كما ان حاتميه لا يقترب من الموسم في أدبه حتى يرفعها الى مستوى القداسة . هذه امثلة قليلة ، يمكن التوسع فيها كثيراً ، ولكنها تثبت اننا لم نختر رواية تشكل شذوذاً عن القاعدة .

نعود الآن لسؤالنا حول السبب الذي جعل سلطة المجتمع الأبوي عائقاً عن الابداع . الرواية خاصة ، ومنذ نشأتها الأولى ، كانت نتاج بزوغ الفرد . والفرد ، كنمط متميز عن مطلقات الروح الجمعية ، لم يشكل تماماً في مشرقنا العربي وفي المرات القليلة التي ينشأ فيها نمط انساني متميز عن الروح الجمعي فإن الأمر ينتهي به الى التصفية الجسدية ، او الروحية .

ولكن علينا ان نحدد العلاقة بين سلطة المجتمع الأبوي ونشوء الفرد .

فمنذ عصر النهضة حتى بداية القرن العشرين نشأت الفردية ثم ألقاها المجتمع الاستهلاكي .

يترافق نشوء الفرد بوعي الانسان بجسده . الأدب الذي يبدعه الانسان المنقسم بالفردية يتصف بشعور حاد بالجسد . وأول ما تفعله سلطة المجتمع الأبوي ان تقمع احساس الطفل بجسده ، يبلغ ذلك حداً من القوة ، أن تصبح استعادة الانسان الاحساس بجسده معناها الدخول في حالة هستيرية .

توقف هنا حتى لا يطول الحديث طويلاً مفرطاً . ويكتفي هنا أن نقرر أن سلطة المجتمع الأبوي هي التي تقمع قدرة العقل العربي ، والأديب العربي على الابداع . □



بقلم : محمد سمارة

الضاحات . وفي المساء يفاجئني بجلسته المعتادة أمام غرفته التي تخاذني غرقي ، مفترشا بطانية مطوية يضع طيات ، متسربلا بأخرى ، تتهدل حول كتفين عجفاوين ، حاثيا هامته ، مستغرا بالنظر في كتاب أو يستمع إلى المذياع أو يبيت يشيء ما . وكنت أغادر إلى الجبهة وأعود ولا يزال الرجل يتحرك نافعا من سيجارته قبضة دخانية كثيفة مغمضا يشيء ما ، أنا وهو دائما كائنان متوحدان ، ولم يكن ثمة مايربطنا غير التحية المتفضية . لكن ثمة ما كنت أجهجه في عينيه وهو يرقيني من طرف خفي ، فأقرأ في وجهه رغبة دنية لمحدثي .

قلت له ذات مساء : أنا ضجر ، أود أن أتجاذب معك أطراف الحديث ، بهل وجه الرجل ، وحاول

كانت القنابل تأتي إلى المدينة كفسريان مذعورة ، تنفجر في مكان ما ، فترفع سحابة غبارية ماتليت أن تتلاشى ، وليرهة يعم السكون ، ولم يكن البيت الذي استأجرت إحدى غرفه - بعد نصف بيتنا القديم - يعرف ضوضاء البيوت الأهلة . فباستثناء الدوي الذي يحدثه انفجار القنابل ، كان البيت صامتا كمقارة ، وكانت غرفه الثلاث تنوزح في حوش دائري قديم ، أسكن أنا إحداها ويسكن صاحب البيت المعجوز الأخرى ، أما الثالثة فهي عبارة عن خزن مهجور . كنت أرى الرجل دائم الحركة في حوش البيت كسلطان خلوع ، يجلجل ببقائه الخشبي متفقدًا شؤون البيت أو صاحدا إلى السطح يرعى مجموعة من الطيور ترغرف في الحوش

أن ينهض لمصالحتي قال : على الرحب والسعة ،
اجلس . شيء رائع أن أتحدث الى رجل أشم في ثيابه
رائحة البارود .

وضحك عن أستان صدمة وأردف : مع أنه
يدخل في رثتي كل يوم .

قلت : هل تعني البارود ؟

- آه . . ومن سواه ؟ أما القنابل فبها للمضحك ،
ثلاث قنابل سقطت قرب المستشفى التعليمي وأخرى
قرب مدرسة الزبير دون أن تنفجر ، لو كنت هناك
لرستها بقدمي كخفافيش عصياء ، أحيانا أتساءل وأنا
أراها تأتي في المساء مضيفة كعين فسفورية : ترى ما
الذي تقول هذه الكتلة الحديدية اللعينة ؟

ذات يوم قرأت قصيدة عن فتيلة تتحدث مع
نفسها وهي تنقب صدر الريح وقلت : أحقا أن
القنابل تتحدث ؟ يا للمعجب ! كيف استطاع خيال
الشاعر أن يجمع كفرس ، ويصنع هذا المأثر
الغريب ؟ فحين أقرأ قصيدة جميلة يخيّل لي أن
صاحبها أمسك الفرشة - لا القلم - ورسم لوحة فيها
دهشة وانبهار كخيوط من الضوء . إنه الضوء الذي
يسقط على الغابة الموحشة ، فيضئ بقعة صغيرة هي
أقرب الى القيروز فأقول هو ضوء الروح لآخر
ونمتيت أن أكتب شعرا ، وقلت ما الذي يملكه
الشعراء غير بياض الروح الباهر ؟ وعندما أمسكت
القلم ارتعشت الأصابع وسقط القلم فبكيت .

أحنى الرجل رأسا متعبا ونخيلته ينكمش تحت
الغطاء ويختفي . قلت :

- وهل يملك أن تكون شاعرا ؟

- ليس تماما . ربما هي حالة من الانبهار الوقتي ،
لكن لماذا ارتعشت الأصابع في الوقت السني
استسلمت الأفكار لرأسي ، إن الأفكار تأتي هادئة
كصبية خجول ، تطرق الباب فإن لم تجد من يشرع
لها الابواب ، ولت هاربة . فهل تطرق الباب ثانية ؟
أدركت أنني أمام رجل يزدحم بالأفكار ، لم أدر بم
اجيب ، غير أنني قلت :

- لكنك في صحة جيدة ، أراك تتحرك في حوش
البيت كغزال بري .

اغتصب ابتسامة باردة :

- هل قلت غزالا برياً ؟ ما أجل ذلك ، كلام يصلح
لموضوع مدرسي ، لكن ماضيه أن يمتلك الغزال
رأسا بحجم رأس اللبناصور ؟

وضحك عن نواجذ مصفرة وعشرين هرمين
وأردف : هل رأيت غزالا برياً ؟

- مرة واحدة في الجبهة ، رأيت يسقط بفعل رصاصة
طائشة فهرعت إليه ، وضمدت جراحه وتركته
يهرب .

ابتسم الرجل وضرب على ساقه يكف معروقة :
- ذلك ما فعلته أنا بالضبط ، كنت - في شبابي - أطارد
الثعالب والضباع والذئبة . وكاد عني في إحدى
المرات يلق بسبب ثعلب هائلتي . لكنني في النهاية
اصطلتة . وجلست تحت الشجرة أعالج جراحه ،
ثم تركته وانصرفت .

- وهل كنت تتسلق ؟

- لا أدري ، ربما هي حالة من العناد الانساني
الغامض لاثبت أن تغادر الرأس كقبضة من
الدخان .

- يبدو أنك كنت صيدا في وقت ما .

- أوه . هي واحدة من هوايات كثيرة . هل رأيت
الحواة اذ يلعبون بقعة أشياء في الهواء ! حسنا كنت
متعدد الهوايات شغوقا بذلك الجنون الانساني - كما
أسميه - حتى أنني تصورت أنه سيعيش في الرأس مهما
تقدم الزمن .

لكن الاختناق الذي احسب الرئتين تركني مقطوع
الانفاس لاطلب أكثر من نسمة هواء تملأ الرئة
المتعبة . ثم وجدت نفسي أقفل على أحلامي
المضحكة وأرميها في البحر ألا تراني بهذه الجلسة
المضحكة أشبه المومياء المحنطة .

- كلا إنك تتسلق بالقراة وال . . .

- عجيب ، في هذا الجو الشتائي والقنابل تهبط
كالفاكهة المسمومة .

ضحك وهو يسحب من جيبيه شيئا بحجم
الاصبع ، دسه في أنفه وسحب نفسا كالشهقة قلت :
- قد يضرك البرد .

- اصدق ، وهل القراءة غير نتاج تلاقح العقل الانساني مع أنفاس الحياة ، علمتي الحياة أن الوجود الذي لامسكه اليد سرعان ما يتلاشى كقبضة من الدخان في حالة اضاءة بقعة صغيرة داخل النفس الانسانية . ما هي تلك البقعة الصغيرة ؟ لبنتي علمت ، في شبابه قرأت في الطب والادب والفلسفة والتاريخ والكيمياء القديمة ، خليط متناقض ، وكنت أحمل دفرا كبيرا لأكون فيه ما ينظر في البال ، كان مليتا بالخطوط الجغرافية والمعادلات والكلمات التي أود حفرها في الرأس ، كنت أيامها عاشقا للسفر والترحال بشكل جنوني ، تركت زوجة شابة وطفلا في الثانية وقطعت الكرة الارضية مثلما أقطع الطريق الى رأس الشراخ ، زرت القطبين الشمالي والجنوبي ، طفت في بلاد الثلج ، ورأيت الديرة البيضاء وهي تمشي على الجليد كقطع من الاسفنج ، ونمت في الحب افريقيا نصف عار حتى اسود جلدي وذاب رأسي ، واشتغلت مع بعض الفئران البدائية في جنى الصمغ من الاشجار ، وتعلمت بعض الكلمات من عشرين لغة ، لكنني وبعد كل هذا التجوال اكتشفت عبث الاستمرار في لعبة مضحكة ينساها الوطن بضرب في الصدر كالسمار . قرأت مرة أن الوجود قد يلد التقيض . شيئا أقرب الى الاحساس الاثري الهادي ، ذلك عجب ، لكنني اصدق والا كيف يطوف الفرح الابيض على شفتي الجندي لحظة استشهاد . لقد أخبرني أحد المقاتلين أن رفيقه مرس له قبل استشهاد أنه يشعر بخدر لذيذ غامض يتحنى لو يدوم ، وظل وجهه يحتفظ بانتسامة سحرية ما برحت مضبوطة في رأس الصديق كصباح ، يوما توقفت أمام العبارة التي تقول كان سعيدا حد الموت ، فعين حدث الى الوطن - بعد غيبة سنوات - على ظهر إحدى البواخر وجسدت نفسي فوق مياه شط العرب ، القيت بجسدي في الماء ، ورحلت أصبح كسمكة مبرية ، وضحك الركاب وأدركوا أنهم أمام حالة فريدة ، وقنوا : لقد كنت طوال الرحلة تمتطي ظهر الماء فما انلني حدث ؟ ولم أخبرهم ما طعم الماء في شط

توقف بصره على وجهي ، ومضت فترة قبل أن تطرف عيناه وبعد يده الى سيجارته المطفأة قال هامسا :

- تقول يضربني البرد ، البرد ، هه ، والقنابل التي تسمعها الآن ألا تضربني هي الأخرى ؟ عجب ، رجل مثلي خاض حروبا ومظاهرات قديمة هل يخشى البرد ؟ علمتي الحياة أن الحرب دمل في الحاصرة ، وما عليك إلا أن تضع المراهم وأوراق الخروج ليصبح الدمل سهل الازالة ، وهل الحرب غير تجربة يحتملها الرجال ليعبدوا الرصاصة عن القلب ؟

ونظر في وجهي متأملا :

- هل أنت في اجازة الآن ؟

- ثلاثة أيام .

- أراك دائما في غرفتك ، ألا تعرف من الجلوس على سريرك ؟

- أين أذهب ؟ انتهى كل شيء - أمي وأبي وثلاث أخوات .

- يا الهي . ما الذي حدث ؟

- تحول كل شيء الى كومة عظام بسبب قذيفة سوداء .

- يا الهي

- وهرعت أتلقت كمجنون في كل اتجاه ، وساعدني العشرات من الناس ، وأخرجتنا الجثث الخمس أشلاء عمرة .

- يا الهي

- وفي الجبهة كاد رأسي يتدحرج بين قدمي ، بل كاد يتناثر كتف صغيرة من اللحم لامتسكها اليد . وكنت أنجو في كل مرة بأعجوبة ، وفي إحدى المرات كنت أمسك الأنفاس حين وجدت نفسي محاصرا . وكنت أقول هي موتة واحدة بها لمن تمشق - وجعل لجسدي اجنحة تطلق في الفضاء ، وكنت أضحك من نكتة الاسر ، ثم صرت في الآخر أبكي ، وأقول هي حالة من الموت المجاني أن تجد نفسك في الاسر بينما الوطن ينتظرك ، وفي النهاية أخذني حشر الفراء - في وقت الاستراحة - لاسيا كتب الفلسفة ، فهل تصدق ذلك ؟

وفوجئت به مرة ثانيا بينا الطيور ترلرف حوالية
وعل حوكته وكفيه ، كان متعبا حين دحمت الاظفاعة
فهل رأيت شيئا كهذا : جنديا يكمل ثياب المعركة
يتام مع الطيور ، وضغري احلس بالثبوة وأنا لرى
ولدي يرسم في نومه لوحة ، بالقلوة الشعر والفرشاة
أن تصنعها مثله ، حنا هل اغبرتك أنه كان يكتب
الشعر أيضا ؟

لقد اسمعي ذات ليلة قصيدة رقيقة ، وعنتما
سألته عنها ، أجاب على عجل أنه مؤلفها وأنه
مواظب على كتابة الشعر منذ وجد نفسه وجهها لوجه
مع الموت ، بالفرقة ولدى يكتب الشعر فيقدر على
بالم يقدر عليه أبوه . فيمنعني احلسا الفقدته حين
أسكت القلم لأكب الشعر ، واغبرني أنه يكتب
المذكرات أيضا ، يقتصر الكلمات في وقت
الاستراحة ويمنحها ضوء الروح فتصول الى كائن
كالطير يرلرف في فضاء المعركة ، اغبرني بذلك وهو
يتلف رشاشه فبهت مقبلا ، فيا للولد الاسمر ،
ونشر بعضها في صحيفة محلية ، وعندما قرأها
بكت ، وتذكرت ما كتبه ولنا في مثل سه ، وقلت يا
لسخف ما كنت أنا اكبه . وكان يبعث الرسائل من

المرب ، ومخرجت من الماء ميلولا ، ضاحكا ،
فلثمت لأول ما لثمت وجه زوجتي التي قالت ضاحكة
كنت احرف أنك ستعود أيضا للدرويش ، لكن
المسكينة ماتت بعد سنوات قبل أن ترى الابن الذي
صار مقاتلا .

توقف الرجل عن الحديث أنشغل سيجارة
جديدة ، وتلوي أخرى ، وأرغفتا السمع الى صوت
انفجار قريب ، وعلق الرجل انها القنبلة الثانية ،
فأين عصاهما تكون الثالثة ؟

نفض رمد سيجارته في مضطبة معدنية صغيرة
ورسم على وجهه الاجماد ابتسامة واحدة وقال : في
بداية الحرب كان سيد في الخامسة عشر من عمره ،
كان يصعد الى السطح مساء ويرقب الميون الحليدية
اللامعة ويصف من فوق : حله تلخضهم ، باللولد
الدكي ، صارت له الحيرة في معرفة مصدر القنبلة من
صدى الانفجار ، وكان يضي جل نهاره على السطح
مع مجموعة من الطيور البيضاء اشتراها من سوق
الجمعة ، وضع لها قصفا جيليا من الحيزوان ،
وعندما التحق بالجبهة ظلت الطيور يهدل بياضه
بطريقة شجبة . وكان في كل اجلزة يتدفع الى
أضغاني لدى الباب معتقلا ، وما يلبث أن يسحب
فراجه ويتلف ثالثة الى السطح ولا يبيد الا بعد
المغيب ، وكنت أصعب لهذا المشق « الكرتالي » ،
وكان يبيح على دهنتي : هل ثمة أجل من أن تنفد
بين أنفمها لاتصنعها الانامل البشرية ؟



الجنة الذي أمضى في الحرب ثلاث سنوات ، أن الأشياء العظيمة هي ما يتلخص بأصغر المقدرات ، والا بم أوجز السنوات الثلاث التي أمضيتها حارباً بين الموت والحياة يسيران جنباً إلى جنب توأم لا يفترقان ؟ وأنا في الحقيق أحاول إبعاد شبح الموت والحرب بأظفاري ، وبقيت في غرقي - مستيقظاً - متشغلاً باستعادة عبارات الرجل المعجوز وربط أجزائها من جديد ، أحول في آخر الليل هضمها على مهل ، ماذا يعني الليل ؟ إنه اللودي والابصار الذي يعقبه صمت مطلق حين تستيقظ صباحاً لترى البيت الذي كان بجوارك قد أصبح فراخاً مجرد هياكل طابوقية ، وتتلوا من اللحم والدم ، وأصواتنا كانت تحارب ذات يوم ، فلقد هودمتا الكتل الثابتة اللاهبة أن لا موعده للموت القادم . وهل كنت أتوقع وأنا أهود من الجبهة إلى بيتا القديم ، هل كنت أتوقع أن كتلة لأمريئة ستجبه إلى البيت فيستحيل كل شيء إلى دخان ؟ في الواقع أن ثمة شيئاً أبيض ، ربما هو فيض من ضباب لا أعرف ماهيته خلف رأسي فلم أدرى شيئاً ، لكنني استطعت أن أميز عشرة أذرع لحمية أجساد بخمسين أصبعاً تبرز من باطن الأرض كعروق لاجبة وتمسك السماء .

وفي الجبهة ظل الفيض الضبابي يغلف رأسي وأنا أتحقق إلى الامام قابضاً على رشاشي بأسناني ، وأمسك بفصص مكتوم : لن تنضج قنبلة أخرى ، لن أرى الشوارع تمثلي بالخضر السود ، لن تقف البيوت على هياكل طابوقية . وكان الرجل المعجوز حلالاً جديداً أطل عليه إذ يأغطني التنب والسودي لتتحاور ، وعند الحوار ، وتسلط لماذا لم يلقن الرأسان من قبل وقد مضى على وجودي معه شهران ؟ وكان ولده الغائب وفاته البصرية ثالثاً في الحديث ، كاثنتان يتوسطان جلستا ويصركان في فضاء الحوش كضباب سحري أزرق ، وكانت القنابل تتخلل الحديث ، وفي الجبهة أسرق الوقت لأقرأ رسالة وصليتي من الرجل فأتشرب الكلمات يبطه هاتيه ، فما هو يحدثني عن الطيور وعن آخر كلام قرأه ، ويميد في مقاطع من قصيدة كتبها

الجبهة في كل شهر بانتظام ، وسالتين في الشهر ويليلها دائماً بأسئلة طريفة عن ذنبي التي يجب ألا أحمل حلاقتها ، والطيور التي يطيرني من رغبة طارئة تصيبي فلقوي واحداً منها . أو يقول ضاحكاً : هل تود كتابة الشعر بما أبي ؟ تعال هنا ، وانظر كيف نصنع الشعر بأسنان البنتلية .

وجادني يوماً وقد وضعت في رأسه فكرة عجيبة ، قرر أن يأخذ معه طيرين إلى الجبهة فهو سيجد لها هناك ملجأً أميناً ، وفعلنا أخذ الطيرين وغاب ثلاثة شهور دونما إجازة ، وفي اليوم الأول من الشهر الرابع عاد أحد الطيرين وحيداً ، وحط على قصصه يسكون وغالبت أن هبط إلى الداخل ، وانكمش في الزاوية يبدل بصوت كالطعنة ، وبعد أيام جاعوا بولدي شهيداً ، ووجدت نفسي أبوح بأسرار روحي للجسدان ، وتنازحتني رغبة غبية لأبعث عن مذكراته ، وإذ عثرت عليها تلمستها بخشوع ، فادعشتني النفس المضيئة في كل سطر ، وكذبت أصرخ مع نفسي إنها البقعة المضيئة في الغابة الموحشة . إنه الضوء الذي يسقط في الظلمة تنسكه المشاعر وتضاض القلب ، وبلا أدنى تردد خطوت إلى حيث كنت أحفظ بمذكراتي في صندوق قديم ، أمسكتها ورحلت أمزقتها صفحة صفحة والقي بها في كل مكان ، فأين ما كتبه أنا بما كتبه ولدي في لبيب النار ؟ وبعد أسبوع قرع الباب ووقفت أمامي فتاة شابة لم أكن رأيتها من قبل ، وقدمت لي مريكة رزمة من الرسائل ، وقالت يخجل هاتيه : إنها من سعيد ، كان يراسلني منذ شهور . وتضرج وجهها بحمرة التضاح ، ولرذلت كالكبائ : هل تراني قادرة على الاحتفاظ بها وهي تحتني كل يوم .

توقف كل شيء في رأسي مرة واحدة ، وجدنتي مصاباً بدوار كأنني سمكة خرجت من الماء ، ماذا يعني أن أجعد نفسي محاصراً بقصة تلهب الرأس ، وتنضج في الداخل كقنبلة موقوتة ؟ كيف يستيقظ المخيوء في النفس الانسانية على موضوع صغير يتلخص في بضع كلمات ؟ وهل الحياة - يا للحياة العظيمة - سوى كتاب يوضع كلمات ؟ وأيقنت أنا

ويختتم إحدى الصفحات قائلا : لقد قرأت هذا الأسبوع ثلاثة كتب مرة واحدة ، فتعلمت الكثير ، وأدركت أننا نتعلم من احتكاك الأفكار في الهواء الطلق ، ولكن لماذا تريد الرصاصة أن تقتل هذه الأفكار ؟

اعترب أنني التهمت المذكرات ، قرأتها كلمة كلمة ، هتفت أن ذلك المقاتل كان يمتلك موهبة التحرك ، جميع الاتجاهات بطريقة مدعشة . وإلا كيف وجد الوقت للحرب والحب والكتابة ، وتمتيت لو أقرأ ما كتبه لايه ولحييته . ثميت أن أقرأ كل ما خطه الرئيس المضيء ، وسمعت أن أطلب إلى الرجل ذلك غير أنني ترددت ووجدت قلمي تقودني ذات يوم إلى السطح حيث الطيور والقضاء الأبيض والشط الذي لا يحصى بعد كبيراً وهادراً ، أصغيت إلى الهديل الذي يلمس القلب فكيف لم أر الطيور من قبل وهي فوق رأسي دائماً ؟

تقدمت مراقباً حركاتها الهادئة ، وهيوبها الحزنية اللامعة . وغمرتني تشوة أثيرية وأنا أرى أفراخاً زغبية تصبى في الزاوية ، وفي الزاوية الأخرى ثمة بيض على كومة من قش ينتظر التفقيس . مددت يدي ولمست مدايحاً الالجنة اللحمية والزغب الأصفر الناعم . ومضت فترة من الوقت لا أعلم مدايحاً حين دهمتني الأعفام . لمس النعاس جفني كنسمة هادئة ، فاستكأت بين البقطة والمنام على القفص ورفرفت الطيور حولي ، شعرت بحرق أجنتها وهبوا منمش يلمس وجهي ، ولم انتبه إلا على دوي انفجار قبلة سقطت على المدينة ، وانهار شيء ما ، وارتفعت سحابة غبارية ، ولبرهة انفجرت قبلة أخرى ، ورفرفت الطيور مذعورة ، وحطت على القفص من جديد كنت لأعيها عن كل ما عدا الطيور ، متكناً على القفص . تسحني الأعفام الهادئة ، ولم أكن أكثر أن تأتي القنبلة السوداء المذعورة . □

سعيد ، ويسألني رأيي في طبع ما كتبه ذلك الشاعر الصغير ، وقال في نهاية رسالته إن الفتاة البصرية قد جاءت ثانياً فأذهله قدموها المفاجيء . قالت انها تريد استعادة رسائل سعيد ، واعترفت حزينة أنها نادمة اذ أعادتها أول مرة ، فهي أحق بها حتى لو كانت تزيفاً في القلب .

وأعطانا الرجل الرسائل فاحتضتها بحرص وغادرته دون أن يعرف من تكون . وفي رسالة لاحقة كتب لي أن الفتاة جاءت مرة ثالثة وطلبت أن ترى طيور سعيد لطالما حدثها سعيد عنها ، ودخلت الفتاة البيت . وصعدت إلى السطح ، واطعمت الطيور وداعتها بمرح ، ثم خرجت وهي أكثر مرحاً .

وقال الرجل في ذيل الرسالة : في اجازتك القادمة سأضع بين يديك مذكرات سعيد ، لقد أخرجتها من خبئها ونفخت عنها تراب الزمن ، أنا واثق أنك ستجد فيها شيئاً فربما الهمنتك . هل الأقل - أن تكتب المذكرات .

وفي الاجازة كنت أجلس في البيت وبين يدي مذكرات سعيد ، مبهورا بالخط الجميل والكلمات التي تشبه حبات اللؤلؤ ، وفيها يقول : أنا حائر أمام هاجس الشعر ، إنه يطوقني كالقيد حتى وأنا في مواجهة العدو ، إنه السيد المطاع وأنا العبد ، ولكن لماذا أعبد ذلك السيد الجميل ؟

ويقول في مكان آخر : لقد علمتني الحرب أن الشهداء لا يقدمون النحية لأحد ، إن الآخرين هم الذين يلقون النحية ، إذاء على القرن الحادي والعشرين أن يرفع قبعته بمجرد أن يقترب من قبري .

وفي صفحة أخرى . حبيبي . ليس الحب أن ينظر بعضنا إلى بعض ، وإنما أن ننظر سوية في اتجاه واحد .

- قيل لعمر رضي الله عنه : ما العاجز ؟ فقال . من عجز عن سياسة نفسه .

درجت اية على وضعه في السرير المثل (Curry) وصعدت الى لغة بغطاسين .
من صوف بحيث تجاوزت درجة حرارته الأربعين مئوية ، ولزقت أسنانيا الى ٤٢
درجة أو يزيد ، وهي الدرجة التي كان عليها حين دخل المستشفى .
من هنا جاء تحذير الأطباء للأمهات ألا يضمنن ثنتين المصاة في التفتة ،
وأن يحرصن على قياس حرارة أطفالهن بالميزان عند الاشتباه بارتفاع تلك الحرارة
أكثر مما ينبغي ، والتحصير موجه لسكان المناطق الباردة الذين ينشون على أطفالهم
الموت من شدة البرودة ، لها بذلك في سكان المناطق الدافئة والحارة ؟ فهم ينشون
على أطفالهم من البرد وكأنهم من سكان الأصقاع الباردة ، والأولى بهم أن يكونوا
أشد حرارا من التفتة وهي مقترنة بحرارة الطقس في بلادهم .



شهد شهر يناير الماضي استكمال أعمال الإنشاء في جميع لأفاق
الرياح ، وبعد أنضم جميع هذه الأفاق في العالم كله ، وذلك في مركز
وأسس ، لأبحاث و تاسا ، في كاليفورنيا .

والغاية من هذه الأفاق إنما هي إجراء التجارب على نماذج الطائرات بدلا من
إجراءها على الطائرات نفسها في أحالي الجو ، ويكون ذلك بإطلاق الطائرة الأنموذج
في تفت الرياح حيث تتعرض لتغيرات هوائية موجهة ، ولها بمضي المهتمس في مراقبة
الطائرات الأنموذج على شاشة التلفاز ، بمضي جهاز الكمبيوتر ، في فحص الهواء
المحيط بالأنموذج ، ويحسب مواطن الضغط والفرق فيه ، لكي يصار الى إجراء
التعديلات المناسبة إن كان ثمة حاجة لتلك التعديلات .

ويطفي التفت الأكبر في المجمع رقعة واسعة تبلغ مساحتها ١٢ فدانا وتعمل في
محطة ٦ محركات ضخمة تحتاج الى ١٠٠٠ ميغواط ، أي ما يكفي لأضاءة ٧٠٠٠
منزل ، أما مراوح العملاقة فتستطيع أن تشتط في التفتة الواحدة (٦٣) طنا من
الهواء وذلك عبر محطة تجمع تبلغ مساحتها مثل مساحة ملعب لكرة القدم .

ومع أن هذا التفت يستطيع أن يستوعب طائرة بوينغ (٧٣٧) إلا أن التجارب
التي تجري فيه تجري في الغالب على طائرة الهليكوبتر التي مزالت متغلطة بالمقارنة مع
الطائرات ذات الأجنحة الثابتة ، وذلك حسبا يؤكد الخبراء . والغريب أن التفت
لا يعد صالحا لإجراء التجارب على الطائرات المقاتلة الشاقة ولا على تلك المصممة
للإطلاق الى الفضاء ، هذا على الرغم من السرعة الفائقة التي يبلغها الهواء في
داخله ، وهي لا تقل عن ١١٥ ميلا في الساعة وإلى جانب التفت الأكبر الذي ذكرناه
يشمل المجمع مقبرة لتفت أخرى أصغر حجما ومعدة لإجراء التجارب على نماذج
الطائرات كما سبقت الإشارة .

والجدير بالذكر أن اتفاق المجمع كلها محجوزة لصالح الشركة التي تصنع
الطائرات ، ولصالح جهات أخرى حكومية أو غير حكومية ، على مدى الستين
الماضيتين ، وعلى نحو متواصل .



طائرة الهليكوبتر متخلفة نسبيا



بِزَاعَات بِحَيَوَانَات جَدِيدَةٍ مَخْلُوعَةٍ



من المعروف أن الاختراعات تسجل ، ويراعى فيها منح في الحالات التي تكون المبتكرات فيها سلعا أو منتجات أو أساليب ، وقد أضيفت إلى هذه وتلك في المدة الأخيرة للمبتكرات التي تخضع عنها الخدمة البيولوجية في مجال النبات ، ومجال الحشرات ، فصنعت شركات حق على براءات تشمل أشجارا طوريا أو بكتيريا خلقتها ، إلا أن هذه البراءات حظرت حظرا تاما فيما يخص الحيوانات المخلقة كالآرانب والدجاج والخيول والثيران وما إلى ذلك حتى كان شهر إبريل الماضي ١٩٨٨ فقد خرجت دائرة الاختراعات والبراءات الأمريكية على هذه القاعدة ، ومنحت جامعة هارفرد الشهيرة براءة اختراع على فأر جديد نجح في تقليده عليه تلك الخدمة . .

وتتميز الفئران الجديدة بقلبية فائقة للأصابة بسرطان الثدي وقد تميزت موالدها بمثل تلك القلبية مع التفارق أن قلبية هذه المواليد وراثية ، وهذا هو بيت القصيد .

إذ أن مهندس إلى علماء جامعة هارفرد هو الفارقة بين العوامل الوراثية كالقلبية التي ذكرنا والعوامل البيئية المبيل وتحديد الفاصل بين الفئتين من العوامل في حالات الإصابة بسرطان الثدي ، الأمر الذي يؤدي إلى مزيد من الدقة والاحكام في تشخيص سرطان الثدي في بني الانسان ، وبالتالي في معالجته . وما أسرع ما تقدمت جامعة هارفرد على حصر حق انتاج أو تخليق الفئران الجديدة في شركة دي بونت الشهيرة ، ولكن البراءة التي حظرت بها جامعة هارفرد لم تمر بسلام ، فقد أثارت موجة غضب واحتجاج ترددت أصداؤها في طول البلاد وعرضها ، وبلغت الموجة ذروتها في الكونجرس الأمريكي ، وقد سارع إلى فرض حظر شامل على منح البراءات على الحيوانات المخلقة كلها دون استثناء ، وذلك وبما يتفق له استكمال التدقيق في المشاكل والمخاطر المترتبة على تخليق الحيوانات أصلا ، فالحيوان المخلوق قد يسلك خارج جدران المختبر سلوكا مغايرا لسلوكه داخلها ، فيصبح بمثابة المستر هابيد بعد أن كان كالذكور جيكل ونيسب - بالتالي - بأضرار للاستجابة ككل ، تلحق كل اللطاع التي قصد إليها العلماء من تخليقه .

ولو أطلق العنان لتخليق الحيوانات دون قيد أو شرط لوجد بين الشركات الصناعية الجشعة من لا يهاب بالأضرار التي يمكن أن ترتب على مخالفتها منها ، معامات تضمن للشركات مايسمى إليه من أرباح .

وورد اتصال الاستمرار في تخليق الحيوانات وفي منح البراءات على مثل الفئران الذي خلقت جامعة هارفرد ، ويؤكدون أن الخطر الذي فرضه الكونجرس الأمريكي خطا كبيرا ، ولا معنى له الا شل التقدم العلمي في أمريكا والصحاح للبحال للبلدان وغيرها للمنافسة ، ولربما سبق أيضا في مجال حيوي بالغ الخطورة ، وهم يطالبون برفع الخطر المشار إليه دون تغيير . □



أفكار





« ألا أونا » « ألا دوي » .. هل من مزاييد ؟ هل من يدفع أكثر ؟
انظروا اليه .. إنه صبي رائع قادر على صنع كل شيء . من يزيده على
الدولارات العشرة ؟ لا أحد .. لا أحد ؟ .. إذن « ألا ترى » .. !
ويرسو المزارد على الصغير ، ويمد المشتري يده ليسوق الصبي أمامه بعد أن
يدفع الثمن ، تماماً كما يساق الآف مثله يتم بيعهم كل أسبوع في سوق الرقيق
بالعاصمة بانجوك ، وفي مختلف مدن وقرى تايلند .. وكلهم تتراوح أعمارهم
بين السادسة والخامسة عشرة .. !

صحلاً فارغة ليملاها لهم الناس ، إنهم يطرقون
الأبواب صامتين ، ينتظرون أن تملأ تلك الأواني
بقليل من الأرز أو بعض الفاكهة ، وحين لا تحتل
الصحن في الوقت المناسب ، فإن الرهبان الكبار
يتوقفون في ورج وتأمل بانتظار من يحضر من
التبرعين بالطعام والهدايا . وبأني التبرعون بصحة
أطفالهم أحياناً ويقدمون الأرز الساخن والمأكولات
الأخرى لتقديماً للرهبان المنتظرين . وبعد بزوغ
الشمس بساعة يعود الجميع إلى مساكنهم لتناول
وجبة طعامهم الأولى ، ويتركون ما يتبقى لوجبة ما
قبل الظهر ثم لا يأكلون بعد ذلك بقية النهار .

هؤلاء الرهبان هم « الملائكة المحشون » . أما
الملائكة الذين انتسب إليهم اسم المدينة وهو
« كرانجش » ، فهم عديم الألهة . والاسم مستمد
من اللغة السنسكريتية لغة البلاط الملكي . وكلمة
« ثب » معناها الملائكة التي تحمى الألهة في الطقوس
البراهيمية القديمة . وقد استعيت هذه الألهة والملائكة
لتسج العقيدة البوذية ولكنها ليست ضرورية لها ،
وقد قبل بوذا نفسه وجود هذا التقليد ولم يغيره ،
ولكنه لم يعترف به .. !

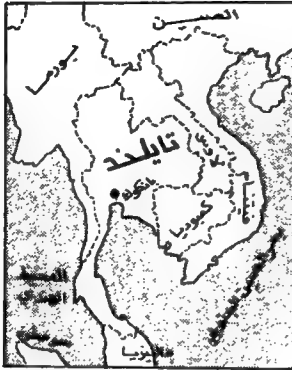
بانجوك أو « كرانجش » كانت قبل مئات السنين
مجرد نقطة حصينة على منحى النهر لحماية العاصمة
السابقة « أيوتايا » . وتعني كلمة بانجوك نفسها
المكان الذي ينمو فيه الزيتون البري .

وقد استعملت « أيوتايا » اسمها من « أيوتايا »
المدينة الخرافية في شمالي الهند التي شن منها الإله راما
حملة لغزو سيلان التي كانت تسمى عند الرحالة
العرب « سرتديب » وهي الآن سريلانكا . وقد

 سوق النخاسة القديم الجديد لا يتوقف أبداً
رغم جهود الحكومة التايلندية لوقفه ،
وزيادته يزايدون كل يوم ، ويبيع الأطفال أصبح
تجارة رابحة مثل كل أعمال البيع والشراء في البلد
الذي يتاجر في كل شيء حتى الإنسان . والسماحة
بارعون في إقناع الأهالي الموزين الفقراء - وخاصة
في مناطق الشمال الشرقي - ببيع أبنائهم ليتيحوا لهم
حياة أفضل .. ! والمشترون ، وخاصة السواح
والزوار ، يتسابقون إلى الشراء والمساومة ودفع
الرشاوي للحصول على عمال أو غلم أو عبيد ،
دون وازع من ضمير يمتنعهم من أن يجرعوا الأبناء من
آبائهم ليتلقوا بهم إلى بلادهم فرحين كأنهم قد فلزوا
بصفقة الممر ، وهم الذين يدهون أن انسان ببلادهم
قد بلغ أهل مراحل التطور والتقدم والمثنية !
ومع ذلك فإن الأطفال الذين يباعون للملاك
والسادة من أهل البلاد ، قد يكونون أسعد حقاً ،
فهم على الأقل يستطيعون أن يتمتعوا برضا المالك
الجديد إذا أثبتوا أنهم - غنياً وعبيداً وعمالاً -
قادرين على تحمل العمل المستمر دون توقف أو
حدود ، مستعملون لتحمل أقصى الاهانات وأقصى
الامانات ... فعندئذ يسمح لهم السيد برفقة
ذويهم وأهلهم مرة كل بضع سنوات .. !

مدينة الملائكة

مع ذلك فالشعب التايلندي يتسم دائماً .. وهو
يسمى عاصمته بانجوك .. « مدينة الملائكة » .
والملائكة فيما يتصور التايلنديون الحديشون هم
الرهبان البوذيون الذين يتطلقون من المعابد في
أنوارهم الزعفرانية ورموسهم المحلوقة ، حاملين



● خريطة تبين موقع تايلند والدول المحيطة بها

اسمها الأصلي من «سيام» إلى «موانج تاي» التي تعني باللغة السيامية «أرض الأحرار» ومن ثم أصبح الاسم الرسمي للمملكة يتكون من شقين هما «تاي» و«لات» . وسيام (أو تايلند) إحدى الدول التي تشكل شبه جزيرة الهند الصينية في جنوب شرقي آسيا والتي تضم فيتنام وكامبوديا ولاوس وبورما وماليزيا ، وهي كلها تشترك في الحدود مع تايلند ماعدا فيتنام .

بدأ اتصال سيام بأوروبا عن طريق البرتغاليين في أوائل القرن السادس عشر ، ومن طريق التجار الهولنديين والانجليز والفرنسيين بعد ذلك بقرن ، وقد سعى الفرنسيون إلى مزيد من التوسع في سيام ولكن مجازفتهم في سيام انتهت بكارثة .

المهم هنا أنه مع توالي أحداث التاريخ استطاع ملوك أسرة شاكري وأولهم راما الأول عام ١٧٨٢ وتاسعهم الملك بوميبول راما التاسع الحالي - أن يقيموا حضارة جديدة للبلاد ، وكان أبرز عصورها في فترة حكم راما الخامس (١٨٦٨ - ١٩١٠) وهي تعتبر فترة تغيير جذري وانحيازا نحو أهل مستويات التقدم . أمام الفترة المهمة الثانية فهي فترة تغيير نظام

ظلت بانتجوك على حالها وعرفت هكذا لدى التجار الأوروبيين . ولكن أيوثايا سقطت في أيدي البورمين بعد حصار طويل في منتصف القرن الثاني عشر ، وقد دمرت تدميراً تاماً . ونقل السكان الأسرى إلى بورما عيشاً مع تقاليد تلك الأيام ، ولكن جزءاً من جيش «تاي» بقيادة الجنرال نصف الصيني «تاك سين» هرب قبل سقوط المدينة . ولجأ «تاك سين» إلى الشرق بالقرب من كامبوديا ، وحشد جيشاً هزم به البورمين وطردهم من البلاد فلم يعودوا إليها ثانية .

وأصبح «تاك سين» ملكاً ، واتخذ من «تونبورى» عاصمة له عبر نهر تشوانابا أمام بانتجوك . وبعد السنوات الأولى من حكمه استطاع أن يوقف البورمين من ناحية والكمبوديين من الناحية الأخرى . إلا أنه أصيب في آخريات أيامه بالجليل وبدأ يتخيل نفسه إلهاً . وحيث خلفه قائده جنرال شاكري وتولى الحكم ، فنقل العاصمة إلى بانتجوك عام ١٧٨٢ ونصب نفسه ملكاً ، وأقام قصره الكبير الذي أصبح مركزاً للعاصمة الجديدة ، إذ جاء الأمهالي فأقاموا حوله بيوتهم التي ظلت تزايد حتى أصبحت مدينة كبيرة رائعة . أما الملك «تاك سين» فقد قتل الملك الجديد على الطريقة الملكية التالية : حوكم وهو موضوع داخل «جوال» ، وضرب بهراوات من خشب الصندل حتى لا يسكب دمه الملكي على الأرض إذا ذبح أو جرح . وفيها بعد أطلق على «شاكري» أول ملوك الأسرة الملكية الحالية لقب «راما» ، وتبعه خلفاؤه في حل نفس اللقب حتى الملك الحالي «بوميبول ادولفينج» الذي اتخذ اسم «راما التاسع» ، وذلك تبركاً بإسم الإله «راما» الذي نشهد تفاصيل قصته المأخوذة من «راماياتنا» على لوحات متتابعة مرسومة على جدران المدخل الشرقي لمجموعة القصر الملكي الكبير ومعبده الرئيسي . . . وهي القصة التي انتهت بانتصار راما على ملك الشياطين «رافانا» بمساعدة الفرد «هانومان»

أرض الأحرار

إذا كان للعاصمة قصة فإن لتايلند نفسها قصة أخرى . لهذا الاسم لم يطلق عليها إلا في عام ١٩٣٩ قبل خمسين عاماً فقط ، حين قرر المسؤولون تحويل



ثلاثة شاهد
 نستطيع أن نراها إلا إذا
 دخلت القصر الملكي
 الكبير وأنت في ملابس
 تتميز بالخشمة . الأولى
 لمدخل « معبد زمردة
 بوذا » على جانبه ثلاثان
 لحارسين أسطوريين ..
 والثانية لمدخل جناح
 الاستقبال الملكي
 بزخارفه التقليدية التي
 تمثل الفن الخميسي
 الثاني القديم ...
 والثالثة لأتباع بوذا
 يتعبون ويقلمون الولاء
 والتبجيل للتمثال
 الذهبي .



مذهب « الملك الإله » الذي يحكم من فوق عرشه بالقصر الملكي .

قال لنا مراقبنا ونحن نجتاز باب القصر الحديدي :

في هذا القصر شهدت سيرة اصلاح التي وضع أسسها راما الرابع ، الذي كان من الحكمة بحيث فطن إلى الحاجة للإصلاح مع تمتعه بالحكم المطلق . وكان خصباً بحيث استخدم المعونة الأجنبية بنجاح دون أن يتورط في الحكم الاستعماري الذي يقرن عادة بوجود المستشارين الأجانب .

كان الملك « مونجكور » قد بدأ حياته راعياً لمدة سبعة وعشرين عاماً قبل أن يرتقي العرش ، ودرس اللغة الانجليزية على يد المبشرين الأمريكيين واللاتينية والرياضيات والفلك على يد الاسقف

باليجوا . وقد عمل بهذه العقلية المتطورة على وضع خطوط الإصلاح ، كما لقي خليفته ابنه « شولا لونجكورون » مساعدة جديدة فعالة في المهمة الإصلاحية الكبيرة التي اضطلع بها ، وصيغ البلاد بالصيغة العصرية مع احتفاظه بالاستقلال ، وقام بتغيير النظام الإداري القديم ، وأنشأ الوزارات والادارات ، ووضع أسس التربية والتعليم بإقامة المدارس . كما أقام المستشفيات والمشاريع العامة ووضع القوانين التي تسير العصر الحديث . وقد ألغى راما الخامس الرق والسخرة في البلاد ، وألغى عادة الركوع والسجود أمامه تحقيراً على الأجانب ، كما حرم تقليد الانبطاح على الأرض أمام الملك .

وتذكر ما قالته المعلمة « أنا » في مذكراتها « عندما كان الشخص مهما بلغ مركزه يمثل أمام الملك . . فإنه ما يكاد يراه حتى ينطح أمامه ويرفع يديه ملتصقتين فوق رأسه ويميل بجسمه إلى الامام ثم يجلس وساقاه من خلفه ويبدأ في الكلام فيقول : إنى فرة من التراب تحت قدميك المقدستين . . وإنى طوع أسرك أتلقى أوامرك ايها السيد المقدس . أما الموظفون والمحاشية فيزحفون بجوار الزائرين ورموسهم بحية ويقدمون لهم الطعام وهم راكعون ، ولا يستثنى من ذلك زوجات الملك وأبنائه » . وقد انتهى كل ذلك بصورة معقولة في عهد راما الخامس .

الآن . . ندخل القصر الملكي دون أن نزحف أو نركع أو تنطح على الأرض . الشرط الوحيد الذي

الحكم من نظام ملكي مطلق الى نظام ديمقراطي في عام ١٩٣٢ في عهد الملك السابع حين قام بتغيير النظام جماعة أرادوا الحصول على نظام ديمقراطي أبده الملك نفسه وقبل ذلك التغيير بالتسليم ، ووقع على الدستور المؤقت في يونيو ١٩٣٢ ، وهو تاريخ بداية نظام الحكم الديمقراطي في مملكة تايلند ، حيث أصبح الملك يملك ولا يحكم ، وإن ظل يتمتع بقدمية واحترام كبيرين بإعتباره مازال تجسيداً لبوذا المستقبل في أنظار الشعب ، الذي تدين أغليته بالبوذية بنسبة ٩٣٪ من عدد السكان البالغ ٥١ مليون نسمة بينما يمثل المسلمون نسبة ٤٪ والمسيحيون نسبة ٢,٦٪ والباقي من الهندوكيين .

القصر الكبير

زيارة بانجوك تبدأ دائماً من قلب المدينة حيث ساحة القصر الملكي الكبير والمعابد البوذية المحيطة به التي تعرف باسم « وات » .

القصر آبه في الفن التقليدي التايلندي ، أقامه الجنرال فايا شاكري (راما الأول) عام ١٧٨٣ على الضفة الشرقية لنهر « تشاونابا » على مساحة ٢١٨ ألف متر مربع ، وأسطحه بجدران أربعة ضخمة طولها ١٩٠٠ متر ، تضم بداخلها مقر إقامة الملك وجناح الحريم والمكاتب الرسمية للحكم ورجال البلاط ، بالإضافة الى المعابد الملكية وأحدها معبد بوذا الزمردي (زمردة بوذا) .

حين وقفنا نتأمل القصر الكبير بمد أن اجتزنا البوابة المزدوجة ، تذكرنا تلك الصورة الباذخة التي شهدناها في فيلم « أنا وملك سيام » ، ودار بنا الزمن في عودة سريعة لتتابع « يول بريتر » يدور بين زوجات الملك الاربعين وأبنائه المائة وهو يؤدي دور الملك مونجكور (راما الرابع) في أيامه الأخيرة عام ١٨٦٨ ، قبل أن يموت تاركاً الحكم لابنه الملك شولا لونجكورون الذي حكم من بعده أربعين سنة على عرش مملكة سيام .

في ذلك الوقت كان الملك يحكم حكماً مطلقاً باعتبار أن الملوك هم « بوذا المستقبل » الذين حققوا بسموهم الخلاص لأنفسهم وللشعب عامة ! وكما يحكمون على الأرض فإنهم يحكمون في السماء بحالتهم المقدسة . . وهم يسرون في ذلك جرياً على

ومقاصير رائعة الجمال . وحتى الآن فليس متاحاً لأحد زيارة جناح الحرم الخالي إلا مرة واحدة في السنة حين يستقبل الملك الدبلوماسيين الأجانب في احتفال للزهور بمناسبة ذكرى مولده .

زمردة بوذا

ونتقل الى المعبد الملكي الرسمي - معبد وات براكيو - أو معبد بوذا الزمردى حيث يؤدي الملك طقوس عباداته . المعبد يشكل قصراً منيفاً يحيط به جدران عالية مثل أديرة التبت البوذية ، يستقر فيه تمثال بوذا الزمردى أو « زمردة بوذا » . المشهد داخل المعبد مثير غريب ...

تمثال زمردة بوذا أحضر الى بانجوك بعد سلسلة من المغامرات الاعجازية ، وهو أشهر تمثال من نوعه في الوقت الحالي والقسم به معناه أقدس قسم . والتمثال نفسه صغير مصنوع من قطعة واحدة من حجر الزمرد (الشيشي) وهو مستقر في مؤخرة المعبد ، وقد ركب فوق قاعدة ذهبية عالية تحيط به تماثيل ذهبية لبوذا وهو واقف ، في حين تمثل المظلات الصغيرة التي وضعت إحداها فوق الأخرى مع صغر حجم كل طبقة علوية عن الطبقات السفلى . وأمام المظلات توجد أشجار ذهبية وفضية صغيرة في قلب زجاجية مقدمة من أمراء لاوس تكريماً للملك تاي ، أما هدايا الاسر الحاكمة الاخرى التذكارية فهي متناثرة بلا نظام هنا وهناك .

على إطرارت نوافذ المعبد الداخلية تتابع قصة حياة بوذا منذ مولده حتى صعوده الى (النيرفانا) وهو السمر الأعظم . وهو الذي يرمز اليه تمثال بوذا في وضع اللوتس ، على حين تشير يده الأخرى الى الأرض . وزهرة اللوتس هي أجمل الزهور تفتح بتلاتها فوق الماء وتعني النقاء التابع من العالم المادي . ويجلس بوذا على عرش من اللوتس وعلى وجهه تمييز الرصانة والرحمة والسلام .

المعابد والرهبان

ليس معبد بوذا الزمردى إلا واحداً من حوالي ثلاثمائة معبد موجودة في بانجوك . ومن خلال مشاهدتنا لكثير من المعابد لاحظنا أن مبانيها الرئيسية عبارة عن أسقف من ثلاث أو أربع طبقات متراكبة ،

يطلب من الزائرين هو أن يكونوا في أزياء محتشمة وملابس محترمة كاملة وأن يمتنعوا عن التدخين وإثارة الضجيج فالقصر ما يزال له قلميته بالرغم من أن الملك الحالي يوميوول قد انتقل منه الى قصر آخر في أعقاب توليه الملك بعد مقتل أخيه الأكبر الملك أناندا عام ١٩٤٦ بشكل مأساوي لم يعرف معه هل كان الحادث مصادفة أم انتحاراً أم جريمة قتل . ومنذ ذلك التاريخ لم يعد القصر مقراً لإقامة الملك ، واكتفى بأن تقام فيه بعض الاحتفالات الرسمية التي يحضرها الملك ، أو يلتقى أوراق اعتماد سفراء الدول .

ويسمح لنا فقط بدخول جناح الاستقبال الملكي الذي أنشأه الملك راما الخامس ، وخصص قاعاته لإحياء الذكرى السنوية للملك أسرة شاكرى . الجناح يمثل مزيجاً من الفن الهندسى التايلندى والغربى ، والأسقف تتميز بالطراز الفن الثاني بينما الجدران وزخارفها تتفق مع الطراز الفيكتوري الانجليزى وفى وسط كل قاعة عمود يحمل صندوقاً ذهبياً يحتفظ فيه برماد ملوك شاكرى السابقين ، أما القاعات الرئيسية فتضم بالإضافة إلى لوحات لأبرز الفنانين العالميين صوراً زيتية ملونة للملك أسرة شاكرى وصوراً لرؤساء وملوك الدول الذين استقبلهم الملك راما الخامس والتقى بهم في رحلاته خلال عهده الذى استمر حوالى أربعين سنة . ويتوسط المبنى الرئيسى قاعة العرش حيث يستقبل الملك سفراء الدول الأجنبية وهو جالس على عرشه الذهبى الذي تظله تسع مظلات بيضاء مزخرفة صنعت خصيصاً للملك شولا لونغيكورن . الى الغرب من جناح الاستقبال الملكي يقوم الجناح الأقدم الذى أنشأه أول ملوك شاكرى عام ١٧٨٩ المبنى نموذج رائع للفن التقليدى السيامى بأقاريبه الأربعة الخارجية التي يعلو بعضها البعض فوق تسع طبقات متراكبة أسطحها موشاة بالذهب مشكلة على هيئة الأفعى الملكية . أما الشرفة الخارجية فيتوسطها العرش الذي كان يجلس عليه الملك راما الاول خلال الاستقبالات الرسمية المفتوحة .

في القسم الخلفى من الجناح الملكي يوجد باب يقود الى الأقسام المنوعة . . ويضم جناح الحرم مقر إقامة زوجات الملك . ولم يكن يسمح لغير الملك باجتياز هذا الباب الذى يخفي وراءه حدائق وأشجاراً



الرجل العلمي حاداً
عبد السادة ، ومبايع
و ديه في كل مكان
والله اعلم ما في القصة
نفسه ، وأمر به هو
وكل ذلك حسنة ، وسيد
على نعمه وشره
والله اعلم ما في القصة
وكل ذلك حسنة ، وسيد

جدران المعبد تقام مهرجانات للالعاب السحرية واليهلوانية في موسم أعياد الحصاد التقليدية ، وتجري الألعاب من حول تماثيل بوذا الرائعة المتناثرة بمختلف الأحجام والمواد ، بينا الرهبان الدارسون يروحون ويمجثون وهم يتذكرون القواعد والتعليمات التي يبلغ مجموعها أكثر من مائتين ، وأمهما « الفقر والعزوبة وعدم استخدام العنف » .. ويقول لنا مرافقتنا أن هؤلاء الدارسين من الرهبان يدركون أن كل راهب يستطيع العودة الى العالم إذا شاء حيث لا كهوت أو كنيسة بالمعنى المفهوم في المسيحية . وكل رجل يلقي تشجيعاً ليصبح راهباً لمدة ثلاثة أشهر عادة ولمرة واحدة على الأقل في أثناء حياته ، ويكون ذلك عادة في شبابه قبل أن يتزوج . وتتمتع الحكومة والقوات المسلحة رجالها بأجازة بمرتبة ليدخلوا « الدير » حيث يحظى الرهبان الدارسون بلحترام كبير ويصرفون بإسم « بهارا » وهو تمييز يدل على الانتهاء للملكية أو التقديس .

ويضيف مرافقتنا : هناك رهبان أشرار وآخرون أخيار بالطبع ، بين ذلك العدد الكبير الذي يتجاوز ربع مليون ، يقيمون في حوالي ٢١ ألف دير قائمة في تايلند وبعض الرهبان كسالى وبعضهم الآخر يشترك في التناثر وإن كانوا ليسوا رهباناً سياسيين كالحال في بورما وسريلانكا . وهناك فريق منهم جهلاء يؤمنون بالخرافات وعلاون عقول الناس بالخوف غير الصادقة حول الأرواح والأشباح . وهم يستغلون المعتقدات الشعبية بأن البلاد مملوءة بأشباح القتل أو الذين اقترستهم الحيوانات الضارية أو النساء اللاتي أسلمن الروح وهن يلدن ، أو الرجال الذين ماتوا بعيداً عن الوطن .. وكذلك ضحايا الكوليرا والأمراض الميته .. وهذه الأشباح الشريرة يصعب إرضائها . وهم يتصورون أن بعض الأرواح أو ما تحدثه من خلوش يمكن أن تسبب المرض الذي يكون محبباً في بعض الأحيان (ويمجري الآن إبادة هذه الأرواح باستخدام مادة ال d. d. t) وتقود بعض الأرواح المسافرين الى طريق الحيوانات الضارية ، أو تستدرجهم الى المهاري ، وبعضها تسحر الرجال الشديدي الحساسية بجعلها الأخاذ ثم تفتك بهم فيها بعد ، والبعض الثال يقتل ويصيب بالمرض كل من يسرق نقاس الكهوف أو المعابد . كما أن هناك فريقاً

وأفاريز أسطحها الموشاة بالذهب مشكلة على هيئة نجا وهي الأفعى الملكية ، في حين تتولى تماثيل الاسود حراسة مدخل المعبد .

وتتسي الروعة الخارجية والنفخامة التي تتصف بها أبنية المعابد وزخارفها إلى عالم خيالي .. ففي أحد الجوانب نشهد تماثل « الجارودا » الذهبي الذي يرمز الى أسطورة فشوو وهو نصف رجل ونصف طائر . وفي الجانب الآخر نرى تماثيل عمالقة ارتفاعها لا يقل عن ثمانية أمتار مطلية بألوان زاهية لها وجوه عابسة متوحشة وأنيابا بارزة . ويرتفع برج ذهبي رئيسي في الهواء على أبراج موشاة بالذهب مدرجة تضيق كلما ازداد الارتفاع ، في حين تفرع نواقيس المعبد مع حركة الهواء ..

في « وات أرون » أي معبد الفجر نلاحظ أنه ذو طابع معماري تقليدي بأبراجه المدرجة المرتفعة ، وارتفاع أعلى أبراجه لا يقل عن ثمانين متراً . أما « وات بو » وهو معبد بوذا المضطجع فنجده تماثله ضخماً من الطوب والاسمنت المسلح ومغطى بطبقة من الذهب ويبلغ طوله ١٥٠ متراً وارتفاعه نحو ٤٠ قدماً . ونلاحظ أن زخارف المعبد الرخامية صنعت على شكل أشخاص ومناظر من أسطورة رامايانا . وكنا نرى الصبية الصغار وهم منهمكون في إعداد دهانات من أوراق الأرز والزيت يبيعونها بسمير رخيص للزائرين الذين تشغلهم تماثيل الحراس الصينيين ، والاسود وغيرها من الوحوش في مختلف جوانب المعبد .

وفي « وات ينكاما بوت » وهو معبد الملك شولا لانجكورون نعرف أنه بقى في السنوات الأولى من هذا القرن . وهو مهيب المنظر مشيد من المرمر الأبيض وأسفقه مصنوعة من البلاط المزجج .. ونجد تماثيل لبعض الفنانين ذاكته اللون مركبة على أفاريز الأسطح ، وقد وضعها البنائون الصينيون الذين لم يستطيعوا مقاومة الأضرأ بإضافة ما يدل على إسهامهم في العمل ، على حين تسجم النوافذ المزخرفة باللونين الذهبي والأحمر مع المرمر الأبيض الذي يزين الجدران .

ولا نستطيع أن نتجاوز معبد « وات سوتات » الذي كان يستخدم ملاناً للناس عند ضرب المدافع لياتجوك خلال الحرب الأخيرة .. فالتير هنا أن وراء

بالك . خليط غريب من البضائع رخيصة الثمن . . ملابس وبولوزات وجينزات أمريكية وهدايا وعطور وحقائب من جلد الثعالب وأجهزة تسجيل ، كلها تباع على عربات يد أو مفروشة على الأرصفة . الى جانب ذلك تجد باعة الأرز الحار والتوابل ، بجوار بائعة البط والدجاج والفئران الملوثة ، جنباً الى جنب مع باعة السيوف والسكاكين والأواني المنزلية . و نير بعيد منهم تجد بائعة القبط السيامية الشهيرة تحيط بها الساتحات المفترمة بهذا النوع للفرجة أو للشراء ، ونظل الى حلقات من الشباب تصيح وبهمف فإذا بهم يتحللون لمشاهدة مباراة في الملاكمة بالأرجل أو قتال للدبوك أو الأسماك أو الصراصير . . !

الشوارع المحيطة بالسوق تضم المراكز التجارية النشطة المتخمة بالبضائع المروضة بشكل أكثر تشويقاً ، وأغلبها يبيع الأوعية الفضية والحلى وعلب السجائر الفضية والجوهرات والتحف التقليدية التايلندية وجلود التماسيح وأنياب الفيلة والتماثيل المصنوعة من خشب الساج . في شارع تشادفونين أطول وأقدم شارع في المدينة - وكان من قبل طريقاً للفيلة - تشهد خليطاً عجباً من الدكاكين ذات الشرفات الصفراء والبيضاء تبرز منها مظلات مصنوعة من التيل أو القماش القطني ، تحمل إعلانات ذهبية اللون . هذه المظلات تفصل الحوانيت عن المنازل التي تعلوها في الطابق العلوي ، وتتخلل محلات البضائع حوانيت للحائككين الذين يفصلون ملابس فوراً وحسب الطلب وبأرخص الاسعار . وتنتشر المطاعم والنوادي الليلية وهي في أغلبها صينية الى جانب حوانيت العقاير المصنوع بعضها من طحين قرون الحرثية والتمباكين والضمادات المجففة والأعشاب البرية والمساحيق الغريبة والسموم الخطرة التي تصرف بدون تذكرة طبية مثلاً مثل الأدوية المقلدة بلا تصريح .

بين القديم والحديث

الصورة البارزة أن حركة التطور واسعة في المدينة . فكلما زرت بانجوك بين فترة وأخرى على مدى سنوات ، تستطيع أن تشهد تغيرات كبيرة في معالمها ومبانيها وتطورها . والذي شهدناه في بانجوك قبل سنوات أحسنا كأنه قد اختفى في الأيام

ثلاثا يجيف الاطفال في الظلام . وقد لاحظنا أنه في معظم البيوت هياكل مبنية على شكل معابد صغيرة مطلية بالألوان الزاهية ومركبة على عمود ويدخله تمثال منحوت لاله وحوله تماثيل من الجص لجياد أو ماشية أو عبيد وهوا للاله مقابل خدمات أو أمنيات تحققت ، تحيطها الزهور وأعواد البخور والفاكهة والأرز . ومع أن سكان بانجوك لا ينظرون الى هذه الهياكل نظرة جدية إلا أنهم ما زالوا يبيعون هذا التقليد وذلك لتجنب المجازفة بإغضب الالهة والارواح . !

المدينة ذات المائة وجه

الجولة في شوارع بانجوك لا تخلو من متعة مادمت تعرف أنك تتجول في المدينة ذات المائة وجه الزائرة بالتناقضات .

في البداية ، نقف عند حجر الأساس لمدينة بانجوك بالقرب من مبنى وزارة الدفاع ، الحجر عبارة عن عمود قائم داخل نصب على هيئة هيكل يسمى « لاكموانج » أقامه الملك راما الأول عند تأسيسه لمعاصمه الجديدة . ندخل الى الهيكل وسط زحام من الزائرين الذين جاءوا يغمرون النصب بالأزهار والورد وقرابين الارز والطعام والفاكهة ، وهم يشعلون الشموع والبخور ويبقي مستلزمات الطقوس البوذية . والاعتقاد السائد بين هؤلاء هو أن من يزور هذا الهيكل تتحقق له رغباته وأمنيته ، وبخاصة الفوز بجائزة اليانصيب الوطني أو على الأقل الانعام بالانجاب على الزوجة العقيم . ويقتنع الهيكل على غرفة جانبية تقدم فيها عروض موسيقية تقليدية راقصة تؤدي فرق شعبية أو رسمية يستأجرها من تحفقت لهم أمنياتهم فيجئون لتقديم الشكر لروح « لاكموانج » . ولا نكاد نغادر الهيكل حتى نفاجأ بمجموعات من الأطفال تحمل ألقاصها بها صافير ملونة للبيع ، ولكن المشتري لا يدفع الثمن مقابل الحصول على الطائر ، إنما تفتح باب القفص وإطلاق العصفور في الجو بين تهليل الناس وإظهارهم البهجة بتحرير الطائر السجين حسب المعتقد البوذي !

غير بعيد من النصب التأسيسي نجد أنفسنا وسط السوق الكبير الفسيح المسمى « ساتام لوانج » . في هذا السوق تستطيع أن تشتري أي شيء يخطر على

عطورات الياسمين والزهور ، وينطلق بعضهم الآخر مع السمسرة الذين يسوقونهم إلى سوق الرقيق حيث يباع الإنسان بأبخص الأثمان !

حى المنافسة

اللافت للنظر في باتجوك أن الصينيين أو التاينيين من ذوي الأصل الصيني يكادون يشكلون أكثر من نصف سكان المدينة . بل إن جميع سكان منطقة الاعمال تقريبا من الصينيين . والواقع أن عدد الصينيين في تايلند يزيد عن عدد الذين نجدهم في أي دولة أخرى في جنوب شرق آسيا . وهم إلى جانب المهاجرات التالية التي انطلقوا خلالها من الصين الأم إلى هذه المناطق ، كان الطلب يزداد عليهم في مجالات البناء والإنشاء وكمعمال للموائى وزراة للارز ومضارب ، كما اشتد الطلب أيضا على زملاتهم عمال الطرق وعمال المتاجر والمكاتب نظرا للنقص المستمر في العمال التاينيين المتخصصين ، لأن هؤلاء يفضلون الاستمرار في الفلاحة على الاعمال الأخرى . ولكن مع ظهور القومية التاينية خلال الخمسين سنة الماضية ، اتخذت الاجراءات الحازمة ضد الصينيين الوافدين وضد التعليم الصيني ، وأغلقت مدارسهم الثانوية وقيد تعليم اللغة الصينية في المدرسة الأولية ، واستبعد الصينيون من بعض الاعمال التي خصصت للتاينيين الاصليين مثل أعمال صناعة الطلاء والعمل في القبايات وبيع الفحم الحجري وقص الشمر وقيادة مركبات الساملور وسيارات الاجرة واللاتويس ومن زراعة الارز وصناعة الملح . كما حرم على الصينيين منافسة التاينيين في صناعة مذابح بوذا وتصنيع الأوعية التي يستخدمها الرهبان .

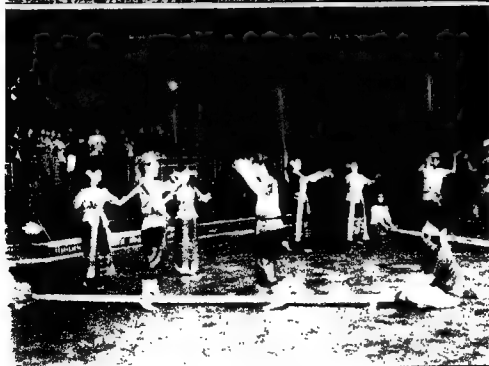
ومع ذلك فإن الصينيين أو التاينيين ذوي الأصول الصينية هم الأكثر بروزا في شوارع وأسواق باتجوك . وهم يقومون بمعظم عمليات البيع من شارع لآخر بأسعار رخيصة . ومع ذلك فإن التاينيين يعملون على منافستهم وخاصة في ميدان بيع الأطعمة الخفيفة ومستحضرات اللحوم والتمر هندي المحلي بالسكر وجوز الهند والكمك والموز المقل وعجة البيض وغيرها .

وبمناسبة الطعام فإن كلمتي الارز والطعام مترادفتان عند التاينيين . وكما يقولون من خلال ترديد

الأخيرة ، حيث تبدلت الصورة وبخاصة من ناحية العمران . كانت المعابد البوذية أبرز المعالم المميزة ترتفع بأبراجها الجميلة المزخرفة وأفاريذها الملحية ويمكن مشاهدتها من أي مكان . هذه المعابد وأبراجها أخذت تختفي عن العيون وراء المباني الخرسانية والأبراج الممرانية بجدرانها الزجاجية التي ازداد عددها في السنوات الأخيرة . فالنمو الاقتصادي السريع وانخفاض أسعار الفائدة وعدم الاستقرار في سوق الأوراق المالية المحلية وانسياب المديد من المشروعات الاستثمارية شجع رجال الأعمال حديثي الثراء على الاتجاه إلى الاستثمار العقاري ، وانتشرت المباني الحديثة بسرعة مذهلة .

ولكن هذا العمران الحديث إذا كان واضحا في وسط المدينة بالمباني المعصرية العالية والطرق المرسوفة الواسعة ، إلا أن المدينة القديمة وشوارعها الخلفية تبدو في صورة متناقضة تلمعا . فالطرق في أغلبها غير ممهدة ، والمرصوف منها مليء بالفجوات والحفر ، والبيوت مقامة من خشب الساج الذي كان ذات يوم جيلًا يزخرفه ، ولكنه أصبح الآن كتعب المنظر متأكلا مع مر الزمن . وأغلب البيوت وخاصة المطلة على القنوات وجوانب الأنهار وحول خطوط السكك الحديدية والطرق التجارية مقامة على أعمدة ترتفع حوالي مترين من الأرض ومسقفة بأعواد البامبو وأوراق الشجر وسعف النخيل الجفاف . وعند مداخل البيوت درجات غير زوجية العدد تمنع الأرواح الشريرة من دخول المنزل . ويؤدي السلم إلى الشرفة أو إلى الطرق الرئيسية مباشرة . وتجلس النساء والأطفال عند مدخل المنزل أطول فترة من النهار للرماية والانتظار ، بينما تمشي الحنازير والدجاج تحت المنزل ، أما البيوت الأخرى فترتفع فوق قوائم من الاسمنت المسلح أو الطين .

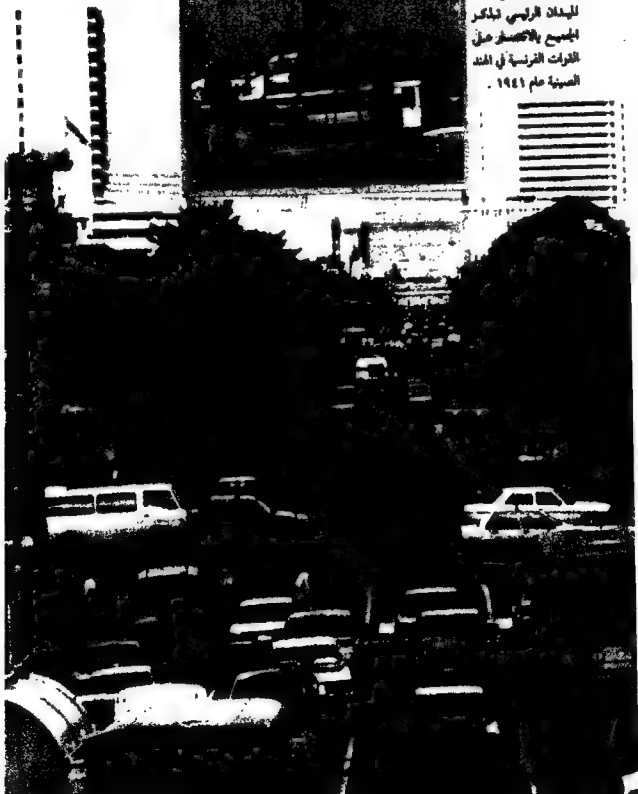
هنا في هذه الأحياء الفقيرة تماما كما في القرى تتم التجارة في كل شيء . . الملابس القديمة والأحذية العسكرية البالية والأواني المستهلكة ، جنبًا إلى جنب مع المنتجات التقليدية والملابس المطرزة والأقمشة ذات الألوان الصارخة ، ثم أنواع الفكاهة والخضراوات والأرز المطبوخ . ومن هنا أيضا يخرج الأطفال المشردون والمهاثمون على وجوههم يعرضون خدماتهم في الشوارع التي يرتادها السياح ويبيعونهم



في حديقة الزهور تقدم
الوان متباينة من اللون
التقليدية التالية ... أبرزها
عروض الرقص التي تمثل
مختلف القوميات التي يشكل
منها سكان تايلند كما تبدو في
الصورة الأولى ... أما
الصورة الثانية فلمرض القيلة
وهي تتنافس وتثبت قدرتها في
المصارعة وحمل الأثقال
وتحطيم الحواجز .. بينما
الصورة الثالثة لرقصة البامير
التي يمارسونها خلال أعياد
الحصاد .

الشوارع واسعة في
مدينة الملايكة ، حيث
تتدفق السيارات
وتتسابق بغیر روية أو
حذر من جانب
سائقها ..

وسع هذا حين مسلة
في خلال الصراع في وسط
الميدان الرئيسي في الذكر
المجيد بالانتماء على
القوات الفرنسية في الهند
الصينية عام ١٩٤١ .



وخضراوات وأدوات منزلية ، بينها القنوات الرئيسية والأنهار تتسع لجميع أنواع اللشاش وقوارب الركاب و « الساميش » التي تسير بالمجاديف وهي عملة بالفحم الحجري أو المواد المنزلية أو الفاكهة . وغالبا ما تطل الحضرة على جوانب القنوات فتكسبها منظرًا رائعًا لأن الأشجار والحشائش توجد عادة حيثما يوجد الماء ، على حين تؤدي القناطر الخشبية الضيقة إلى المنازل على الجانب الآخر .

مزرعة الأفاعي

ونواصل جولتنا بين معالم بانجوك . .
على مدخل مزرعة الأفاعي الواقعة في شارع الملك وأما الرابع في تطلق مهاد باستير ، نجد مجموعة من النساء جالسات في انتظار خروج أزواجهن أو أخوانهن من المبني الذي تقع فيه المزرعة . ونسأل إحداهن عن سبب الانتظار فتقول أنها ترفض مشاهدة الثعابين والحيات وهي تنثف السموم . وتقول أخرى أنها تخشى أن تلدغها الكويرا فتصوت كما ماتت الملكة كليوباترا متحرة . وتقول ثالثة : من يدري فربما ثارت الأفاعي لتقذف سمومها التي يسبب بعضها الصمم ويتسبب بعضها الآخر في سقوط شعر اللسوع . . فماذا أفعل لو سقط شعري خلال ثوانٍ إذا لدغني إحدى الحيات ذات الرأسين ؟؟

يقول لنا مرافقتنا ونحن في مزرعة الأفاعي إن الحكومة لم تقم هذه المزرعة وتهتم بها ليشاهدها السياح . ولكن الهدف الرئيسي منها هو تربية الأفاعي والحيات للحصول على سمومها التي تستخرج من أنيابها وفق طريقة معينة ، ثم تعالج لتصبح أمصالا ولقاحات تستعمل في مجالات عديدة ويرسل أغلبها إلى المناطق الريفية حيث حقول الارز التي تكثر فيها لدغات الأفاعي والنعامين . مزرعة الأفاعي تحتل مساحة تقع أسفل مجموعة كبيرة من أشجار الظل الضخمة ، حيث حفر ثلاث حفر واسعة عميقة تضم مئات من الأفاعي السامة . وأبرز أنواع الأفاعي الموجودة في المزرعة « ملكة الكويرا » التي يزيد طول بعضها عن أربعة أمتار ، بالإضافة إلى أنواع أخرى من حيات الكويرا والأفاعي المتسلقة العصارى والحيات الخيشية . وتستخرج السموم من

الأفكار البوذية « إن سعادة الناس تتوقف على أربع سواد : منزل يسكنون فيه ، وثياب يرتدونها ، وأدوية يعالجون بها عند المرض . . وطعام يأكلونه ليتكثروا من مواجهة المواد الثلاث السابقة وأبرزه الارز » .

فالارز هو الطعام الأساسي . ولهذا يحرص الفلاحون على زراعته كمحصول رئيسي . وإلى جانب الارز هناك أطعمة عادية مساعدة أبرزها السمك إلى جانب صلصة الشيللي وهي فاكهة ساخنة والجرجير والموز . . أما الفاكهة الأخرى فهي إما غالية جدا أو غير موجودة في متناول الفقراء . وتضيف صلصة السمك التي يسمونها « نام يلا » قوة وطما للغذاء النافه بالنسبة للثنيين ، بينما الصينيون شرهون وبالأخص بالنسبة للحوم وأنواع كثيرة من السمك التي لا يستيقها الثانيون .

جنود البندقية

كل هذه الصور من حياة الناس لخصتها لنا جولة نهريية في بانجوك . ففي قارب يشبه جنود البندقية قمتا مع الصباح الباكر بجولتنا النهريية . الصورة مثيرة حقاً . عشرات الآلاف من السكان يمارسون حياتهم في القوارب والننازل العائمة أو المنازل المحمولة على قوائم على طول شواطئ الأنهار والقنوات . وتشكل الأنهار وروافدها شبكة من الطرق المائية الصالحة للملاحة طوال العام . وعلى جوانب الشوارع المائية تقوم البيوت كما يتصل بعضها ببعض بقناطر خشبية مقوسة . ووقفنا عند سوق صغير عند أحد أركان النهر واشترينا من البائعة العجوز موزاً مقلياً جربناه فوجدناه لذيذ الطعم . وكان هدفنا أن نصور المرأة بلبعتها المصنوعة من القش . والغريب أنها رفضت أن تأخذ ثمن الموز المقليل باعتبار أنها قاتعة بأن صررتها ستتشر في العالم كله وتكون دعابة تجتذب السائحين لقاربها بالإضافة إلى نشوتها بفلشات آلات التصوير . . بينما جارأتها في القوارب الأخرى كن يطلبن البقشيش مقابل السماح بالتصوير .

على امتداد شواطئ القنوات كانت القوارب مختلفة الأشكال والألوان والمظلات أيضاً تصطف وفي كل قارب امرأة تعرض ما لديها من بضاعة ، فواكه

ويسمح لكل من اللاعبين أن يستقبلها بأي جزء من جسمه أو رأسه أو قدمه ولكن دون استخدام يديه .
ولكن المرض العنيف الذي يشد الانتباه هو عرض الملاكمة التايلندية ، فليس هناك ضربات متنوعة إطلاقاً ، ويستخدم الملاكم قبضته ويوجه لكمة الى قمة رأس خصمه او على مناطق منخفضة تحت البطن ، كما يمكن استخدام الرأس للنتطح والأرجل للرفس .. والحلبة تشبه حلقات الملاكمة العادية ، والملاكمون حفاة تحاف الاجسام ذوو مستوى عال جداً من اللياقة البدنية . وفي البداية يحيون الجماهير بالانحناء أمامهم بكل احترام ثم ينحسب كل ملاكم الى زاويته وهو يتمتم بدعاء ديني ، ثم يركعان ويسجدان بحيث يمس رأس الملاكم الأرض ويكرران ذلك في الاتجاهات الأربعة . بعد ذلك تبدأ تمرينات الإحماء ، كل ملاكم في زاويته يلاكم أو يرفس خصماً وهمياً . وبعد أن تعزف فرقة موسيقية مقطوعة صغيرة تبدأ المباراة ، ويشهد المتفرجون حركات غاية في الرشاقة والسرعة في الهجوم والدفاع والرد على الضربات بقسوة ووحشية . وتأتي الضربة القاضية عندما يتمكن أحد الملاكمين من رفس خصمه في مكان حساس فيسقطه أرضاً ويتابعه بالضربات على رقبته بكعب قدمه الخافية . ويظل الخصم المهزوم فاقداً وحيه لعدة دقائق . هذه اللعبة ذات شعبية كبيرة خاصة في الريف حيث أنها الوسيلة الممتعة لقضاء سهرة جميلة بعيدوم شاق من العمل في الحقول . !

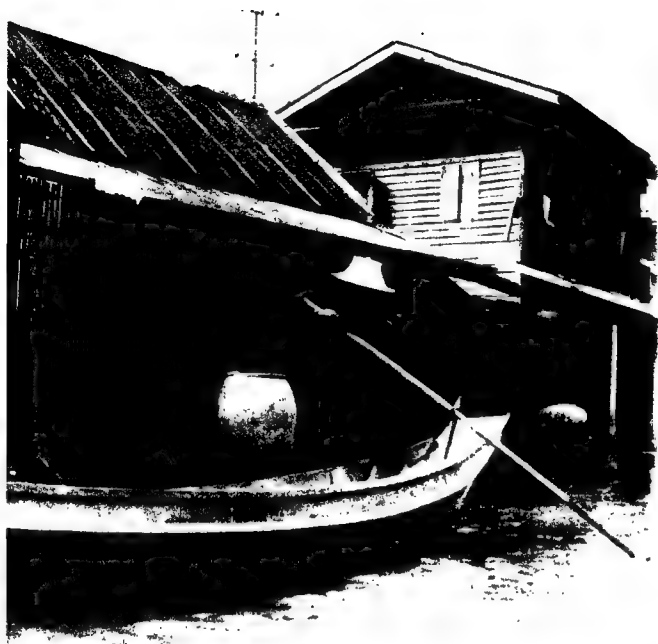
هناك عرض آخر مثير يسمونه « لوتشينج تشا » . فيتم نصب أربع أرجوحات يارتفاع حوالي خمسة عشر متراً ، وكل أرجوحة عبارة عن عمود من الخشب موضوع بشكل أفقي ومعلق من وسطه بحيث يتأرجح صعوداً وهبوطاً كالميزان . ويشترك في اللعبة ثمانية رجال فيجلس كل لاعبين في أرجوحة كل منهما عند أحد طرفيها . وعلى هؤلاء اللاعبين أن يرفعوا في الهواء وأن يلتقطوا عصفلة مملوءة بالنفود معلقة فوق رؤوسهم يخطب وقصيب من الخيزران . وعلى اللاعب عند ارتفاعه الى أعلى أن يستخدم أسنانه فقط في اقتلاع الحفظة من مكانها لتكون له لا يتنازع فيها أحد . وبالطبع يتعرض اللاعبون لخطر السقوط من ارتفاع كبير . وإذا سقط أحد اللاعبين

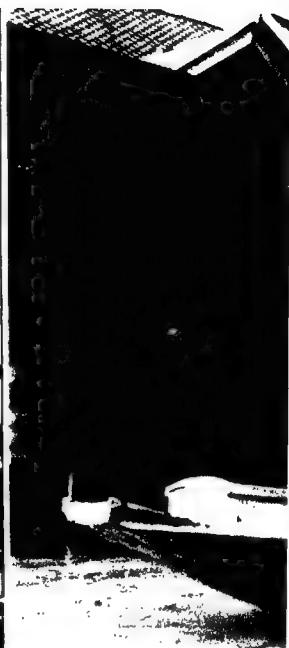
الأفمى بطريقة كانت لافتة لأنظارنا ، فقد أحضرت الافامي « حلبيها » كما يقولون بواسطة اثنين من العاملين المدربين ، ينزلان الى الحفرة وكانها ذهبيان للجلوس على مقهى للتسلية ، يلتقطان الأفمى من النوع المطلوب استخلاص سمه . ويمسك أحد الرجلين بكأس زجاجي فيقربه من فم الافمى أسفل النابين ، بينما يمسك الآخر برأس الافمى ويضغط على الجيوب السمية خلف العينين ، فمتندل يخرج من النابين سائل أصفر يسيل داخل الكوب الزجاجي هو الذي يتم تحويله بعد ذلك الى مهبل مضاد للدغات الافامي . المهمة في الحقيقة ليست سهلة . ويقول لنا أحد العاملين أن أحد ملوك الكوبرا ثار في أحد المرات لكثرة ما استخلص من سمه واستطاع أن يلدغ أحد العمال الذي أمكن إنقاذه من الموت بإعجوبة . أما كيف تتم المحافظة على المهبل فإن السم فور استخراجه تحن به جيد تحصصة لذلك من حظيرة قريبة من المزرعة . وعندما يجري السم في دماء الجياد يتم الحصول على دمها بشكل دوري بعد أن تختبر فعاليتها . وبعد أن يتم التأكد من مدى فعالية السم المطلوب يجري فصل السم من دم الحصان ويتم تحفيظه وتجميده وإرساله الى المستشفيات المختصة لعلاج لدغات الافامي .

حديقة الزهور

على جانب مهر تاشان على مسافة ٣٢ كم بالسيارة الى الغرب من بانجوك نزور حديقة الزهور . الحديقة أقامها على غط ديزني لاند أحد كبار محافظي العاصمة . تغطي الحديقة مساحة تفوق ٢٠٠ ألف متر مربع ، وهي مليئة بالورود والزهور ، ويتوسطها فناء حديث مقام على الطريقة التقليدية الثانية يضم حوض سباحة وملاعب للجولف وساحة للتجديف وتسهيلات للانزلاق على الماء ، بالإضافة الى قرية تقليدية تقدم فيها بعد ظهر كل يوم عروض الفلوكور التقليدية للسباح تتميز بالجمال وحسن الاداء .

كما يشير الانتباه في المرض التقليدي عرض « التاكرو » وهو نوع من الألعاب تشترك فيه مجاميع من الصغار والكبار يصطفون في حلقة دائرية ويتناظفون فيما بينهم كرة يجب ألا تسقط على الأرض





البنطقة الجديدة (لأهل) .. بطرقها المائية
 التي تخترق المدينة وقوارب الحضرراوات والفاكهة
 وبساتينها من النساء (والى اليمين) يدومين معهد
 باستير حيث مزعة الأفاعي وسمومها .. التي
 ترفض النساء الدخول إليها (والى اليسار) مسجد
 بانكوك ومطنته أمام مقر المركز الاسلامي .
 والمسئول عن الشؤون الثقافية يتابع كتب التفسير
 والحديث في المكتبة الرئيسية للمركز ..

حلبات صراع الديوك . حلبه قتال الاسماك تقوم حول مائدة يبلغ طولها ستة أمتار يتحلق حولها المتخرجون وقد جلسوا على مقاعد منخفضة . على المائدة عدة ألوان زجاجية وخروطية الشكل ، في كل آتية منها وضعت سمكة صغيرة من النوع الصيني ذي الذيل المشرشر المشهور بروحه العدوانية وحبه للقتال . وعندما تبدأ المباراة يقوم الحكم باغتراف سمكة من آتيها بأداة تشبه الملعقة الكبيرة ويسقطها في الآتية التي تسحب فيها سمكة أخرى من نفس النوع .

وفي لحظة يضرب الماء وتتفزع كل من السمكتين على منافستها تريد عضها وانتزاع زعانفها ، وكلما استمر القتال ويده الاجهاد على السمكتين نوثقنا لعدة مؤقتة ليعود القتال بعدها أشد عنفا بينما الصيحات والتصفيق يرتفع من المشاهدين . ولا يقل زمن المعركة المستمرة عن خمس دقائق وتنتهي بموت إحدى السمكتين . وعندما تهبط السمكة المهزومة الى القاع تتابعها المتصرة وتقتلع زعانفها وذيلها ثم تبدأ في نيش لحمها ، وتكافأ السمكة المتصرة بإطعامها ببعض الديدان يقدمها لها صاحبها بعد أن يكون قد فاز بالرهان .

المسلمون بين مد وجزر

كل هذه الجولات لا تغني عن لقاء مع المسلمين في بانجوك . وبدأ اللقاء مع الإمام المسئول عن الشؤون الدينية شافعي عبدالقادر في مقر المركز الاسلامي الذي يمدننا عن مسيرة الاسلام في تايلند ونشاط المركز في بانجوك في نشر الثقافة الاسلامية وتعليم الطلاب والطالبات وخاصة اهتم في الایام الاخيرة بدأوا يتعلمون لغة القرآن والتفسير السليم . بدأ الدين الاسلامي انتشاره أولا في شبه جزيرة الملايو ثم جاء الى بلاد سيلام عن طريق التجار العرب الذين جاءوا للتجارة ونشر الاسلام معا ، وفي عهد دولة دايوتيا ، حوالي عام ١٥٩٠ جاء تاجر مسلم اسمه الشيخ أحمد واستوطن البلاد وأقام مركزا للتجارة في مدينة أيوديا حيث تمتع بتكريم الملك له بمنصب المسؤول المالي (وهو منصب رئيس الوزراء) ويعتبر الشيخ أحمد الجد الاول لبعض عائلات تايلند الان .

أما المسلمون في جنوب تايلند فهم مواطنون

من طرف العمود فإن اللاعب الآخر على العمود نفسه يفقد توازنه ويسقط أرضاً . هذه اللعبة ترتبط بموسم حصاد الأرز .

العرض في حديقة الزهور يستمر أكثر من ساعتين تتخلله رقصات تقليدية تمثل مختلف القوميات التي يتشكل منها سكان تايلند . وأبدع هذه العروض مشاهد حفلات الزواج التقليدية . ومع نهاية العرض تنجح الى حيث تقوم الفيلة بعرض آخر تثبت فيه قدرتها على حمل الأثقال على ظهرها ، ومقدرتها على جر هذه الأثقال وقلع الأشجار وتحطيم بعض الحواجز . وهذا العرض يعتبر بسيطا الى جانب ما يجري في مسابقات الفيلة حيث يشترك في السباق عشرة من الفيلة في المباراة ، ويقف على ظهر كل فيل سائس وقد أمسك حبالا في يد وسوطا في اليد الاخرى . ومع بدء السباق تجري الفيلة في تناقل ثم تسرع في جريها تحت ضربات السياط التي تثيرها فتجعلها تقتتل مع بعضها البعض ، ويحاول كل فيل إسقاط الفيل المجاور له ويطيح به أرضا مستخدماً خرطوميه للاخلال بتوازنه . ويتم في النهاية توزيع الجوائز على الفائزين من السائس . كما نشاهد الفرقة وهي تقطف جوز الهند من الاشجار وعادة ما تكون قد دربت بشكل جيد على ذلك بتقليد صاحبها ، فعتما يقذف المدرب الفرقة بجوزة هند من على الأرض يفعل الفرقة ذلك ولكن من فوق الشجر . .

عروض فنية رائعة أخرى تشهدها في مختلف الفنادق والملاهي في بانجوك . لا نخلو فندق من الفنادق الكبيرة من قاعة رئيسية تقدم فيها الرقصات التقليدية والموسيقى ومباريات الملاكمة بالأرجل . وأبرز هذه العروض تقدم في المطاعم الكبيرة وبخاصة مطعم شهير يمد من أكبر مطاعم العالم بمساحة الممتدة على أربعة هكتارات ويبلغ عدد مقاعده ثلاثة آلاف مقعد موزعة في أرجائه الواسعة بين أحواض الزهور والمساقط المائية والأشجار المورقة ، ويقوم على خدمة الرواد عمال وحاملات يتحركون على زلاقات لسرعة إحضار الطلبات .

أثار استغرابنا في إحدى زوايا الحديقة الرئيسية زحام شديد لم نكد نقترب منه حتى عرفنا أن المشاهدين يتابعون مسابقة قتال الاسماك ، حيث ترتفع أصوات المراهنين والمضاربين غمما كما شهدنا من قبل في

الكبرى . وحكمت الولايات الفطانية بشكل مباشر وعينت الحكومة حكاما بوذيين يحكمون الجنوب المسلم . وبعد أحداث ١٩٣٢ ازداد الموقف سوءاً وقرضت عليها يد من حديد وأملت مصالح الشعب ، ولجأت الدولة الى استخدام سياسة الدمج ، ووقت مشاريع التنمية وبرامج تطوير الثقافة الاسلامية . وأدى كل ذلك الى قيام حركة الكفاح الشعبي من أجل الاستقلال بقيادة أحد علماء فطان « حاج سولونج تومينا » وحدثت اشتباكات خلال عامي ١٩٤٢ و ١٩٤٨ وقبض على الزعيم المجاهد وزملائه ، وهاجمت القوات التايلندية قرية « دوسون بور » وقتلت أربع مائة من الرجال والنساء ، وأحرقت مساكنهم ، وشردت ٢٥ عائلة في قرية بلوكر ، وأغلقت المدارس الاسلامية وقبض على بعض المسؤولين فيها . وخلال السنوات التالية ازداد التعسف ضد المسلمين ، ومنع الشعب الفطاني من استخدام اللغة الملاوية مع وجوب التعامل باللغة التايلندية ، وجرى تهجير عدد كبير من البوذيين من الشمال وتوطينهم في الجنوب . وكان أغلب هؤلاء من الجنود الذين خاضوا حرب فيتنام .

قال لنا أحد شباب المسلمين : في عام ١٩٧٥ قامت فرقة من المشاة البحرية بالقبض على خمسة أفراد من طلبة المدارس الاسلامية وأجبروهم على الركوع أمام تمثال بوذا ، ولما أبوا قتلوهم ورموهم في النهر ، وقام أهالي فطان بمظاهرات شعبية ضخمة استمرت ٤٤ يوماً احتجاجاً على تلك الجريمة ، وطلباً للعدالة والحرية . واضطرت الحكومة لبذل الوعود ولكن أخلفتها فيما بعد . ولكن الاضطهاد استمر حتى بلغ عدد النضاحيا من المسلمين الأبرياء الذين قتلهم القوات التايلندية ٣٦ ألف ضحية ، وبلغ عدد المهاجرين الفطانيين الذين لجأوا الى ماليزيا وحدها حوالي ٥٠ ألف شخص .

يقول محدثنا : برغم كل ما يقولون في النشرات الاعلامية عن المعاملة الطيبة والمساواة التي يتمتع بها المسلمون ، الا أن الاضطهاد ما زال يحيط بالشعب الفطاني ، ولا يمكن لهذا الشعب المسلم أن يقبل مواصلة العيش بلا معنى في وطن أجدادهم ، وهم يفتقرون الى الاستقلال والحرية ، في بلاد تستعمرهم وتسمى نفسها « أرض الاحرار » □

أصليون ولم يتصل نسبهم الى التجار أو الاجانب الذين هاجروا اليها . ويثبت التاريخ أنهم مواطنون محليون مقيمون في هذه البقعة قبل الميلاد وبعدة سنوات ، وأقاموا دولتهم باسم « مملكة لانكاشوكا » ، وفي سنة ١٦٧٥ أقاموا دولتهم الجديدة باسم « مملكة سرى ويشاي » ، واستمرت الدولة صاحبة نفوذ إسلامي قوى حتى أوائل القرن التاسع حيث غرست الديانة الاسلامية جذورها داخل مملكة فطان التي أسسها « پرياتوانكو » الذي عابله طبيب مسلم اسمه الشيخ سعيد من مرض عمت أصيب به وكان شرطه لمواصلة العلاج هو أن يعتنق الملك الاسلام بعد شفائه .

ونكت الملك ثلاث مرات عن وعده بعد الشفاء ، فكان المرض يعاوده ثانية حتى شفى تماماً في المرة الثالثة ، فأسلم هو وزوجته وأولاده وبناته وتبعه شعبه في اعتناق الاسلام ، وأصبحت مملكة فطان مملكة إسلامية منذ ذلك الوقت ، وتوسعت حتى شملت الولايات الجنوبية كلها وهي « جالا » ، وفطان ، وناريتواسي ، وستول .

يؤكد الشيخ شافعي أن عدد المسلمين في تايلند يبلغ حوالي مليون نسمة ثلاثة أرباعهم في مناطق الجنوب . ويقول إنهم يتمتعون بمساواة كاملة وبحرية مكفولة في ممارسة شتوتهم الدينية والسياسية والتعليمية ويمارس عدد كبير منهم المنصب الهام في مختلف المحافظات . إن في بانجوك وحدها حوالي ٢٠٠ مسجد من بين حوالي ٢٠٠٠ مسجد في تايلند كلها تدعم إقامتها الحكومة وبعض الدول الاسلامية التي تقدم منحاً دراسية كثيرة لأبناء المسلمين ولكن هناك حاجة الى المزيد من المعونات .

ولكننا نقرأ ونسمع أشياء أخرى ، من المسلمين أنفسهم ، سواء في مناطق الجنوب أو من زاروهم وتحذروهم ، فعدد المسلمين يتجاوز خمسة ملايين نسمة منهم أربعة ملايين في الجنوب وحده ولكنهم يلقون أسوأ المعاملات وبخاصة بعد أن أعلنت تايلند عام ١٩٠٢ - بعد حروب وغزوات ضد فطان استمرت ٤٦ سنة - ضم فطان واعتبارها جزءاً من المملكة ، وأنقبت جميع حقوق سيادة السلاطين الفطانيين المسلمين وأخروهم تنكروا عبدالقادر . ومنذ ذلك الوقت أصبحت فطان منطقة تابعة لمملكة تايلند

أسواق القاهرة القديمة

د . قاسم عبده قاسم *

التسوق متعة للكثيرين ، والأسواق ملتقى اجتماعي يمكن التعرف من تكويناتها على الملامح الاجتماعية للشعوب ، وهذه رحلة سريعة ، ومشوقة ، لأسواق القاهرة في الحقبة المملوكية ، تثير مقارنة متعة فيها كان وما هو كائن ، وتفصح عن ملامح الحياة اليومية والاجتماعية للمصريين في عصر المماليك .

والكردية والتركمانية الى مصر . هذه الهجرات كان لها تأثيرها ، بطبيعة الحال ، على معدل النمو السكاني وتدور تقديرات الباحثين لمعدن السكان في مصر كلها آنذاك حول الثلاثة ملايين نسمة ، بينما يقدر عدد سكان القاهرة فقط ستمائة ألف نسمة في الفترة نفسها . وقد ذكر المقرئ أن عدد قرى مصر آنذاك كان حوالي الفين وخمسة مائة قرية ، فإذا افترضنا ان عدد سكان القرية كان يتراوح بين الف وخمسة مائة الفين من السكان لبدأ لنا الامر معقولا .

أبهى ما يشاهد في القاهرة :

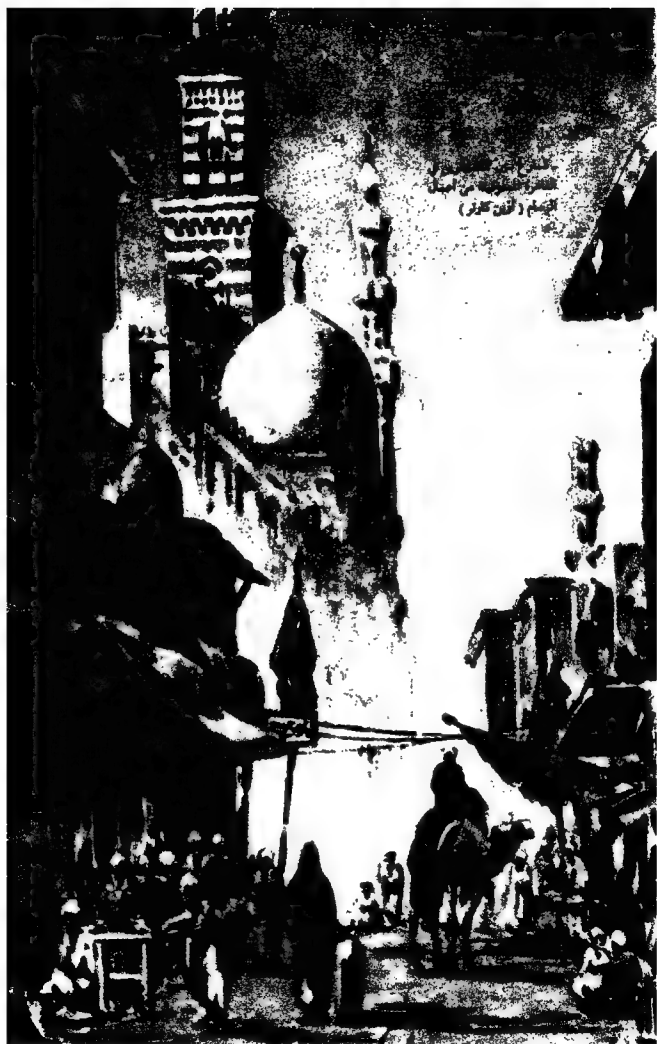
على اية حال ، فإن النمو السكاني انعكست نتائجه واضحة في أسواق البلاد المصرية عامة ، والقاهرة خاصة . وتميزت هذه الأسواق بكثرة عددها من ناحية ، ووفرة البضائع والحركة والنشاط فيها من ناحية أخرى .

والواقع الذي تكشف عنه مصادرنا التاريخية يبين لنا أن أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك عرفت نوعا من التخصص في نوع البضاعة التي

شهدت مصر مع بداية عصر سلاطين المماليك نموا سكانيا كبيرا . ويمكن تفسير ذلك النمو السكاني في ضوء حقيقة مؤداها أن القرن الأول في حكم سلاطين المماليك كان يمثل فترة سلام واستقرار الى حد كبير . ففي عصر المماليك البحرية الذي يمثل خط الصعود في تاريخ سلطنة المماليك ، كان النظام السياسي راسخا ، وكانت القوة العسكرية للدولة توفر لها الهيبة في الخارج ومنذ بداية ذلك العصر الزاخر بالاحداث تمكنت مصر من صد الهجوم التتاري الشرس قبل أن تستطيع هذه الجحافل الظالمة المدمرة اختراق الحدود المصرية . وكان معنى هذا نجاة جماهير المصريين من المذابح المرحبة التي اقترنت بغزوات التتار وبعبارة أخرى احتفظت مصر بمعدل ثابت للنمو السكاني . كذلك فإن غزوات التتار دفعت بالكثيرين من سكان العراق والشام الى الهجرة والاستقرار في مصر . ومن الغرب جاءت هجرات أخرى ، أقل عدداً ، بسبب الظروف السياسية في بلاد المغرب الاسلامي ، وتدهور الموقف العسكري في الاندلس . كما تشير مصادر تلك الفترة الى بعض الهجرات المغولية



* استاذ التاريخ بكلية الآداب - جامعة الكويت ورئيس قسم التاريخ بكلية الآداب ، جامعة الزقازيق .



يبيعها كل سوق . وهو ما يبدو متسقاً مع طبيعة الحياة الاجتماعية في مصر آنذاك . فقد كان التقسيم الإداري لسكان القاهرة تقسماً يقوم على أساس النشاط الاقتصادي للسكان إلى حد بعيد ، إذ كان أبناء كل طائفة حرفية يسكنون حياً ، عرف في عصر الماليك بالحارة ، ينسب اليهم : مثل حارة المغربلين ، والصناديقية . . وغيرهم .

ويجدد بنا أن نلاحظ أن أسواق المواد الغذائية كانت منتشرة في جميع أنحاء العاصمة ، وهو أمر يتماشى بالضرورة مع توزيع التجمعات السكانية . وقد لفت انتباه الرحالة الأسباني « بيروتافور » ، الذي زار مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، هذا الرواج الذي تعكسه أسواق القاهرة فقال : « إن أحسن وأبهى وأروع شيء يراه المرء في القاهرة سوقها الذي تعرض فيه اكداش هائلة وكميات ضخمة من شتى البضائع الواردة من الهند . . . »

وتجدر بنا أن نلاحظ أن أسواق المواد الغذائية كانت منتشرة في جميع أنحاء العاصمة ، وهو أمر يتماشى بالضرورة مع توزيع التجمعات السكانية . وقد لفت انتباه الرحالة الأسباني « بيروتافور » ، الذي زار مصر في القرن الخامس عشر الميلادي ، هذا الرواج الذي تعكسه أسواق القاهرة فقال : « إن أحسن وأبهى وأروع شيء يراه المرء في القاهرة سوقها الذي تعرض فيه اكداش هائلة وكميات ضخمة من شتى البضائع الواردة من الهند . . . »

تخصيص الأسواق :

وكان سوق باب الفتوح واحداً من أشهر أسواق القاهرة ، إذ كان الناس يقصدونه . . من أقطار الأرض لشراء أنواع اللحم الضأن والبقر وشراء أصناف الخضراوات « كما يذكر المقرئزي . كذلك عدد لنا المؤرخ ابن الصير في أصناف اللحوم والخبز التي كان المصريون يستهلكونها ، ويبدو من عددها الكبير مدى حال الرفاهية التي عاش المصريون في ظلها في بداية ذلك العصر .

أما الطيور والدواجن فكانت تباع في « سوق الدجاجين » الذي كانت تباع به طيور الزينة أيضاً . كذلك كان بالقاهرة سوق مركزي للفاكهة هو « دار التفاح » أو « دار الفاكهة » التي كانت الفاكهة المنتجة محلياً والمستوردة من بلاد الشام ترد إليها ، لكي يتم توزيعها بعد ذلك على أسواق الأحياء والضواحي .

أما أسواق الملابس ولوازمها . فقد تنوعت أسماؤها حسب تخصصها . « سوق الشرايين » . مثلاً تخصص في بيع ملابس الأمراء والوزراء والقضاة ، وكان تجار هذا السوق يشترون الخلع والتشارييف من الصناع ويبيعونها لديوان الخالص

السلطاني وللدواوين الأمراء . كذلك تخصص « سوق الحواتيين » في بيع الخواصص ، أو الأحزمة التي كان القروان يلقونها حول خصورهم لوضع أسلحتهم فيها . وكانت هناك أسواق للفقراء مثل « سوق الخلعين » الذي كانت تباع فيه الملابس المستعملة . وفي القاهرة كانت هناك أسواق خاصة بلوازم القتال مثل « سوق السلاح » الذي تم انشاؤه في العصر الأيوبي وكان قريباً منه « سوق المهامزين » الذي كانت حوانيته تبيع المهاميز المستخدمة في الركوب ، و « سوق اللججين » الذي كانت تباع فيه المعدات الجلدية مثل اللجام ، وكان مجاوراً للسوقين السابقين وكان به عدد من صناع السروج وغيرها .

وكان هناك عدد من أسواق لوازم السفر في القاهرة آنذاك ، مثل « سوق المرحلين » الذي كان يزدهر أيام موسم الحج . وكانت تباع به أدوات تجهيز الجمال التي كانت وسيلة المواصلات البرية الوحيدة للمسافات الطويلة . وكان هذا السوق من الضخامة بحيث كان يمكن تجهيز مائة جمل في يوم واحد منه . وكان هناك سوق مشابه هو « سوق المحابر » الذي كانت تباع فيه المحابر التي كان الناس يسافرون فيها إلى الحجاز وبيت المقدس . أما الأسواق التي كانت تباع بها حاجات الناس اليومية فكثيرة متنوعة . ومن أهمها « سوق الصناديق » الذي كانت تباع به شتى أنواع الأثاث المنزلي مثل الصناديق والخزائن والأسرة . كذلك كان « سوق الشماعين » من الأسواق التي اتخذها القاهريون مكاناً للزفة المسائية على ضوء الشموع الكثيرة التي كانت توهج في أرجاء السوق الذي كانت حوانيته تظل مفتوحة إلى ما بعد منتصف الليل .

وللأمكنة أسواقها :

ومن الملاحظ أن التطور السكاني لمدينة القاهرة في عصر سلاطين المماليك كان يقتضي حدوث تغيرات نوعية ومكانية ، بحيث تندثر بعض الأسواق القديمة وتنشأ أسواق جديدة ، كما ينبغي أن نلاحظ أن أساء الأسواق لم تكن على الدوام مشتقة من نوع نشاط

على المكان جواً طيباً كان يفري الناس بالتجاذب هذا المكان منتزهاً في أسيات الصيف . وفي القصبة - الشارع التجاري الرئيسي في القاهرة آنذاك - كان « أرباب المقاعد » يجلسون على امتداد الشارع . . . باطابق الخبز واصناف المعاش . . . على حد تعبير المقريري .

وقد وجد بالقاهرة سوق بأكمله لبيع ادوات الزينة النسائية ، وهو « سوق الفقيصات » الذي كان الباعة يجلسون فيه ، تجاه القبة المنصورية ، وأمامهم تحوت عليها أقفاص صغيرة (ققيصات) من الحديد ، وقد شبكت عليها الخواتم والقصوص وأساور النساء وخلاخيلهن ، وما إلى ذلك . وكان أولئك الباعة يستأجرون الأرض التي يجلسون عليها بيضاعتهم من المشرف على اليمارستان (المستشفى) المنصوري الذي كان هذا السوق من أوقافه .

ويبدو من كلام المؤرخ « تقي الدين المقريري » أن المنافسة كانت تشتد بين الباعة من « أصحاب المقاعد » الذين يفترون أرض الأسواق من ناحية ، وأصحاب الحوانيت من ناحية أخرى وكانت تتصاعد أحياناً إلى حد الاشتباك الذي يوجب تدخل الدولة أما النوع الثاني من الباعة الجائلين ، فكانوا يطوفون شوارع القاهرة وأزقتها (وهو ما يزال من الأمور المعتادة في القاهرة حتى اليوم) ، وكان هؤلاء يتأدون على بيضاعتهم باصوات عالية ، وبأغنيات وأهازيج في بعض الأحيان ، ويطوفون الأماكن البعيدة عن الأسواق فتخرج إليهم النسوة من بيوتهن للشراء . كذلك كان يائمو الأقمشة والدلالات يدخلن البيوت لمرص البضائع على ربوات البيوت .

مرآة لحياة القاهرة الاجتماعية :

وكان من الطبيعي أن تخضع الأسواق لرقابة الدولة التي اتخذت عدة أشكال ، منها وجود الموظفين المسئولين عن رقابة الأسواق . ومنها الضرائب التي كانت تفرض على أرباب السوق ، كما كانت تتدخل الدولة من أن آخر لتنظيم الأسواق وتخطيطها من ناحية أخرى . ارتبطت أسواق القاهرة بالكثير من عادات المصريين وتقاليدهم كما كانت

السوق ، بل كانت هناك أسواق اشتقت اسمها من أماكن وجودها ، مثل « سوق جامع ابن طولون » ، و « سوق الخانقاه » ، و « سوق حارة برحوان » كما كان لبعض الأسواق أسماء اشتقت من أسماء بعض الجاليات التي سكنت القاهرة في ذلك الزمان : مثل « سوقية العراقيين » ، و « سوقية المغاربة » و « سوقية اليهود » . وقد حلت بعض الأسواق أسماء أشخاص مثل : « سوقية معتوق » و « سوقية ابن العجمية » و « سوق وردان » التي تنسب إلى وردان مولى عمرو بن العاص وقد ذكرها المؤرخ « ابن دقمان » ضمن أسواق الفسطاط . وكانت لبعض الأسواق أسماء رفيعة مثل « سوق البراغيث » ، و « سوق لحاف » ، و « سوق العياط » .

ويبدو من كلام ابن دقمان والمقريري عن أسواق عصر سلاطين المماليك أن هذه الأسواق كانت تقام في أماكن تسمح للسوق بمنافذ متعددة بحيث يسهل على رواد السوق الدخول والخروج . كما يتضح أيضاً أنه كانت لبعض الأسواق في القاهرة مخازن خاصة بها . وقد عرفت أسواق القاهرة أيضاً نظام الصيرافة الذين كانت مهمتهم استبدال العملات وتغييرها لرواد الأسواق

أسواق أرباب المقاعد :

والى جانب الأسواق التي انتشرت في أرجاء القاهرة عرف القاهريون الباعة الجائلين الذين كان بعضهم يفتش الأرض في السوق بيضاعته ، على حين كان بعضهم الآخر يتجول بما يحمله من بضائع في شوارع القاهرة وأزقتها .

أما الباعة الذين كانوا يفترون أرض الأسواق بيضاعتهم فقد عرفتهم مصادر تلك الفترة باسم « أرباب المقاعد » وكان أولئك يبيعون مختلف البضائع من المأكولات والمشروبات والفواكهة والخضراوات ، أو الخواتم والأساور وغيرها من زينة النساء . ففي سوق السلاح كان أولئك الباعة من أرباب المقاعد يفترون الأرض أمام حوانيت السوق ، فلذا قبل الليل أشعلوا المشاعل التي تضفي

- شارع من شوارع القاهرة
الملوكية من أعمال الرسام
(أوين كلوتر)



● أسواق القاهرة القديمة

القاهرة آلاف المطاعم التي تحدث عنها الأجانب الذين زاروا القاهرة في ذلك العصر . وقد عرفت القاهرة

نوعين من المطاعم ، اولها « المطابخ » التي كان الناس يتناولون فيها الطعام الجاهز وحوانيت « الشرائعية » التي كان سكان القاهرة من الشرائع الاجتماعية المتوسطة يرسلون اليهم ما يريدون طهيه من لحوم وخضراوات وغيرها . ويسمى « الشرائعية » بطهيها بعد خلطها بالتوابل ، ثم ترسل مع الصبيان في قدور مغطاة الى المنازل لقاء أجر معروف .

تدهور الاسواق المملوكية :

هذه الصورة الزاهية للحياة في القاهرة كما نتمسكها حركة الاسواق خلال الشطر الاول من عصر سلاطين المماليك لم تلبث أن تلاشت بفعل عوامل التدهور التي عانى منها المجتمع المصري في اواخر القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي .

والواقع أن هبوط معدل النمو السكاني ثم تدهور أعداد السكان في مصر منذ منتصف هذا القرن بسبب « الوباء الكبير » او « الموت الاسود » (الذي انتشر في ارجاء العالم المعروف آنذاك) كان من أهم أسباب تقلص الاسواق القاهرية من حيث عددها وحركة البيع والشراء فيها . كما أن زيادة النظام الاقطاعي العسكري الذي قامت عليه بنية الدولة ، كان من أهم عوامل التدهور الاقتصادي الذي ترك اثره الويلية على حركة الاسواق

والواقع أننا لا نستطيع أن نحصر العوامل التي أدت الى تدهور أسواق القاهرة في عصر سلاطين المماليك في اطار واحد بعينه ، سياسيا كان ام اقتصاديا ، واجتماعيا كان ام طبيعيا . فالحقيقة أن هذه العوامل كلها تداخلت وتشابكت في حركتها بحيث يصعب تحديد دور كل منها ، وعلى ايه حال ، فإن تدهور الاسواق في القاهرة كان واحدا من المؤشرات العديدة على أن دولة سلاطين المماليك قد بدأت وحلتها الطويلة نحو الغروب . □

تعبيرا عن جوانب هامة من الحياة اليومية في المجتمع القاهري آنذاك .

ففي داخل كل سوق من هذه الاسواق كانت تقام مجموعة من الحوانيت ، بيد ان صغر مساحة الحانات كان يستدعي بناء مصطبة امام كل حانوت يجلس البائع عليها لمساومة المشترين ، او لتبادل الحديث مع زواره . ولذلك كانت الاسواق القاهرية من أهم مراكز الاخبار وصياغة الراي العام تجاه الاحداث الجارية .

وفي ذلك العصر جرت العادة - عموما - على أن تشتري النساء حاجاتهن من الاسواق ، وغالبا ما كانت النساء تمثل غالبية رواد الاسواق في بعض المواسم التي اعتاد المصريون الاحتفال بها . والجدير بالذكر أن بعض المعاصرين لتلك الحقبة كانوا يرون في خروج النساء الى الاسواق أمرا متكررا ، وكثيرا ما ثارت المناقشات في الدوائر الحاكمة ، بحضور الفقهاء والقضاة لمنع النساء من ارتياد الاسواق ، خصوصا في اوقات الازمات الاقتصادية والأوبئة .

ومن مظاهر ارتباط الاسواق بعمادات القاهريين وتقاليدهم الاجتماعية ، « سوق اخلايين » الذي كانت تباع به التماثيل من السكر والتي اعتاد القاهريون (والمصريون عامة) أن يشتروها لاطفالهم في مواسم اول رجب ، ونصف شعبان ، وعيد الفطر ، كذلك كان الناس يهدون هذه الحلوى لاصهارهم ، وخاصة اذا كانت المصاهرة حديثة او اذا لم يكن الرجل قد دخل بمروسته بعد . كما أن « سوق الشماخين » ارتبطت بالاحتفالات القاهرية بليالي شهر رمضان ، كما كانت تتلأأ بالأضواء في عيد غطاس النصاري .

ونكتشف دراسة الاسواق ايضا عن أنه لم يكن من عادة القاهريين - بشكل عام - أن يعدوا الطعام في بيوتهم . بل إن العامة كانوا يتناولون الطعام خارج منازلهم التي كانت متواضعة للغاية ، وانتشرت في

» البحث عن الزمن المفقود«



للأديب الفرنسي مارسيل بروست
بقلم الدكتورة : زينب عبدالعزیز

في تاريخ الابداع الروائي العالمي تنتصب ملحمة « البحث عن الزمن
المفقود » رائعة مارسيل بروست كواحدة من أهم الأعمال التي تركت تأثيرات
ضخمة في المسار الروائي الحديث .
ولذلك يهتم بها المبدعون ونقاد الأدب ومؤرخوه والمتذوقون له .

سنوات النضوج :

تعد أهم فترات حياة بروست الإجتماعية وأعنفها
صراعا تلك السنوات التي واكبت قضية الإفراج عن
الفريد درايفوس ، ذلك الضابط الفرنسي اليهودي
الأصل الذي حوكم وسجن خمسة أعوام ثم أفرج عنه
بفضل حملة اعلامية سياسية ودينية صاخبة ، شغلت
الرأي العام الفرنسي وقسمته حتى التمزق . .

وكان مارسيل بروست قد انضم مؤيذا لهذه
الحملة فيما بين عامي ١٨٩٨ و ١٨٩٩ ، ثم سافر إلى
فينسيا ليدرس مذاهب القيم الجمالية هناك . وما أن
عاد من إيطاليا حتى بدأت أحزانه بوفاته والده ،
وتوغلت الأحزان أكثر بوفاته والدته - تلك الأم التي
سألوه ذات يوم ، وكان في الثالثة عشرة من عمره :
« ماهو أبشع شيء يمكن أن يحدث لك وتعدده قمة
البؤس ؟ » فقال متدفعاً : « أن أفقد أمي ! » .

في الثاني عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٣
أعلنت جريدة « لي طان » الفرنسية عن ظهور
رواية « عند ناحية سوان » لدى دار نشر برنارد
جراسيه إلا أن كاتب المقال لم يذكر أن كافة دور النشر
الأخرى كانت قد رفضت هذه الرواية !
ولم يدرك بخلد رافضي ذلك النص أنه سيصبح من
أهم روايات القرن العشرين ، بل حجر الأساس
التي قامت عليه الرواية الحديثة في فرنسا .

لذلك يعد مارسيل بروست واحداً من أهم
الكتاب الذين مازالت آثارهم تمتد على مجريات
الرواية الحديثة ومسارها حتى يومنا هذا ، بفضل
ما أضافه في مجال التعبير والحلم وتوارد الخواطر .
وتتلخص أهمية المكانة التي يحتلها في أنه استطاع أن
يفرض على القارئ عالماً خيالياً أكثر واقعية من
الواقع ، وتعبيراً جديداً عن الزمن التجميعي في ذهن
الإنسان .

الإنعزال والعمل :

ويفقدانه أمه ومعايشته لأشبع ما يمكن أن يحدث له
تبدلت آماله وأحاط نفسه بستر من العزلة لتتصهر
آلامه في بوتقة ذلك البؤس . انعزل ليكتب ويعبر عن
جحيم الحياة ، ذلك الجحيم الذي ترتبط فيه
الكوميديا الإنسانية العامة بالأساة الذاتية لكل فرد ،
واستكان الى عالم الذكريات والذكرى ليكتب
ملحمته المعروفة باسمها الشامل : « البحث عن
الزمن المفقود » ، وهي ملحمة تقنع في
سبعة أجزاء ، لكل منها عنوانها الفرعي المستقل .

انعزل بروس في غرفة مكتبه المبطنة بالفلين ،
لتجذب عنه ضوضاء العالم الخارجي ، وليمكن من
الاستماع الى نبضات أصدااء ذلك الزمن الضائع
الذي حاول التعبير عنه ، ولا يحيط به سوى حشرة
أنفاسه وهي تنتزع رشفات الحياة ، وقد زادت حدة
إصابته بالربو . ولقد شبه غرفته هذه بسقينة نوح التي
« سمعت له برؤية العالم وفهمه بفضل غلقها المحكم
والسواد الدامس المحيط بها » - على حد قوله .

وفي عام ١٩١٩ حصل على جائزة جونتور الأدبية
عن الجزء الذي يحمل عنوان : « في ظل الفتيات
المزدهرات » . بينما اشتدت وطأة المرض عليه ، وفي
الثامن عشر من شهر نوفمبر عام ١٩٢٢ خبت أنفاسه
وانطفأت بينا ارتسمت على عجاى عطور تلك الزهور
التي أجاد التعبير عن عبيرها الأثيري . انتقل تاركا
مخطوطات ثلاثة أجزاء من ملحمة تم طبعها تيعا .

ملحمة « البحث عن الزمن المفقود » :

تتضمن هذه الملحمة أو هذه المجموعة الروائية
سبعة أجزاء هي :

■ « عند ناحية سوان » (١٩١٣) : ويحكى فيها
المؤلف ذكريات الطفولة التي تبادرت الى ذهنه بينما
كان يغمس قطعة من الكمك الجاف في قدح من
الشاي ، ومن خلال توارد الخواطر هذه قام بتقديم
أفراد أسرته أو شخصيات الرواية بالإضافة الى أولى
خطواته في كل من عالم الادب وعالم الحب ..

■ « في ظل الفتيات المزدهرات » (١٩١٨) ويعبر

الأديب في هذا الجزء عن المجال الفني والموسيقى
والأدب من خلال مجتمع الأرستقراطية الفرنسية
وتحلق طبقة البورجوازية .

■ « ناحية جيرمانت » (١٩٢٠) : يتعرض الأديب في
هذا الجزء للمجال العاطفي والنفوذ الاجتماعي
لنلك الشخصيات .

■ « سودوم وجومور » (١٩٢٢) : وهنا يتوغل
الأديب أكثر في أعماق شخصياته ليعكس اخلاقيات
ذلك المجتمع وما يتطوى عليه من فساد وانحراف
وشلوث .

■ « السجينة » (١٩٢٣) : يتناول الاديب في هذا
الجزء مشاعر الغيرة التي تدفع حاملها الى تصرفات
غير سوية حتى تأتي عليها .

■ « الهاربة » (١٩٢٥) : ويتضمن هذا الجزء آراء
الكاتب في قضية الموت وآثاره عبر ملكة عالم
النسيان .

■ « المنور على الزمن المفقود » (١٩٢٧) : اما في
هذا الجزء الأخير من الملحمة فيوضح الكاتب بآرائه
الأساسية حول التناقض وصراع الأضداد وخلاصة
فكره عن الفن الذي يمثل الخلاص الحقيقي من
تضاعيل الزمن ، فالفن - في نظره - هو « الشيء
الوحيد الصادق في هذا الوجود واللحظات التي
تبلورها الذاكرة عبر الزمان والمكان ، تمثل أصدى
ماعتناه » .

تمثل هذه الملحمة تاريخ حبة معينة من حياة
المجتمع الفرنسي وتاريخ ذاكرة كاتبها ، فهي تمكس
في آن واحد العالم الخارجي برمة أحداثه وأصدااء تلك
الأحداث في أعماق راويها ، وإن كان البطل الحقيقي
فيها هو الزمن الذي يمتد ويتنوع التعبير عنه طوال
هذا النص من جزئيات دقيقة الى مالا نهاية الدهر ..
ذلك الزمن الذي يحاصر الإنسان ويطارده ضاغطا
وجوده في لحظات محدودة مابين مشرق ومغرب !

وتعتمد فكرة البناء الدرامي لهذه الرواية الطويلة
على قاعدة اللبنة الأولى في البناء الضخم وعلى أهمية
تلك اللبنة التي تلتف حولها بقية اللبنة بترتيب
معماري يارح ، متماسك ، قائم على الترابط وكثيرا

طليقة الحاشية أو الخدم الذين يقومون بخدمة هذه الاستقرارية .

ورغم الزيف الذي يتألق به يريق ذلك المجتمع والذي اجاد الكاتب التعبير عنه فهو يجعل الكاتب اشبه مايكون بالتأثير بين القائلين بالقيمة للموضوع مهما كان تافهاً إلا بفضل الضوء الذي يسقط عليه وبالأسلوب الذي يعالج به .

أما الشخصيات فهي تتسم بذلك التواجد الدائم الذي لا ينسى ، انها شخصيات مستقلة الوضوح والتميز ، حتى الشخصيات الثانوية منها فهي مصورة بنفس التركيز والبلورة . وذلك ليس من خلال وضعها الاجتماعي فحسب وانما من خلال مختلف مكوناتها النفسية عبر الزمان المكان .

الذاكرة والزمن :

ويعتمد المؤلف في كتابته على بلورة لحظة زمنية معينة ، وتلك اللحظة التي مضت واستكانت أهمية كبرى ، والانسان الذي يستطيع إحياها من جديد ومعايشة أبعادها في لحظة أخرى يصبح في نفس ذلك الوقت خارج الزمن الذي يعيش فيه بالفعل ، لذلك يفرق بين الذاكرة المعادية التقليدية في الحياة اليومية ، والذاكرة الإنفعالية التي تلتقط تلك اللحظات القابعة في استكانة ، والتي يمثل الكشف عنها نفس تأثير الهزات الأرضية التي تشق سطح الكرة الأرضية ، فتلوح مقتنيات العالم الزمنية التي تمثل خلاصة صادقة لما عاشه الإنسان .

وهنا يتطور مفهوم الأديب بين الزمن الواقعي الذي تدور فيه الأحداث في الحياة اليومية - وقد تستغرق السنين، وذلك الزمن الحافظ كالومضات الذي يستغرقه استرجاع معاشتها في الذاكرة .

في عام ١٩٣٣ كتب الأديب الفرنسي بول فاليري في مقال بعنوان : « نحية الى مارسيل بروست » ، يقول : « يمكننا أن نفتح روايته في أي جزء نشاء ونستمتع بالقراءة إذ أن حيويتها لاتعتمد على ماسبق من نص ، وإنما تكمن في حيوية نسج النص نفسه الذي يمكننا أن نقره من أي مكان » . □

ماشيه الأديب نفسه بينه الكاتدرائية التي ترتفع بيناياها الشاهق حتى القمة ، بفضل عدة دعائم أساسية، تمثلها هو في صراع مشاعر الإنسان والموت والذاكرة عبر الزمن . .

لذلك أجمع النقاد على أن يروست ليس واحداً من أساتذة الفلسفة العامة فحسب ، وإنما واحد من أكبر فلاسفة علم الحياة ، إذ يكشف عن سمة درابته بأعماق الانسان وبغياهب تلك الغابة المتداخلة للمشاعر ، معتمداً على ديناميكية صراع الاضداد .

وتكمن عظمة مارسيل يروست في تشييد هذا البناء الدرامي الضخم في تعبيره عن عملية تحويل أحداث الحياة الاجتماعية والذاتية الى خلاصة فهو يقوم



ببلورة وتجليد تلك اللحظات التي افلتت من ضيقان الزمن والنسيان .

المجتمع والشخصيات :

وسواء كان البناء موسيقياً كالسمفونية أو معمارياً كالكاتدرائية فإن ترابط العمل ونجانه يبدو مذهلاً ، ويرجع هذا الترابط الى قوة الخيال ، وإلى شدة الملاحظة التي يربط بها اختيارات توارد الحواطر ، إلا أن المناخ العام الذي تدور فيه أحداث هذه الملحمة يقتصر على شريحة اجتماعية معينة . أما الطبقات الدنيا أو الكادحون فهم غير ممثلين إلا من خلال

السبيل العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

■ أصوات مميزة يحدثها جسم الإنسان

■ الطفح الجلدي الحاد لدى الأطفال



الطفح الجلدي الحاد لدى الأطفال

بقلم : الدكتور صباح السامرائي

مع تقدم العلوم الطبية قد نكتشف أن كثيراً من الأمراض هي أقل خطورة مما نظن ، وأن الأمر أبسط مما نعتقد ، إلا أننا مع ذلك نزداد إيماناً بتلك النصيحة الطبية الثمينة « درهم وقاية خير من قنطار علاج » .

بالتلامس أو استعمال أدوات مشتركة ، أو مع الرذاذ المتطاير من فم المريض وأنفه ، أثناء الكلام أو السعال مثلاً . وتحدث في السطور التالية عن كل مرض من هذه الأمراض بصورة موجزة

الحصبة

بعد فترة حضانة تبلغ نحو عشرة أيام ، تظهر أعراض المرض ببيئة سعال والتهاب في اللوزتين أو الأذن الوسطى . كما تلتهم ملتحمة العين ، ويغدو الغفل عكر المزاج كثير البكاء . ومن العلامات الخاصة بالحصبة التي تظهر قبل الطفح الجلدي وتساعد كثيراً في التشخيص ، بقع بيض صفار في بطانة الفم نستطيع رؤيتها في اللثة والخزء الأمامي من

أربعة أمراض شائعة بين الأطفال تعد السبب الرئيسي لظهور الطفح الجلدي الحاد وهي : الحصبة ، والحصبة الألمانية ، والحمق أو جدري الماء ، والحمى القرمزية . وأول ثلاثة من هذه الأمراض تنشأ عن غزو « الحمات » للجسم ؛ والحمات - جمع حمة أي فيروس - كانت صغيرة جداً ، لا ترى إلا بالمجهر الإلكتروني ، أما رابع هذه الأمراض - الحمى القرمزية - فينشأ عن الإصابة بنوع من الجراثيم أي « البكتيريا » ، يسمى بالمكورات السبحية المقيحة . وعلى الرغم من عدم خطورة الطفح الجلدي فإنه يثير التوجس في نفوس الآباء والأمهات وكأنه جرس انذار يدوي في أذانهم : « إن وراء الأكمة ما وراءها ! » جميع هذه الأمراض معدية تنتقل من الشخص المصاب إلى الشخص السليم

يظهر الطفح الجلدي بيئة احمرار يشمل الجذع والأطراف ولا يظهر على الوجه ، ويتصف هذا الطفح يشحوب اللون عند الضغط عليه بالأصابع . ومن علاماته الأخرى شحوب حول الفم نتيجة احتقان الوجنتين بسبب الحمى ، وبعد أربعة أيام يبدأ الطفح بالتساقط « Desquamation » ، أي أنه ينسلخ بصورة طبقة رقيقة . ويكون اللسان مكسوا بطبقة رقيقة بيضاء .

وقد يؤدي هذا المرض إلى التهاب الأذن الوسطى ، وخراج حول اللوزتين وأحيانا يؤدي إلى الحمى الروتية والتهاب كيبات الكلية . وعلى الرغم من عدم وجود وسيلة فعالة تقى من الحمى القرمزية ، فإنها سهلة العلاج بالمضاد الحيوى المعروف « بنسلين » . .

وإذا تركنا المضاعفات النادرة جانباً ، فإن الحمى القرمزية تعد من الأمراض البسيطة ، عكس ما كان ينظر إليها في السابق حينما كان المريض ينقل بسيارة اسعاف « سوداء » إلى مستشفيات معزولة ، وتُمنع زيارته منعا باتا ، ولا داعي لكل هذا العناية أطباء الماضى عليكم رحمة الله !! □

تضطرب حركة المريض ويحتل توازنه ، أما لدى الأطفال فقلبا ترافقه أية مضاعفات إلا إذا كان الطفل ناقص المناعة ، نتيجة للإصابة باللويميا أو ايضاض الدم ، أو غير ذلك من الأمراض السرطانية ، أو نقص المناعة المكتسبة . الإيدز « ففى هذه الحالات يكون المرض عتيفا قاتلا .

ولا ضرورة للوقاية من هذا المرض ، إلا في حالة كون الشخص ناقص المناعة ، وعندئذ يعطى « الكلوبوبولين البشرى » المضاد للمرض .

أما العلاج فهو علاج تحفظي « أي علاج أعراض المرض » ، وينصح - لهذا الغرض - بالاستحمام يوميا بماء يحوى مواد مطهرة لمنع تفحط الطفح الجلدي أو غزوه من قبل الجراثيم ، ويفضل ذلك الجلد بالمحاليل اللطيفة علاجا للحكة ، وإذا كانت الحكة شديدة مسببة اضطراب النوم فيجب اعطاء المصاب العقاقير المضادة لها .

الحمى القرمزية

بعد فترة حضانة تتراوح ما بين ١ - ٥ أيام تظهر أعراض المرض ببيئة ألم عند البلع نتيجة لالتهاب اللوزتين ، كما ترتفع حرارة الجسم . وفي اليوم التالى



شارل شابلن

(برنارد شو)

والكل في حق الحياة سواء .

(أحمد شوقي)

* أنصفت أهل الفقر من أهل الغنى
* الرجل الذي لا يعرف نواحي القوة هدف سهل للمرأة التي تعرف نواحي الضعف فيه .

(شارلي شابلن)

* لا ينبغي أن تقول كل ما تعرف ، ولكن ينبغي أن تعرف كل ما تقول .

(كلود بوس)



أصوات محيرة

يحدثها جسم الإنسان

اعداد : د عامر خالد *

من منا لا يضايقه سماع الأصوات العالية التي تصدر من جسمه في نفس الغرفة ، أو يزعجه عطاس ملازم له ولا يمكن رده بالسيطرة الذاتية أو العلاج . إن السعال وزقزقة البطن وطققة عظام الجسم ، كلها أصوات تصدر عن جسم الإنسان فما سببها . . ؟ وهل لها علاج . . ؟

موضوعنا إلى كيفية حدوث الكلام الشري - لأنها باقت معروفة للجميع - ولا لتأثير العوامل المرضية على هذه الأصوات .

السعال :

عند دخول أشياء مميعة إلى المجترجة ، كدقائق القبار ، أو سحابة من اللعاب ، أو قطعة من الغذاء ، فإنها تدخل خطأ للمجرى التنفسي ، فيحدث صوت وحركة معينان يسمى بهما الجسم

كل أحسام بني الإنسان تصدر أصواتا مختلفة ، ومتنوعة المصدر والنتمة من حيث تنظيمها إراديا أو لا إراديا ، فمنها ما يكون مصدره الحبال الصوتية للتعبير وتوضيح ما يحول في الذهن من أفكار ، ومنها ما يكون هضم الغذاء سببه ، ومنها ما يدل على أن شيئا ما احترق حجابات الجسم الدفاعية عبر الأنف أو المجترجة ، ورغم عدم سيطرة الجسم على مختلف هذه الأصوات ، إلا أنه أحيانا تكون له معرفة بقرب حدوثها ، ولن نتطرق في

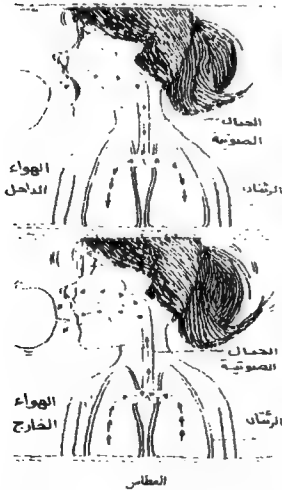


* مدرس بكلية طب الأسنان - جامعة بغداد

في الأصوات التي يصدرونها ، فمنهم من يعطس مدويا ، وآخر بنعومة واضحة . ويختلفون أيضا في عددها ، فمنهم من يعطس عطسة مفردة ، وآخرون مزدوجة ، وغيرهم بشكل توبة من العطاس ، كل ذلك حسب ما تعود عليه بنو الإنسان .

الشخير :

يعد الشخير من الأصوات المألوفة في مضاجعنا ، ولا أحسبنا نجونا منه ، فجميعنا يشخر حتى الرضيع منا ، في أحيان معينة ، وهو يحدث أثناء النوم ، عندما يعمد النائم الى التنفس عبر الفم ، ونتيجة اهتزاز الحبال الصوتية ، أثناء مرور الهواء وخروجه خلال عملية التنفس ، يساعدنا في ذلك سقف الفم الرخو والمرتن وأحيانا الشفاه والحدود ، حيث تكون عضلات هذه الأجزاء جميعاً مرتخية ومنبسطة في حالة



للتخلص منها وطردها وهما ما يعرفان لنا بالسعال وهو عملية مميلة للجسم ، يقوم بها لتنقية وتنضيف القصبات الهوائية والمجاري التنفسية تماما كالتي نجربها عندما نتفخ في انبوب مطاطي لتنظيف داخله ، كذلك يزيل من داخل القصبات ما علق بها من لعاب سميك او فتات غذاء ، إلا أنه في حالات الإصابة الحمجية *Infection* ، لا يزيلها ، ولهذا تستمر حينذاك سويات السعال ، وقد تتأذى منها عضلات المعدة والصدر . ويصبح اللجوء الى استعمال العقاقير الطبية لعلاج المنسب وازالته أمراً ضروريا وطبيعيا .

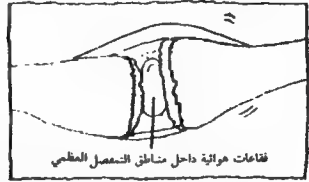
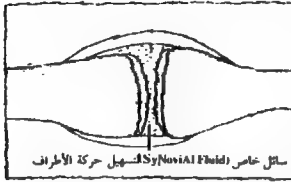
وعموما فإن السعال يحدث بصورة واحدة فيعدنا تستنشق الهواء ليصل رتيك وتغلق المجاري التنفسية ، وتقلص عضلات الصدر والبطن استعدادا لدفعه بقوة ، فإن الهواء يندفع من الرئة وبقوة هائلة محدثة انفجارا ، هو السعال ، نتيجة ضروره السريع والقوي عبر الحبال الصوتية في الحنجرة . وتعتمد قوة صوت السعال على كمية ما اندفع من هواء ، وعلى حالة الحبال الصوتية مريضة كانت أو متعافية .

العطاس :

ان العطاس يشبه السعال في أوجه كثيرة . إلا أنه أكثر منه علوا . ويكمن مصدره في الأنف ، نتيجة لتخرشه بمادة معينة ، كدخول دقائق من الغبار اليه ، او استنشاق روائح معينة ، أو زيادة الافراز المخاطي بفعل عامل مريض

وتتم عملية العطاس بسحب كمية من الهواء عبر الحبال الصوتية وهو ما نسمعه من صوت بشكل (آه) ، بينما تأتي تكلمة العطس (تشو) عند خروج الهواء متدفقا عبر الانف والفم . وقد قلص العلماء سرعة اندفاع الهواء في العطسة الواحدة فكانت مئة ميل في الساعة .

ويختلف الناس في طرق عطسهم ، فمنهم من يعطس عبر الأنف ، وآخرون عبر أفواههم ويختلفون



للعظام أصوات أيضا

غيرها تتم العمليات التنفسية ، لسبب لم يستطع العلماء كشفه . فعدت تقلص الحجاب يتدفع الهواء نحو الرئتين عبر المجاري التنفسية ، إلا أنه عند تشنج الحجاب الحاجز ولو لثانية لا تزيد عن أجزاء من الثانية ، فإن عملية أخرى تحدث ، إذ يصطدم الهواء الخارج من الرئة بلسان الزمار - وهو امتداد عضلي يحكم مجرى القصبة الهوائية - مانعا الهواء من المرور للخارج ومحدثا صوت « هيك » المعروف للزغطة يعود بعدها الحجاب لوضعه الطبيعي ، إلا أنه سرعان ما يعاود التشنج ، تتكرر العملية حتى زوالها مسببة الأزعاج لصاحبها .

ولم يصرف للأن سبب تشنج الحجاب الحاجز هذا ، إلا أنه يعتقد أنه ناتج عن تناول سريع للفضاء ، أو نتيجة للضحك بصوت عال ، أو لإصابة الحجاب بتنبه .

أصوات العظام :

وللعظام أصوات أيضا ، مصدرها المفاصل عادة ، وبالأخص مفاصل الساعد والقدم والساق والأصابع ، وهي تحدث عادة بإحدى طريقتين ، الأولى : ويتم بفعل الأنسجة الرابطة للعظام ، وتتموضع عند مناطق التماسل العظمي ، وتحدث الأصوات نتيجة سحب هذه الأنسجة ، وارتطامها بالقرب منها من تراكيب . فمسح أصبع مثلا يعني انزلاق أليافه الرابطة ، أو عظامه واصطدامها بعظام اليد ، محدثة صوتا خاصا يشبه (الطقطقة) .

النوم ، مما يسهل تحريكها بمرور الهواء عبرها . ويختلف الناس في شخيرهم ، فمنهم من يشخر دوما ، ومنهم من يشخر عندما يصاب بانفلاق في الأنف ، فيجبر على التنفس عبر الفم ، ويختلفون أيضا فيما يصدره من نغمات صوتية ، إلا أن الأصوات الصادرة جميعا تعتمد على مقدار الهواء المتحرك وعلى وضع النائم في فراشه ، فاعلى الأصوات هي تلك التي تنتج عند النوم على الظهر نتيجة ازدياد عدد الأجزاء المرتجة والمتحركة .

التثاؤب :

يحدث التثاؤب عادة عندما نكون متعبين أو ضجرين أو عندما يلم بنا الجوع أو بفعل انعكاسي نتيجة لتثاؤب من مجاورنا . ولم يتوصل العلماء إلى المبررة الكاملة والمفصلة لأسرار هذه العملية ، وإلى فعل « العدوى » الكامن فيها حتى الآن ، ويعتقد أنها تحدث نتيجة حاجة الجسم إلى كميات أكبر من غاز الأكسجين ، فالتثاؤب الأعلى يجلب للجسم كمية أكبر من الأوكسجين ، وتسهم في أداء هذه العملية عضلات الوجه والخنجرية والحدود ، وأحيانا عضلات الجفون فيتنب من ذلك ذرف دموع قليلة نتيجة الضغط على الغدد الدمعية القريبة .

الزغطة :

تحدث الزغطة لجميع بني الإنسان ، نتيجة اختلال في توافق حركة الحجاب الحاجز المستمرة ، التي

ويكون إما عالياً أو خافتاً حسباً تعود عليه الفرد ، وقد يزيد من ظهور هذه الأصوات تناول أغذية معينة ، تمين على حدوثها كسوائل الصودا وغيرها .

وتعد عملية التجشؤ هذه مهمة للفرد ، للتخلص من الهواء المعيق لعملية الهضم ، وخاصة للأطفال الرضع الذين يصبح لزماً على أمهاتهم وضمهم عمودياً لفترة من الزمن بعد الرضاعة ودون إتمامهم ، كي يسهل حدوث هذه العملية ، وإلا أدت إزائته أحياناً إلى انغلاق المر المؤدي من المعدة إلى المريء بسوائل المعدة عند منطقة اتصال الأخيرين ، وهذا يؤدي إلى تراكم الهواء في المعدة ، مسبباً الآلام وعدم الراحة للرضيع .

ويختلف الناس في اعتباراتهم لهذه العملية ، فمنهم من يعتبرها إثماً يجب الاعتذار عنه ، ومنهم من يعتبرها مديحاً لما تم تناوله من غذاء .

تعد المعدة من أقوى التراكيب المفصلية في الجسم الإنساني ، ليفضل قوتها المفصلية تلك ، تستطيع هضم وسحق أصلب غذاء تتناوله ، ودفعه باتجاه الأمعاء وهي مستمرة في عملها هذا وحركتها تلك ، سواء كانت تحتوي على الغذاء أو بدون ، وفي الحالة الأخيرة ، ولوجود كميات من السوائل الماخضة والمصارات ، وكمية أكبر من الهواء فإنها تدور داخل المعدة ، أثناء حركتها الماخضة ، مصدرة أصواتاً تعرف للمعدة « بالقرقرة » وأحياناً « زقزقة البطن » ، وأحياناً قد يكون مصدرها الأمعاء ، وليس المعدة ، وبغض الأسلوب ، بقي أن تعرف أن هذه الأصوات لا تصدر في حالة الجوع فقط بل في كل الأوقات .

..والرياح 'FIATUS' نوع آخر من أصوات الجهاز الهضمي ، وهو ناتج من ابتلاع كميات من الهواء ومرورها عبر قناة الهضم ، وإزديادها كما ونوعاً بفعل امتزاجها مع ما يتبع من غازات أثناء عمليات التمثيل الغذائي ، ويصدر الصوت نتيجة سرعة مرورها عبر فتحة المخرج القوية التكوين . □

والطريقة الثانية : وتحدث عند لي الأصابع أو الأطراف بقوة وبزوايا كبيرة ، وتكون أصواتاً ملحوظة تعرف (بالطرقمة) ، وهي تحدث نتيجة (انفجار) فقاعات هوائية داخل مناطق التمثيل العظمي .

فمن المعروف أن جميع المفاصل المتحركة في الجسم تحتوي على سائل خاص (synovial fluid) لتسهيل عملية انزلاق ، وحركة الأطراف المتفصلة بشكل سهل وناعم ، وتتواجد في هذا السائل عادة فقاعات هوائية دقيقة جداً ، ونتيجة لحركة المفصل الدائبة فإنها تبقى دقيقة وثابتة في مكانها ، إلا أنه عند ابتعاد عظمتين عن بعضهما بالسحب تخرج الفقاعات إلى ما تُرك وكبر من فراغ بينها ، وتتحد مع بعضها مكونة فقاعة واحدة ، تكبر تدريجياً إلى أن تنفجر محدثة صوت « الطرقمة » كما يعرفه الناس ، ويحتاج الهواء المتضجر إلى مدة من الزمن كي يذوب ثانية في السائل المفصلي ليعود فقاعات دقيقة ، قدرها العلماء بحوالي عشرين دقيقة ، لذلك يكون حدوث الصوت مرة واحدة في الأغلب طول تلك المدة .

أصوات قناة الهضم :

ولقناة الهضم - بأجزائها المختلفة والمتصلة - أصوات خاصة بها تبدأ بصوت عملية « التجشؤ » ، ERUCTATION ، التي مصدرها المعدة والأمعاء ، والتي تبدأ بتشكيل فقاعات هوائية دقيقة داخل المعدة ، نتيجة اندفاع الهواء مع هضم الغذاء ، فنحن عندما نأكل ندفع مع ما نتناول من غذاء أو شراب عبر الفم كميات من الهواء ، وقد تزيد أحياناً عن مقدار ما نتناوله من غذاء ، ويشكل هواء حر أو هواء يدخل في تركيب المواد المتناولة ، وعند وصول هذه الفقاعات إلى المعدة ، فإنها تتركز في الطبقات العليا من المعدة ، وبإزديادها يزداد الضغط الجوي للهواء داخل المعدة عن خارجها ، مما يؤدي إلى اندفاعه من المعدة إلى خارج الجسم ، وعبر المريء والفم محدثاً صوتاً عند مروره بنهاية المريء .

هو.. هي

هل يموت الحب؟

نزلا عند إصراري وتم الزواج ، وانتهت مشاكلنا مع عاتلي لتبدأ مع الحياة التي انطلقتنا فيها من الصفر ، ولم يكن سهلاً أن يبدأ اثنان معركة الحياة من الصفر . وانتصرنا في معركة الحياة ونجحنا ، زوجي وأنا ، في تحدي الحياة ، لكنني انتهت فجأة لأجد نفسي وحيدة بعيدة عن زوجي الذي كان يتابع معركته مع الحياة ، ومع كل نجاح له كنت أشعر أن حبه لي لم يعد كما كان ، فأبتعد منزوية في ركن داني ، أراقب نجاحه بإعجاب لكن دون حماس ، بتقدير ولكن دون شغف .

ففي غمرة الحياة كان حبنا الذي مضى يتحول إلى عدم ، سهرات الأصدقاء واجبات اجتماعية جافة ، نزهتنا تفقد البريق القديم ، وهدايا زوجي التي يحضرها لي بين حين وآخر خالية من تلك اللمسة الحميمة القديمة .

إن حبنا القديم لم يتحول إلى كراهية ، وكثيراً ما تمنيت لو أنه أصبح كذلك ، إذن لعلت شيئاً ، لوجدت مشكلة أحلها ، ولقابلت الكراهية بكراهية أكبر ، أو بحب أكبر ربما ، ولانتصرت عليها . الكراهية ليست نقيض الحب ، بل هي عاطفة مثله ، وربما كانت إحدى صوره ، لقد تحول حبنا إلى عدم ، عدم أراقبه وهو يتشكل أمام عيني ، وأرى حبنا وهو يموت . فهل يموت الحب ؟

● لم أشغل نفسي يوماً بالتفكير بالتنايات الكثيرة التي عملاً حياتنا ، كنت أعتقد أن الحب والكراهية من هذه التنايات الكثيرة المختلفة . شأنها شأن الليل والنهار ، والنور والظلام ، والعقل والجنون ، والنجاح والفشل ، لم أفكر كثيراً في تلك التنايات حتى اكتشفت بعد تأمل مملب أنه قد يكون هناك ظلام في النهار ، وأن الليل حين يشم فإنه يحمل في رحمه شيئاً من النهار ، وأن النجاح رهن بالفشل ، وأن نقيض العقل قد لا يكون الجنون بل العاطفة ، أما الحب فليس عكس الكراهية بل العدم ، الموت ، موت الحب ، انتهائه ووصوله مرحلة لا يكون فيها سوى ذكرى على الرغم من أن الرجل الذي كان هو العاشق مازال يعيش وفي نفس المنزل مع المرأة التي أحبها ، معي أنا ، وتلك هي فضيحي التي لا أجرو على البوح بها إلا لنفسي .

لقد مضى على زواجي أكثر من خمسة عشر عاماً ، تزوجت عن حب لم أتصور يوماً أنه سيتهي ، وخلال سنوات الزواج الخمس عشرة هذه تغلبت زوجي وأنا - على كثير من الصعاب والمقبات التي اعترضتنا ، واستطعنا أن نمطى لحياتنا معنى من خلال نجاح زوجي في عمله ، ومن خلال دوري في دفعه إلى هذا النجاح ، وتضحياتي بالكثير من أجله ، وهي تضحية بدأت مع بداية قصتنا معاً ثم زواجنا . فقد كان والدائي راضين للزواج في البداية ، إلا أنها

هي..



ليس بالحب وحده

الحب في حياتنا ، فالحب في ظني مرحلة من مراحل الحياة ليس أكثر ، إنه يعطي الإنسان قوة في معاركه الكثيرة التي يخوضها في الحياة ، التي تحتاج إلى العمل أكثر مما تحتاج إلى الحب ، الحب يعطي الحياة معنى ، لكن الحياة ليست حبا فقط ، بل هي قبل كل شيء اخر معركة يجب أن نخوضها ونكسبها ، وهي تحد يجب أن نقبله ونتجعب فيه ، وما الحب سوى دافع وحافز من حوافز عديدة من أجل النجاح في معركة الحياة الصعبة .

هذه بعض من خلاصات عديدة توصلت إليها بيني وبين نفسي . بعد أن اكتشفت مقدار الأسى الذي يحويه سؤال زوجتي ، فقد كانت هي وليس غيرها وراء نجاحي ، ووراء وصولي إلى ما أنا - نحن - عليه . وقبل ذلك كانت هي وليس غيرها من ضحى بالكثير من أجل إنجاح زواجنا . وبين وبين نفسي فقط أدرك كم هي الحياة جافة دون حب ، وأدرك كم أن زوجتي حزينة لما وصلنا إليه من نجاح . يفقد حرارة العاطفة وجفاف الروح ، الحياة هي التيقن الحقيقي للحب . الحياة بمشاغلها ومشاكلها وسرعة إيقاعها . إنها حقيقة قاسية حزينة مرعبة دون شك ، لكن ليس بالحب وحده يجيا الإنسان

سألني زوجتي مرة عن نقيض الحب ، فقلت لها إنه الحياة ، وعندما انتهت إلى وجه زوجتي وهي تستمع إلى الإجابة شبه ذاهلة أضفت سوسجعا : إنني أعني الحياة بمشاغلها ومشاكلها وشؤونها ومتطلباتها التي لا تنتهي . ولم أفكر بعد ذلك كثيرا بسؤالها المفاجيء ذاك ، لكنني بدأت أتبه إلى شيء ما ، غريب في سلوك زوجتي ، فهي لم تعد تقبل حل سهراتنا العائلية مع أصدقائنا القدماء مهم والجلد ، ولم تعد تحمس للخروج إلى أماكن الترفيه العامة ، أو للقاء بعض صديقاتها القديمت ، ولم تعد تستقبل الهدايا التي أقدمها لها في المناسبات المزيمة عليها كعيد زواجنا وعيد ميلادها بنفس الحرارة التي كانت تستقبلها بها في السابق .

لكن سؤال زوجتي عن الحب ونقيضه عاد إلى ذهني بقوة ، عندما استمرت حالة السهوم والتفوق والبرود العاطفي الذي لاحظته عليها فها معنى أن تسأل زوجة زوجها مثل هذا السؤال بعد خمس عشرة سنة من الزواج ، وبعد قصة حب طويلة لم تخل من توترات بيني وبين أهلها ، كانت هي خلالها وعلى الدوام في جانبي حتى لو أغضب ذلك أهلها ؟ وما معنى أن تسأل زوجة زوجها مثل هذا السؤال بعد الصمود والنجاح في اختبار الحياة القاسم الذي لا يرحم المحبين ، ولا يقدم للمكافحين معاملة خاصة ؟

إن مشكلة زوجتي هي أننا لم نستطع تجاوز مرحلة

.. هو



طبيب الأسرة

في البيت كاميل مريضة بالسكر


قصصاً
منزلية

بقلم : الدكتور حسن فريد أبو غزالة

معاملة وأكثرها شقاء وأتمسها مصيراً وأوجها نتيجة ، وربما كانت نسبة مرض السكر بين النساء عموماً في عصرنا هذا لا تتعدى خمسة بين كل ألف منهن . لكنها ترتفع إلى حدود ١٢٠ بين كل ألف في أحوال الحمل .

قديمًا كانت الغيبوبة تلاحق ثلث النساء الحوامل المرضيات . وكانت الوفاة بانتظار ٤٠٪ - ٥٠٪ من الأمهات والمواليد ، غير أن الصورة في عصر الأنسولين تبدلت وتغيرت . ويمكن للطبيب أن يقلع أظفار وحش السكر . وأن يكبح جماح سطوته .

لكن الحمل عامل مثير لمرض السكر . فقد قيل إن المشيمة تطلق هرمونا أقرب ما يكون شيها بهرمون النمو الذي تطلقه الغدة النخامية ، ومن شأن هذا الهرمون المشيمي أن يعارض مفعول هرمون الأنسولين ، لهذا قد يظهر لدى الحوامل السكر في البول على الرغم من سلامتهن الظاهرية قبل الحمل ، وما هذا إلا لضعف كامن في البنكرياس عندهن ، حير معه عن مواجهة هذا التحدي الجديد ، ولهذا يعتبر الحمل عند النساء عاملاً مثيراً للسكر وعينا على البنكرياس يكشف ضعفه الموروث الكامن إذا ما كان لدى المرأة الاستعداد وكانت تحمل بذرة المرض .

 مرض السكر أمره قديم شائع ، لهذا نجد له في تاريخ الطب عند كل الشعوب ذكراً وإشارة ، فالأغريق مثلاً سموه الديابيطس ، وتعني بلفتهم النافورة ، ويبدو أن ابن سينا لم يجد لها بديلاً عربياً فقال : « الديابيطس » (أبدل الباء بالتون) أما الهنود فسموا مرض السكر قديماً « بول المل » لما فيه من حلاوة الطعم وتكالب الذباب عليه .

غير أن مرض السكر لم يلزم حدوده المتقنة ، بل استشرى وانتشر . وقد ساعده على هذا اكتشاف علاج الأنسولين الذي أعطى الفرصة لمرض السكر أن يعيش طويلاً حياة طبيعية متجة ، وأن يتجنب خلالها من بعده أجيالاً تحمل بذور وراثته المرض في خلايا أجسامها ، وبهذا أصبح مرضى السكر يعيشون طويلاً ويتكاثرون .

كان هذا عقب عام ١٩٢١ بعد أن توصل العالمان الكنديان بانتج وبتت إلى استخلاص الأنسولين من بنكرياس الحيوانات وحقنه في أجسام المصابين . وقبل ذلك التاريخ كان مرض السكر وبالا على صاحبه ، لا يحمله سوى سنوات معدودات يعيشها المصاب في معاناة وشقاء وهو يلوى وينحل يوماً بعد يوم . وربما كانت المرأة الحامل أكثر الفئات المصابة

الانسولين التي تؤخذ تحت الجلد أنواع شتى ، يختار منها الطبيب المعالج مايناسب المريضة حسب حالتها ، لكن أبرزها نوعان أحدهما الانسولين السريع المفعول العاجل الأثر ، وثانيها البطيء المفعول الأجل الأثر .

ولعل السائد المفضل هو مزج النوعين في حقنة واحدة بنسب يقررها الطبيب المعالج لتحقق بها مرتين يوميا ، الأولى قبل الإفطار ، والثانية قبل العشاء بنصف ساعة على الأقل أو ساعة على الأكثر غير أن اتجاهها جديدا في الطب يميل إلى حقن المريضة بأربع جرعات :

الأولى : حقنة من أنسولين سريع المفعول قبل الإفطار .

الثانية : حقنة من أنسولين سريع المفعول قبل الغداء .

الثالثة : حقنة من أنسولين سريع المفعول قبل العشاء .

الرابعة : حقنة من أنسولين بطيء المفعول قبل النوم .

وقد قيل في تبرير هذا أنه يكتفل هرمون الأنسولين مستوى في الدم يقارب مستواه الطبيعي عند الناس الاسوياء .

فهذا الأسلوب قد تنفذى المضاعفات الخطيرة التي ترتبص بالنساء الحوامل المريضات بالسكر المهملات للعناية بأمور العلاج والوقاية . وهذه المضاعفات غالبا ما تتركز في إحدى الصور التالية .

أولا : حدوث تشوهات خلقية للجنين ، وتلك احتمالات قائمة لأسباب شتى في كل الأحوال ، غير أنها في حال مرض السكر قد تصل إلى ثلاثة أضعاف المعدلات المعتادة .

ثانيا : ولادة طفل كبير الحجم زائد الوزن ، وسبب هذه الظاهرة كما يعللها الأطباء هو تسرب سكر الجلوكوز (أو سكر العنب) من دم الأم الحامل إلى دم جنينها ، مما يثير بنكرياس الجنين وينبه إفرازه



أثر مرض السكر على الحمل .

والحامل والجنين

العناية بالمرأة الحامل المصابة بمرض السكر يجب أن يحتل مرتبة العناية القصوى قبل أن تحمل ، إذا كان لها تاريخ مرضى سابق ، أو تكون العناية فور ظهور علامات السكر أثناء فترة الحمل المتميزة بالعطش الشديد وكثرة مرات التبول ، ووجود السكر في البول عند التحليل .

وهنا لا مكان لمعالج الحامل إلا بحقن الأنسولين فقط ، ولا موضع للأقراص إطلاقا . وحقن

مراجعة الطبيب

مراجعة الطبيب بالنسبة لمريضة السكر أمر واجب كل أسبوعين عقب المراجعة الأولية الشاملة ، إلى أن يخفى على الحمل ٢٨ أسبوعاً ، وبعد ذلك تكون المراجعة أسبوعياً حتى يوم الولادة

ولادة الحامل .

الحمل الطبيعي للمرأة السوية يكتمل في الأسبوع الأربعين ، غير أن المريضة بالسكر قد تحتاج إلى ولادة مبكرة . وعلى أي حال فالأصلح إدخال الحامل المريضة في أسبوع الحمل الخامس والثلاثين لئتم توليدها في الأسبوع الثامن والثلاثين إذا ماوجب ذلك في تقدير الطبيب المعالج ، غير أن هذا أمر يمكن تفاديه . كما يمكن تفادي العملية القيصرية أيضاً إذا ما تمت السيطرة على الحالة انخرسية والتمرت المرأة بالعلاج بصورة سليمة دقيقة

الاب المريض بالسكر :

الاب المريض بالسكر قد يورث الاستعداد للإصابة بالمرض لبعض أبنائه ، لكن دوره في فترة الحمل معدوم لا موقع له إطلاقاً ، فالأثر كله في هذه الفترة الحرجة للأم المريضة بالسكر . أما عن الأم المريضة وتوريثها المرض لأبنائها فهناك احتمال قائم نسبة واحد بين كل مائة ، بينما لا تتعدى نسبة هذا الاحتمال عند انشاء اسسويات الطبيعات واحد بين كل ألف ولادة فقط . □

لهمون الأنسولين ، فيزداد الجنين حجماً ووزناً . ولو اعتبرنا أن معدل وزن المولود الطبيعي ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام لوجدنا أن وزن مولود مريضة السكر يتجاوز أربعة كيلوغرامات ، وهذا أمر قد يتطلب ولادة مبكرة قبل أوانها ، وربما إجراء عملية توليد قيصرية لتيسر الولادة الطبيعية

ثالثاً : حدوث التهابات : تؤكد الاحصاءات أن الحوامل المريضات بالسكر هن أكثر عرضة من الحوامل الطبيعات للإصابة بالالتهابات عامة وخصوصاً التهابات الكلى لديهن على الأخص ، وربما التهابات الفرج والمهبل ، وهذا أمر يفرض على هؤلاء الحوامل أن يبدأن أقصى جهودهن في الحرص على النظافة والمراجعة الطبية والالتزام بقواعد الصحة والعلاج .


رابعاً : ارتفاع ضغط الدم في الأحوال أسوأ ما لوف ، وهو معاناة الحوامل من ارتفاع ضغط دهن ، غير أن مريضات السكر أكثر عرضة لهذه المعاناة ، وهذا أمر يتطلب مواءمة الاستشارة الطبية وقياس ضغط الدم على وجه الخصوص .

خامساً : الإصابة بتسمم الحمل : تسم الحمل وتلك ظاهرة تصيب الحوامل ، وتتميز بحدوث قيء واستسقاء وارتفاع ضغط الدم ، وتلك معاناة فيها خطر شديد عليهن ، مما يوجب رعايتهن في المستشفى والحوامل المريضات بالسكر أكثر تعرضاً للإصابة بهذه الظاهرة المرضية .

احتفل الامام أبو حنيفة بولده يوم حفظ سورة الفاتحة ، وأعطى معلمه ألف درهم . فاستكثر المعلم هذا المبلغ من المال ، لأنه لم يعلم الطفل من القرآن سوى سورة الفاتحة . فقال له أبو حنيفة لا تنحقر ما علمت ولدي . ولو كان معنا أكثر من ذلك لدفعنا اليك تعظيماً للقرآن

ألف درهم
لمدرس الطفل

الاستثناء والقاعدة

 قبل أن نحل لحظة الرحيل بأبهم يشعر بظلمها الكتيب يمتد إلى كل شيء . تمتد يد ذات أصابع نحاسية باردة ، فتقبض على صدره ، يتراسخ كل شيء من حوله ، وعوده لايت الصغرى بأن يذهب معها وحدها إلى مدينة الملاهي لتتفرّد به بعض الوقت ، رغبته في أن يكمل مع ابته الذي حل وشك التفرج حديثا مابده منذ أسبوع ولم يكمله ! حاسه لأن يوضح لايت الكبرى بأن ما يريد بالتجديد هو أن تبسط على حاسها وتلقايتها لا أن تفقدما !!

وتتبدد الظلال الكتيبة إلى من حوله ، فيكون فجأة عن تذكيره بوجوهه . يتعاملون مع لحظة سفره حين تقترب بصورة طبيعية ، وكأنها لا تختلج في شيء من لحظات غروجهم للعمل كل يوم ، مع أن عمله في نظر آخر ، مع أن يوم عمله يمتد أحيانا عاما أو بعض عام ! يشعر بأن كل ما يفعلونه من أجل أن تحضي هذه اللحظة كشيء طبيعي أو غير طبيعي ، وأهم هذا يكشفون عن قلقهم أكثر مما يخفونه !

وفجأة يتذكر لحظة لقاءه بهم التي لم يمش عليها سوى أسابيع ، إجازته كانت تحمل بأشياء غير طبيعية أيضا على الرغم من الفرح الطفولي الذي يفرق فيه الجميع ، حل الرغم من حلق الأيدي والوجوه ، يدرك في قلب هذه اللحظة أن الفرح كالفرز ، كلاهما يستر أجزاء من الحقيقة ، وأنه في حاجة إلى بعض الوقت ، ليتقي حقا بلولاه ، ليعرف أحزانهم المستورة ، وخاوفهم الكامنة ، ويسمع نبض تسلاولاهم الحائرة !! ولايكاد يبدأ التواصل حتى تلأظ ساحة الرحيل . منذ أكثر من اثني عشر عاما وهو يعيش هذه اللحظات ، يعيش تكرر هذه اللحظات . في البداية كان يتعامل معها كالحظات استثنائية ، بفالها بقوة استثنائية ، ويكلمت حكيمة عن ضرورة التعايش بين ما هو طبيعي وما هو ضروري ، بين حاجة أبنائه إلى وجوده بينهم ، وبين حاجتهم إلى عمله بعيدا عنهم أيضا ، وماهو الآن يرى الاستثناء يصبح قاعدة ، والضروري يطنى على الطبيعي ، والكلمات الحكيمة تنضح مكانها لصمت أكثر حكمة !

الآن يشعر بأن للزمان صلابة تفوق صلابة المكان ، وإذا كان الإنسان قدنجح في اغتراق جاذبية المكان فإنه ما يزال عاجزا عن تغيير عاداته التي يصنعها الزمان ، وانت لا تروى القصة كاملة لمن لا يمكنه أن يكون بجوارك في ساحة الجد ، ولم يعد يصير في وضوح ما الذي يختفي وراء الصمت الأكثر حكمة ، هل هو الاتفاق الكامل أم التواطؤ الكامل ؟ هل هو الخوف على مشاعره أم الخوف منها ، من أن يصف الممثل من أداء دوره ، ليتوقف العرض قبل وقته الذي لايجرؤ أحد على تعديده !! لايجرؤ أو لايريد ؟ حق هو نفسه لا يمكنه إجابة لهذا السؤال ، فبعض ما يتخفه بشأن مايجري في داخل أولاده ويستره صمتهم الأكثر حكمة ، شعوره ببعض مايجري في داخله ، ويحب منه بالصمت نفسه !! قبل أن يحل الصمت ، كان يمدتهم هم كتبه والفرن توفلر ، من صدمة المستقبل ، مما يمكن أن يحل بمعنى الأسرة والصداقة والحب ، فهل هذا الصمت جزء من هذه الصدمة بعد أن أصبح المستقبل حاضرا والاستثناء قاعدة ؟ ! □

أبو المعاطي أبو النجا

جَمَالُ الْعَرَبِيَّةِ

□ صفحة لغوية

بقلم : الدكتور حسن عباس

دَعَسَ ، وَدَهَسَ

وقيل الدهس : الأرض السهلة يسهل فيها المشي .
وقيل : هي التي لا يغلب عليها لون الأرض ولا لون
النبات . وأدهس القوم : ساروا في الدهس ، أوعثوا
ساروا في الوعث ، والدهساء من الضأن التي على
لون الدهس ، والدهساء من المزمز كالصداء (أي
السواء المشربة حررة) ، إلا أنها أقل منها حررة ،
والدهس والدهلس مثل اللَّبث واللَّبث : المكان
السهل اللين لا يبلغ أن يكون رملا ، وليس هو
بتراب ولا طين . وفي الحديث : « أقل من الحديبية
فتنزل دهاسا من الأرض . ومته حديث دريد بن
الصمة » لا حَزَنَ ضَرَسَ ولا سَهْلَ دَهِسَ . ورجل
دهلس الخلق أي سهل الخلق دمه

هذه هي دلالات كلمة « دهس » ، وهي إما أنها
تشير إلى لون معين ، وإما إلى صفة في الأرض ، وهي
اللين والسهولة ، فأين هذه المعاني من دلالة الحادث
الذي يلعب ضحيته إنسان نتيجة ارتطام جسده
بسيارة ؟

إن هناك أفعالا أخرى تبين دلالة الحادث ،
وتصفه وصفا صحيحا مقاربا . ومن هذه الأفعال :
داس . جاء في اللسان في معنى هذا الفصل : داس
الناس الحب وأداسوه : درسوه ، من أها حنيفة .
وفي حديث أم زرع : « وقائس ومَتَي » : الدالاس

كنا قد أشرنا في العدد الماضي إلى بعض من  جنابة الصحافة على اللغة ، وهي جنابة لا
نظن أنها تقصد قصدا ، بل تأتي عرضا ، يكون
السبب فيها تمجيد العاملين في الصحافة ، وجهل
بعضهم بقواعد اللغة وأساليبها ، وبالفصح من
كلام العرب . ينظر لأحدهم استعمال كلمة للدلالة
على حدث ، فيأخذ الكلمة دون أن يتحقق من صدق
مدلولها أو مطابقتها للحالة التي يريد وصفها ، فإذا لم
تكن مطابقة عثرنا على فعل مثل « دهس » للدلالة
على حادث لا يمكن له أن يوصف بالدهس ، وإلا
اختلف المعنى اختلافا يثا . دعنا نبحت فيها تعني
كلمة « دهس » في مصادر اللغة ، ثم نبحت في معاني
الأفعال الصحيحة البديلة التي يمكن لها أن تعبر عن
هذا الحادث تمييزا صحيحا .

جاء في اللسان : دهس : الليث : الدهسة لون
كلون الرمال والوان المعزى .

ابن سيده : الدهسة لون يعلوه أذن سواد يكون
في الرمال والمزمز . ورمل أدَهِسَ بين الدهس ،
والدهلس من الرمل : ما كان كللك ، لا يبت
شجرا ، وتقيب فيه القوائم . وقيل : هو كل لين
سهل لا يبلغ أن يكون رملا ، وليس بتراب ولا
طين ، وقال الأصمعي : الدهلس كل لين جدا .

فيها ، كأنَّ جاجم الموت يُبرِّعُ حُمَّ في الضريح
تموز عاد بكل سنبلة نَعَمَت كل ربح .

« بابا بابا »

أنا في قرار يُوَبِّ أورد ، في فراش من رمالة ،
من طيه المطور ، والدم من عروقي في زلاله
يشال كي سب الحية لكل أعراف التخليل .
أنا بَعْل : أعطر في الجليل . . .

على المله ، أنت في الورقات روعي والثمار
والله يمس بالخير ، يصل حولي بالبحار
وأنا يُوَبِّ أنوب في فرحي وأرد في قراري .

« بابا بابا »

يا سَلَم الأنعام ، آية رغبة هي في قرارك ؟
« سيزيف » يرفعها فتسقط للحضض مع انبارك .
يا سَلَم الدم والزمان : من المله الى السياه
غيلان يصعد فيه نحري ، من تراب أبي وجدي
ويدها تلتسان ، ثم ، يدي وتحتضان خدي
فأرى ابتدائي في انتهائي .

« بابا بابا »

جيكور من شفتيك تولد ، من دمائك ، في دماي
فتحيل أعمدة المدينة
أشجار توت في الربيع . ومن شوارعها الحزينة
تفجر الأنهار ، أسمع من شوارعها الحزينة
ورق البراعم وهو يكبر أو يمض ندى الصباح
والنسخ في الشجرات يمس . والسابل في الرياح
تعد الرعي يطعمهم .
كان أورد السياه
تتصن الدم في عروقي والكواكب في دماي .
يا ظي المتمد حين أموت ، يا ميلاد عصري من
جديد :

الأرض : يا قفصا من الدم والأظافر والجليد
حيث المسيح يظل ليس يموت أو يميا . . كظل ،
كيد بلا عصب ، كهكيل ميت ، كضحي الجليد ،
النور ، الظلمة فيه متاهتان بلا حدود
عشار فيها دون بعل

في وجه قرار إداری يقضي بإضافة سنة رابعة إلى عدد
سنوات الدراسة فيها ، ولم يقتصر نشاطه العام على
ذلك ، بل كان يسهم مع أقرانه من الشباب الناصر في
المظاهرات التي كانت تعم بغداد استكرا للصهيونية
وأعمالها في فلسطين قبل قيام « إسرائيل » وللسياسة
الاستعمارية الانجليزية في العراق . وكان من جراء
ذلك أن دخل السجن في بلدة بعقوبة القريبة من
بغداد .

ثم أعيذ إلى دار المعلمين في خريف عام ١٩٤٦ ،
وقد تخرج فيها ليحصل مدرسا للغة الانجليزية في
إحدى المدارس الثانوية في غرب العراق . ولكنه ظل
على ولائه للحركة الوطنية ، يستجيب لدواعيها ،
ويشارك في أحداثها ما وسعه الجهد ، فاضطر بسبب
نشاطه للفرار إلى البصرة ، ومنها إلى إيران ، وفي عام
١٩٥٣ جاء الكويت ، وعمل في شركة الكهرباء ،
ثم عاد إلى بغداد ، وعمل في الصحافة . وقد توفي
السياب في المستشفى الأميري بالكويت إثر مرض
عضال ، ظل يورقه طيلة ثلاث سنوات . وقد خلف
من السوادين : « أزهار ذابلة » ، « والمعبد
الغريق » ، « ومنزل الاقنص » ، و « أنشودة
المطر » ، و « شاشيل ابنة الجلي » والقبال .

مرحى غيلان

« بابا . . . بابا . . . »

ينساب صوتك في الظلام ، لي ، كالمر الغصير ،
ينساب من خلل الثعلس وأنت ترقد في السرير .
من أي رؤيا جاء ؟ أي سماء ؟ أي انطلاق ؟
... وأظل أسبح في رشاش منه ، أسبح في حير .
فكان أودية العراقي

فتحت نوافذ من رؤاك على سهدي : كل واد
وهيته عشار الأزارح والثمار . كان روعي
في تربة الظلمة حبة حطة وصدك ماء .
أعلنت بعثي يا سياه .
هذا خلودي في الحية تكن مته الدماء .

« بابا . . . » كأن يد المسبح

فقد رأى فيه بعثه وخلوده ، ورأى فيه انتصار الإنسان على الفناء .

كان للميلاد هذا الأثر في السياب ، وقد استمدى كل هذه التدايعات . فها هو الأثر الذي تركه في جيور القرية ؟

ولدت جيور من جديد من شفي غيلان ، وتحولت أعمدة المدينة إلى أشجار توت مورقة ، وتفجرت من شوارعها الخزينة أنهار تشيع الحياة في الجلب ، فإذا بأوراق البراعم تمس وهي تكبر أو تمس ندى الصباح ، ويعلو صوت السنابل في الريح وهي تعد الرحي الطعام . إذا صار الحال بعد الميلاد على النحو الذي تقدم فكيف كان حال الأرض قبل الميلاد ؟ الأرض قصص من طائر دم وحديد ، فيها المسيح معلق كالظل . لا هو حي ولا هو ميت ، انه كهيكل فاقد للحياة . وفيها تتداخل حدود النور والظلام ، فتخدون متاعه والموت - لا الحياة - هو الذي يجوب الشوارع وينف ، هبوا . فقد ولد الظلام ، والنار تزعم أنها هي الفرات . وتعلن عن ميلاد الربيع ، والصقيع يملأ الأرض جهودا ، حتى أن الشمس تعول في اللربوب قائلة : بردانة أنا والساء تنوء بالسحب الجليل ! فأين واقع الأرض هذا من حلم الشاعر الجميل ؟ وما المعنى الذي تحمله التناقض في القصيدة ؟ يجيب الدكتور إحسان عباس في كتابه عن السياب بأن صورة التقيضين في دفه وبرد كما رسمها الشاعر ، تتصل بوجود تموز وبعل والمسيح أو عدم وجودهم ، فعند غيابهم يصبح الكون في قبضة الأضداد الذين يتحلون غير حقيقتهم ، حتى ليدعي الموت أنه المسيح والسلام . وتدعي النار أنها الماء الذي يسقي الورود لتفتح ، والشموع ترش ضريح بعل بالسحب بدلا من الماء ، والشمس ، مصدر الدفء ، تتقف من البرد ، وعشائر مصدر الحصب تصبح رمزا للعقم لأن « بعل » غائب عنها . إن انتصار جيور كان عودة لبعل وتموز والمسيح ، للنحسب والدفء والسلام ، كان بمثابة للدفء الذي يستطيع أن يطرد قشعريرة الأرض ، وزمهرير الجو الجليدي ، وكان ذلك كله معناه الخلود الذي لا يتنقص منه الموت الجميل أي شيء . □

والموت يركض في شوارعها وينف : يا نيام هبوا ، فقد وُلِدَ الظلام .

وأنا المسيح ، أنا السلام .

والنار تصرخ : يا ورود فتتحي وُلِدَ الريح

وأنا الفرات ، وبأكتسوخ

رشي ضريح البطل بالدم والمهاب وبالسحب والشمس تعول في اللربوب :

بردانة أنا والساء تنوء بالسحب الجليل .

« بابا . . . بابا . . . »

من أي شمس جاء دفؤك أي نجم في الساء ؟ ينسل للقصص الحديد ، فيورق القذ في دعائي ؟

أول ما توحى به هذه القصيدة هو أنها قصيدة مناسبة ، فقد نظمها الشاعر بعد أن رزق طفلا أسماه غيلان ، وهذا صحيح ، ولكنها ليست ككل قصائد المناسبات من حيث دلالاتها ورموزها والأساطير التي تحفل بها . إنها قصيدة انتصار الحياة على الموت . والبعث على الفناء . والتجدد على الزوال . لقد بدأت شائنا خاصا . ثم لم تلبث أن تحولت إلى شأن عام . فغيلان ، ذلك الطفل الذي لم يكن بلفظ غير كلمة « بابا » ، صار - عبر سلسلة من التدايعات - رمزا لبعث الحياة وتجديدها .

والطفل والمطر في القصيدة شيان متطابقان ، كلاهما يحمل البشري ، هذا يشير باستمرار النوع ، وذلك يبعث في بذور الأرض القدرة على التولد والتجدد والحصب والنهائ ، بل أن روح الشاعر الإنسان قد تحولت في التربة المنظمة إلى حبة حنطة ، يفعل فيها خطر ما يفعله صوت غيلان في أبيه : تفتح جديد ، وتوكيد لديمومة الحياة . ولطالما صارع الإنسان الفناء والعدم ، فبأي الميلاد الجديد كأنه يد المسيح التي تحمل للإنسان الشفاء من علته الأزلية . ويوغل الشاعر في الحلم ، فيرى نفسه واقدا في قاع نهر بويب ، هناك حيث يتم الاتحاد بالطبيعة ، فيختلط دمه بالماء الذي يهب الحياة لكل أعراف النخيل ، بل يتحد المعقول باللامعقول بالأسطورة ، حين يرى الشاعر في نفسه يملا يحترق على المياه في الجليل . على هذا النحو تحل فرح الشاعر بالميلاد ،

فكسيد نان

فلم يصنع كسر

١. التسميع

أي جندي ؟
 لم شراعي وفوق حطرتي وأسبغ
 تاعطني الريح بتلذذاتي ، وأعلم أن القميص لم
 وأنت القميص وهم وأمرتك بالسميرات الحسنة
 ونعسي الهبات تلوح الليل ، أردت لكسرتيها حين تخرجي
 وحين ألوه تردتني كسري
 وما بين .. هلاً أسامع ؟
 ما بين .. لأن أسامع ؟

ينأى شراع القرار !

٢. يا أرحم الراحمين

أنقيل باسمك وغث السفر
 في ظلام المفلوز .. في حدرات الحفر
 وباسمك يا بارئي أنقري الأمان
 على عصف هذا الزمان
 أحاور ذاتي ، أقاوم حد الترفع ، كل قرار مدان
 أمد اليقين
 معاير .. للضفتين
 وباسمك أنقل واجعة ..
 من لثا المواسم .. للموت
 يا أرحم الراحمين .



نوفمبر
١٩٨٨



العرب الصغير

مجلة الفتيان والفتيات في الوطن العربي

رئيس التحرير: د. محمد الرميحي

يشترك في تحريرها مع الفتيان والفتيات العرب
فخيرة من كبار الفنانين والكتاب المتميزين

في هذا العدد

- النادى العلمي في الكويت.
- همام "سلسل بالألوان".
- مراكش
- "مدن لها تاريخ".
- ابن الهيثم
- "سلسل تاريخي".
- حكاية مه ألف ليلة وليلة.
- استطلاع عن الرسوم المتحركة.



إضافة للأبواب الثابتة

- استاميات
- كمبيوتر
- ٨ صفحات
- لأخيك الصغير وأختك الصغيرة
- والرة معارف العربى الصغير



نتيجة مسابقة العدد ٣٩

143

تتجاوز ١٥.٠٠٠ قدم أو أكثر من ذلك ربما يجعل هذا النقص المطرد أمرا بعيد الحدوث

النفط الصحري

ويتحدث المؤلف أيضا عن اليورانيوم ، فيذكر أنه على الرغم من اكتشاف هذا العنصر منذ فترة طويلة إلا أن استخداماته قد ظلت محدودة مدة كبيرة ، وعلى نطاق ضيق ، حتى أن عصر الذرة في عام ١٩٤٢ ، حين أحرى العلماء أول تفاعلات انشطارية للذرة في جامعة شيكاغو ، فبعد ذلك أخير اعتقد العلماء أنهم وحدوا ضالتهم المنشودة لحل مشاكل الطاقة ، إذ يستطيع الطن الواحد من اليورانيوم توليد طاقة تعادل مايتولد من احتراق ٣٥٠٠ طن من الفحم ، وتعتبر الولايات المتحدة وكندا في طليعة الدول التي تمتلك أكبر احتياطي من هذه المادة المهمة ، ويُنهبها في ذلك جنوب أفريقيا ، وأستراليا ، وروسيا ، والبرازيل ، وقد استندعت حاجة الدول الكبرى إلى اليورانيوم لاستخدامه في الأغراض العسكرية والسلمية إلى زيادة الطلب عليه ، وأدت تلك الحاجة بدولة مثل الولايات المتحدة إلى الجد للبحث عن وحوه لأنه عنصر استراتيجي، حتى اكتشف في العديد من المناطق مثل حثاى روكي ، وفي موضع آخر يتحدث المؤلف عن ابدائل الأخرى التي يحاول العلماء استحداثها في الأونة الأخيرة لتوقوف يحزم علم العقبات التي وحدها متجو الطاقة 'السائلة' مثل النفط ، ومن هذه البدائل النفط الصحري ، ويوجد هذا النوع من النفط في أنحاء عديدة على سطح الكرة الأرضية ، ويقدر عدد الأماكن التي يوجد بها هذا النوع من النفط مايقرب من مائة وخمسين مرة قدر الأماكن التي يوجد بها النفط العادي ، كما تفوق تكلفة استخراج الرميل الواحد من هذا النوع مايقرب من ٢٥ ستا أكثر من تكلفة استخراج الرميل الواحد من النفط العادي ، ومن ثم فقد تأخر هذا النوع في دخول مجال المنافسة مع النفط

الجلي في استخدام الطاقة على مدى العصور السابقة من استخدام الخشب إلى الفحم إلى النفط إلى الغاز الطبيعي إلى آخر هذه التحولات والاكتشافات التي تخضع عنها العقل البشري خلال العصور السابقة حتى وقتنا الحالي

في حديثه عن الفحم يذكر أن حودة الفحم تتوقف على نسبة احتوائه على عنصر الكبريت ، كما تتوقف على القيمة الحرارية التي تتولد عنه عند احتراقه ، ولذا نجد أنه كلما رادت كمية الكبريت في الفحم الخام قلت حودته ، ويعد الفحم الذي تنتجه معظم الدول العربية ذا قيمة حرارية أقل من مثله في سائر دول العالم ، ثم يتحدث المؤلف عن استخدامات الفحم على مستوى عالمي ، وبخاصة في مجال إنتاج الحديد من خاماته الأولية ، تلك الصناعة التي مازال يحف فيها الفحم وقعة العملاق

ثم يتحدث عن النفط ، فيذكر أن الاحتياطي العالمي منه يقدر حتى الآن بنحو ٦٥٠ بليون برميل ، أما الاحتياطي منه في المناطق التي لم نكتشف بعد من العالم فقدر بنحو صعب هذا الرقم ، وفي أوائل الثمانينيات أعلن العلماء أنه إذا ما ظل استهلاك العالم للنفط على ما هو عليه الآن فإن جملة الاحتياطي العالمي منه لن تكفي العالم أكثر من ثلاثين عاما ، ولذا قال بعضهم إن عصر النفط قد أوشك على الانتهاء ، لكن تلك المقولة لم تدم طويلا بعد الاكتشافات النفطية الهائلة في بحر الشمال والمكسيك ، إذ يبلغ معدل الإنتاج اليومي لهاتين المنطقتين مايقرب من خمسة ملايين برميل ويتناول الغاز الطبيعي الذي يتم اكتشافه متفردا في بعض الأحيان ، أو يتم اكتشافه مع النفط في أحيان أخرى ، وتكمن أهمية هذا الغاز في امكانية نقله عبر الأنابيب بسهولة ويسر ، ثم يتحدث عن تناقص احتياطي الولايات المتحدة من الغاز الطبيعي بصورة مطردة ، بيد أن البحث الدائب عن هذا الغاز في شتى أنحاء الولايات المتحدة على أعماق

وذلك لقلة الاهتمام بالمتاحم الأرضية لأخطارها المدينة، لكن الانسان مازال يحاول أن يفي باحتياجاته من الفحم على الرغم من خطورة استخراجه، لاستخدامه في عديد من الصناعات المهمة التي لا بد من الاستغناء عنها، مثل صناعة الحديد والصلب. ثم ينتقل المؤلف الى الحديث عن الطاقة الكهربائية، فيقرر أن استهلاك الكهرباء قد تزايد بدرجة كبيرة في شتى أنحاء العالم، وقد ارتفعت تكلفة الحصول على تلك الطاقة المهمة بصورة مطردة، أما عن الطاقة النووية فيذكر المؤلف أنه على الرغم من أن هذه الطاقة حديثة نسبيا اذا ما قورنت بأنواع الطاقات الأخرى، فإنها مازال أكثر الطاقات تكلفة حتى الآن، كما أنها مازال تحمل في جنباتها كثيرا من الأخطار المحتملة وقوعها بين حين وآخر، ولذا فإن شيوع استخدامها لم يعد حتى الآن شيئا مقبولا إلا في أغراض محددة، ومن ثم يقرر المؤلف على العلماء وضع استراتيجيات عديدة، تضمن أقل التكاليف وأكثر السبل أمانا في استخدام هذه الطاقة التي استخدمها البشر في القرن الحالي.

الانحلال البيئي

في الباب السادس يتحدث المؤلف عن الطاقة والبيئة وتلوث البيئة في ثلاث نقاط :
أولها : أنه من الصعب، بل ليس من الضروري، أن نزيل مصادر التلوث الناتجة عن استخدامات الطاقة، فالنظام البيئي الطبيعي جدير بامتصاص معظم هذه الملوثات .
ثانيا : أننا لا نستطيع حتى الآن -تحديد خطورة التلوث البيئي، لكننا نستطيع أن نلمح بعضا من (الانحلال البيئي) فقط مثل الهواء الملوث أو الماء الملوث أو البحيرات التي تغيرت طبيعتها المائية من الجيد الى الأسوأ وهكذا . ويضيف المؤلف قائلا : انني لا أريد أن أؤكد أن الكثير من الملوثات البيئية الخطيرة ربما توجد في البيئة المحيطة بنا دون أن نلمح لها أثرا يدل على وجودها .

كما يحاول العلماء إنتاج أكثف الأنواع من الخلايا الشمسية وأرخصها . يقول بعض العلماء : (اذا كانت الطاقة الشمسية غير مكلفة متاحة دون مقابل فلهذا يظل استغلال هذه الطاقة باعظا الى هذا الحد؟) . ويأمل المؤلف أن يستطيع البحث العلمي حل هذه المعادلة الصعبة في القريب المآجل، وذلك بالتعاون مع الأجهزة الحكومية في شتى الدول المعنية بمجال إنتاج الطاقة الشمسية واستخداماتها .

سوق الطاقة

ويتناول المؤلف بالبحث مفهوم (سوق الطاقة)، ودوره الفاعل في اقتصاديات الكثير من الدول، وبخاصة الدول المنتجة لمصادر الطاقة المختلفة .

ثم يتحدث المؤلف عن منظمة الدول المصدرة للنفط (أوبك) وتأثيرها المباشر على أسعار النفط العالمية، ويقرر حقيقة مهمة، وهي أن دول الأوبك تسيطر الآن بطريقة مباشرة على ٨٠٪ من حقول النفط الموجودة في أراضيها، وذلك بعد التأميم الذي تم انجازه في معظم أراضي كبرى الدول المنتجة للنفط، ولناخذ مثلا على ذلك المملكة العربية السعودية التي أنشأت الشركة العربية الأمريكية للبترول، تلك الشركة التي تضم كـه بات شركات النفط الأمريكية، وعملك السعوديون القرار في تحديد عدد البراميل التي يجب انتاجها في اليوم الواحد، كما يحددون أسعار بيع هذه الكميات بأنفسهم. وهكذا نجد أن دول الأوبك استطاعت في الآونة الأخيرة أن تقرر مصائرها بأبديها، أما في مجال صناعة الفحم فيذكر المؤلف أن هذه الصناعة عادة تتأثر بأسعار النفط العالمية، كما تتأثر كذلك بالتوزيع الجغرافي لأماكن الانتاج، إذ يعد الفحم من مصادر الطاقة التي تحتاج الى وسائل عديدة لنقله من أماكن الانتاج الى مناطق استخدامه . ويضيف المؤلف أن الاهتمام بالفحم قد قل في الآونة الأخيرة في عديد من مناطق العالم،



يحملون بهذا حتى غطى الضباب تلك الأحلام والأمال الوردية ، بعد وقوع هذا الحادث . وهكذا يصي المؤلف محلا ومقارنا بين طاقة وأخرى ، ومدى ما تحمله من أخطار وكوارث للبشرية .

الطاقة في عالم غير مستقر

في الباب الأخير من الكتاب وعنوانه : « الطاقة في عالم غير مستقر » يتحدث المؤلف عن الصدمات العنيفة التي منبت بها أسواق الطاقة خلال فترة السبعينيات ، وبخاصة بين عامي ٧٣ - ١٩٧٤ ، وكذلك بين عامي ٧٩ - ١٩٨٠ ، تلك الصدمات التي أدت الى ازدياد معدلات البطالة ومديونيات عديد من دول العالم الثالث ، وفي حديثه عن السياسات الدولية للنظف يقرر المؤلف أن استخدام سلاح النظف كأوراق اللعب على موائد السياسة لم يكن بالشيء الجديد ، حتى قبل قيام منظمة الأوبك عام ١٩٦٠ . لكن ظهور هذا الشكل من اللعب السياسي لم يأخذ وضعا ذا أهمية كبيرة الا ابان حرب أكتوبر ١٩٧٣ بين العرب و اسرائيل ، وأكبر دليل على ذلك أن الأعضاء العرب في منظمة الأوبك لم يستطيعوا أن يعيدوا فرض نفس الحظر التفضي السابق حينما غزت اسرائيل الأراضي اللبنانية عام ١٩٨٢ ، وعلى الرغم من كل هذا يحذر المؤلف من يرددون في الدول الغربية المقولة السخيفة . (ماذا سيفعل العرب بالنظف ؟ هل سيشرّبونه ؟ قليشروه ان استطاعوا !) . ويعقب المؤلف على هذه المقولة بقوله : ان سقوط شاه ايران ونشوب حرب الخليج ليسا الا حدثين تخضعت عنهما الأيام في تلك المنطقة المهمة من العالم ، ومن يدرى لعل القدر يعمل في جعبته موجة جديدة كفيلة بقلب أسواق النظف العالمية رأسا على عقب ، وحيث يتقدم المخوفون بهذه المقولة حين لا ينعش التلم □

ثالث : يجب ألا تغيب عن أذهاننا حقيقة مهمة هي أن التلوث البيئي في هذا العلم قد تزايد بسبب بسيط جدا هو أن التخلص من المواد الملوثة الى البيئة المحيطة بنا يعتبر أقل تكلفة من معالجة هذه الملوثات قبل صرفها ، ومن ثم فكثير من المصانع يلجأ الى التخلص من مخلفاتها الى البيئة المحيطة ، فتزيد تلوثها بدلا من معالجة هذه النواتج والمخلفات . وفي حديث المؤلف عن الفحم يذكر أن علماء البيئة يتوقعون زيادة درجة حرارة سطح الأرض ثلاث أو أربع درجات مئوية في منتصف القرن الحادي والعشرين المقبل ، وذلك نتيجة طبيعية لتزايد احتراق الفحم المستخدم في الحصول على الطاقة ، وبالتالي سوف يتزايد — — — — — تركيز اكسيد الكربون في الجو . فتتبع هذه الطبقة تفاعل الحرارة من سطح الأرض الى الفضاء الخارجي ، فتزيد تبعا لذلك درجة حرارة سطح الأرض ، وفي حديثه عن النظف يذكر أن أكثر من ٦٠٪ من جملة الانتاج العالمي من النظف يتم نقله عبر البحار والمحيطات ، لذا فإن أخطار تلوث هذه البحار ليست صعبة الحدوث ، ولا ينبغي أن تناسى ذلك التلوث الرهيب الذي أحدثته ناقلة النظف أموكو كاديز عام ١٩٧٨ في القنال الانجليزي

ويتقل المؤلف الى الحديث عن الطاقة النووية فيذكر أن الحذر مازال قائما حول هذه الطاقة أكثر من أي نوع من أنواع الطاقات الأخرى ، ولعلنا نذكر حادثة المفاعل النووي في (جزيرة ثري مايل) في ٢٨ مارس ١٩٧٩ ، وقد بينت هذه الحادثة أننا مازلنا لانعلم كثيرا عن الأخطار المحتملة داخل العديد من المفاعلات النووية ، ولذا يجب علينا توحيد الجهود الدولية لمواجهة مثل هذه الأخطار ولقد تصور كثير من العلماء قبل هذا الحادث أن الطاقة النووية ستظهرها مستقبل ودي ، وظلوا



بنيان

بنيان

تأليف : الدكتور محمد عابد الجابري / عرض : رافع عبدالرحمن

منذ صدور كتابه الشهير « نحن والتراث » والمفكر محمد عابد الجابري
يثير جدلاً واسعاً في مجال الدراسات التراثية ، وهو جدلٌ اتسع وتشعب مع
مشروع الجابري الكبير في « نقد العقل العربي » وفيما يلي عرضٌ للجزء الثاني
من هذا المشروع .

ينمساها القارئ - ونأمل أن يكون هذا العرض
للكتاب دعوة لقراءته أو إعادة لقراءته

البيان

للوصول إلى تحديد أهم السنطلات المرجعية التي
قود التفكير في الحقل البياني العربي ، بل في العقل
البياني ، يسعى المؤلف في مدخل القسم الأول من
الكتاب إلى التعريف بالكيفية التي انتقل بها « البيان »
ك نظام معرفي ، من حالة اللاوعي إلى حالة الوعي
يقراً ما جاء في « لسان العرب » مادة (ب . ي)
ن () ويخلص إلى أن البيان في إطاره اللغوي يفيد
الفصل والانفصال ، والظهور والاختلاف

« بنية العقل العربي » هو الجزء الثاني من
مشروع تراثي كبير عنوانه « نقد العقل
العربي » للدكتور محمد عابد الجابري . وكان المؤلف
قد سبغ الضوء في الجزء الأول - « تكوين العقل
العربي » - على تشكل العقل العربي ومكوناته ،
وانتهى إلى التمييز بين ثلاثة نظم معرفية : البيان
والعرفان والبرهان
وفي هذا الجزء يحلل الجابري هذه النظم المعرفية .
مسلماً الضوء على كيان العقل العربي من داخله ،
محدداً العوائق « الايستيمولوجية » التي تموقه من
داخله

يقوم الجابري بمهمة هذه متسلحاً بمعرفة واسعة
بتراثنا الفكري ، بمهجية حديثة - ومزايا عديدة

والمضمون ، وعندما استفد المضمون امكانيات الاستعادة والاجترار صارت السلطة كلها للشكل ، للفظ ، والمحسنت اللفظية .

وفي تحليله لزوجة الأصل والفرع يشير الجابري إلى أن الشافعي حدد أصول الفقه في أربعة : الكتاب والسنة والاجماع والقياس ، وجاء الأصوليون من بعده فصنوها إلى : النص (القرآن والسنة) والاجماع والقياس ، ويلاحظ أن لعملية التعبير عن القرآن والسنة معا بـ « النص » أهمية عظيمة جداً على الصعيد « الايستيمولوجي » ، لأنها حولت الأصول الأربعة من أصول للفقه وحده إلى أصول يمكن أخذها في صورتها المجردة (نص ، اجماع ، قياس) ، وتأسيس أنواع من المعارف عليها .

ويؤكد أن عملية التفكير في العقل البياني حكومة دوما بـ « أصل » ، فالمعرفة العقلية في الحقل البياني تقوم كلها إما انطلاقاً من أصل « الاستنباط » ، وإما انتهاء إلى أصل « القياس » ، وإما بتوجيه من أصل « ضوابط منهجية » .

ويتناول « نظرية الخبر » البيانية ، فيجد أن السلطة التي تؤسس خبر الأحاد وغير التواتر هي سلطة « اجماع الصحابة » ، فما الذي يؤسس سلطة « الاجماع » ؟ إنها « سلطة السلف » ، سلطة الماضي . (فكان الاستنباط الذي عانى منه العقل البياني استبداديين : استبداد الحكم بالسياسة ، واستبداد السلف بالمعرفة) .

ويعمل المؤلف القياس البياني وإشكالية التحليل مبيّناً أن هذا القياس لا يعني استخراج نتيجة تلزم ضرورة من مقدمتين أو أكثر ، بل يعني إضافة أمر إلى آخر بنوع من المساواة ، فهو مقايضة ومقاربة بين أصل وفرع ، بين شاهد وغائب . وأن الفاتس لا يصدر حكماً من عنده ، بل يمد حكم الأصل إلى الفرع اعتماداً على ما يحد من شبه يبرر القياس ، والحكم الذي يصدره المجتهد يقوم على الظن لا على اليقين .

ومن دراسته لمبحث الملة يستنتج أن الاستدلال في العلوم البيانية الاستدلالية واقع تحت وطأة إشكالية تبرير الأحكام ، وأن التحليل في الفقه وعلم الكلام

ويستقل إلى الأبحاث البيانية ، فيرصد جانبين أساسيين في « البيان » كما حدده الشافعي : « أصول » تنسب عنها فروع ، و « قواطين » وقواعد لتفسير الخطاب ، ومن قراءته شروط إنتاج الخطاب البياني عند الجاحظ يخلص إلى أنها تلخص في تحقيق التوافق والانسجام في اللفظ والمعنى .

ويجد عند ابن وهب نظرية في المعرفة ، يحتمل فيها « الخبر » مركزاً رئيسياً أولاً يوازن « النظر » إن لم يكن أقوى منه ، وذلك على مستوى اكتساب المعرفة .

ويصل الجابري من كل ذلك إلى أن أزواجاً من المفاهيم تشكل العناصر الرئيسية في البنية العامة للنظرية البيانية في المعرفة العربية ، وهذه الأزواج هي : اللفظ والمعنى ، الأصل والفرع ، الخبر والقياس .

ويخلص من تحليله لإشكالية اللفظ والمعنى إلى أن التعامل معها قد رتخ لدى البيانيين النظرة التي تتعامل مع اللفظ والمعنى ، وكأن لكل منهما كيانه الخاص ، وقد نتج عن ذلك الفصل بين اللغة والفكر . وإن البيانيين نظروا إلى النص كإلفاظ وعبارات لغوية ونظام خطاب ، ولم ينظروا إليه كعمان ومقاصد ، ومن نتائج ذلك على العقل البياني ونتاجه المعرفي ما يلي :

في مجال النحو خلط النحاة بين النحو والمنطق ، وجعلوا كثيراً من القواعد النحوية قواعد للفكر ، فصارت اللغة وعاء يؤطر الفكر ضمن قوالب ومقولات لغوية .

وفي مجال الفقه أحمل الفقهاء مقاصد الشريعة ، وأصبحت « مقاصد اللغة » هي المحكمة ، وكان لا بد أن يتوقع التشريع ، مما جعل انغلاق باب الاجتهاد نتيجة حتمية .

وفي علم الكلام أدى الانسحاق مع مناهات إشكالية اللفظ والمعنى والمخضوع لمطلقها إلى خنق العقل ونهجم دوره .

أما في مجال البلاغة فقد صار المعيار البلاغي واحداً ثابتاً وهو التزام طريقة القدماء في الشكل

المعنى الظاهر الذي تعطيه عبارة النص . وبين أن القياس العرفاني قياس دون جامع ، دون حد أوسط ، دون رقابة عقلية ، إنه انزلاق بالمسائلة بوصفها مشابهة في العلاقة بين بئيتين إلى المطابقة بينهما بصورة تجعل الواحدة منها مرةً لآخرى .

والجباري يحلل نظرية النبوة والولاية عند الشيعة « اثنا عشرية واسماعيلية » ، بعد أن يلفت انتباه القاريء إلى أن الزوج (النبوة والولاية) في الفكر العرفاني يماثل ويوازن الزوج (الأصل والفرع) في الفكر البياني ، لكن اتجاه الفكر هنا يكون بالمعكس ، فالولاية هي الأصل ، والنبوة هي الفرع .

ويجسد النظرية المذكورة تعرض رؤية متكاملة للكسوف والإنسان ، منسوجة حول محورين رئيسيين : شخصية الإمام وقصة المبدأ والمعاد شخصية الإمام محور لنظرية في المرفة ، وقصة المبدأ والمعاد إطار لنظرية في الوجود : الطبيعي والروحاني ، والنظريتان تقومان بإلغاء العقل وإحلال عرفان الإمام محله .

ويقدم الجباري في خاتمة القسم الثاني من الكتاب خلاصات تجمع شتات ملاحظاته :

فالعرفانية الهرمية هي البنية الأم للفكر العرفاني

والنحو إنما يقدم على الجواز لا على الوجوب ، ووظيفته لا تعتمد المقاربة ، وأن اللزوم البياني يقوم في أحسن الأحوال على الترجيح ، ولا علاقة له بالضرورة المنطقية .

العرفان

أما العرفان كفضل معرفي فهو ، ما يسميه أصحابه « الكشف » أو « العيان » وكحقل معرفي هو عبارة عن خليط من هواجس وعقائد وأساطير تلون بلون الدين الذي تقوم على هامشه ، لتقدم له ما يمتد العرفانيون أنه « الحقيقة » الكامنة وراء ظاهر نصوصه .

ويلقي المؤلف الضوء على الموقف العرفاني الذي كان دائما موقف هروب من العالم إلى عالم « العقل المستقل » كلما اشتدت وطأة الواقع على الفرد الذي لا يعرف كيف يتجاوز فرديته .

ثم يتناول العرفان في بيته الإسلامية على محورين رئيسيين يتمثلان في الزوجين (الظاهر والباطن ، النبوة والولاية) ، ويخصص فصلين لقراءة تحليلية نقدية تركز على المنهج أساسا في المحور الأول وعلى الرؤية في الثاني .

يحلل الزوج (الظاهر والباطن) في الحقل المعرفي العرفاني موقعا يماثل الموقع الذي يحتله الزوج (اللفظ والمعنى) في الحقل المعرفي البياني ، وقد تم توظيف ذلك الزوج على ثلاثة مستويات : مستوى تأويل الخطاب ، ومستوى انتاجه ، ومستوى التنظيم الاجتماعي . والجباري يعنى بالمستويين الأول والثاني ، فيتناولهما بالتشريح ، وعما بينه أن « الحقيقة » العرفانية ليست عامة كلية ، بل ذاتية ظرفية ، تخص الشخص الواحد ، وإذا كانت هذه « الحقيقة » خاطرا ينظر بالنفس لمناسبة فإن العلاقة بينها وبين المناسبة التي تثيرها ليست علاقة ضرورية ولا حتى منتظمة .

ثم يضع « الكشف » موضع المسألة ، ويقرر أن العرفانيين يعتمدون المماثلة في تأويل الخطاب القرآني ، المماثلة بين معان وآراء جاهزة لديهم وبين



كان لها نظامها الخاص ، مع بيان الكيفية التي تم بها ترتيب العلاقة بين النظامين من جهة ، كما سيكون علينا ، من جهة أخرى ، رصد التعديلات التي ستعرض لها هذا النظام المعرفي البرهاني ، سواء على صعيد المنهج أو على صعيد الرؤية من خلال عملية التهيئة تلك .

ويستهي في الفصل الأول إلى أن البرهان كمنهج قد انتهى به الأمر في الثقافة العربية الإسلامية إلى أن أصبح مع الغزالي مجرد آلية ذهنية شكلية يراد منها أن تجعل عمل آلية ذهنية شكلية أخرى هي آلية الاستدلال بالشاهد على الغائب ، مما أفقده وظيفته الأصلية التي أرادها له أرسطو ، وظيفته « التحليلية » و « البرهان » .

وفي الفصل الثاني يبين الجابري من خلال قراءة مذهبة لـ « السنوية » أن البرهان كروية قد انتهت به الأمر مع ابن سينا إلى الانخراط في إشكاليات المتكلمين من جهة ، وتبني متبجحات « العقل المستقيل » من جهة ثانية ، مما أفقده الرؤية البرهانية الأرسطية طابعها العقلائي والعلمي .

(لقد تداخل هذا الموروث الأرسطي المفكك مع الحليط الهرمي المقوم للمعرفانيات الإسلامية ، مع الموروث الباني الذي كان قد توقف عن النمو بعد أن استفاد كل امكانياته . تداخلت هذه النظم المعرفية بعد أن انحلت ، فاختلطت المفاهيم ، واشتبتكت المسائل ، وتصادمت الرؤى والاستشرافات داخل الثقافة العربية الإسلامية ، مما جعل الحاجة إلى إعادة التأسيس والبنية ضرورة ملحة) .

تفكك النظم :

إذا كان الغزالي يحسم لحظة الأزمة في الثقافة العربية الإسلامية ، فإن ابن رشد يحسم لحظة التجديد ، وإذا كانت لحظة الغزالي تجد نقطة بدايتها في ابن سينا فإن لحظة ابن رشد تجد نقطة انطلاقها في ابن حزم .

(وإذا كان البان قد وجد مستقبله انطلاقاً ، من لحظة الغزالي في « طريقة المتأخرين » التي نضجت مع

في الإسلام ، والتأويل العرفاني للقرآن هو تضمين ألفاظ القرآن أفكاراً مستقاة من الموروث العرفاني القديم . وقد كرس العرفانيون الإسلاميون في الحقل المعرفي العربي الإسلامي لا عقلانية صميمة ، على صعيد المنهج وعلى صعيد الرؤية .

و « الكشف » العرفاني هو أدنى درجات الفاعلية العقلية ، والعرفانيون يوظفون الأساطير توظيفاً دينياً ، فيجعلون الحقيقة وراء « الشريعة » و « الباطن » وراء « الظاهر » ، والحقيقة عندهم ليست الحقيقة الدينية أو العلمية أو الفلسفية ، بل هي الرؤية السحرية للعالم التي تكرسها الأسطورة .

البرهان :

البرهان يعتمد قوى الإنسان المعرفية الطبيعية من حس وتجربة ومحكمة عقلية ، وحدها دون غيرها في اكتساب المعرفة بالكون لتشييد رؤية للعالم . يكون فيها من التماسك والانسجام مايلبي طموح العقل إلى إضفاء الوحدة والنظام على شتات الظواهر .

وقد تأسس البيان والعرفان باعتماد القرآن والحديث أولاً وقبل كل شيء ، أما بالنسبة للبرهان فالأمر يختلف تماماً ، فمن جهة أولى يتعلق الأمر بمنهج في التفكير ، وبصور للعالم ، يختلفان تماماً عن المنهج والتصور اللذين تم إرساؤهما في الثقافة العربية الإسلامية بمعطياتها الخاصة : اللغة والدين ، ومن جهة ثانية يتعلق الأمر بعالم من المعرفة يكفي نفسه بنفسه ، وتأسس بوسائله الخاصة التي هي العقل ومايضعه من أصول

إذن فتأسس البرهان داخل الثقافة العربية الإسلامية سيكون عبارة عن ترتيب معين للعلاقة بينه وبين « البيان » فقط ، وهذا ما حصل فعلاً .

في مدخل هذا القسم يقدم الجابري صورة مجملية عن « البرهان » الأرسطي متبعاً ورؤية ، وميرزا مايميزه عن كل من « البيان » و « العرفان » ، وميرزا الاتجاه العام في الفكر الأرسطي . ثم يحدد مهمته في هذا القسم : (سيكون علينا أن نتبين كيف تمت تهيئة هذا النظام المعرفي « البرهاني » في الثقافة العربية التي

وأصولية الشاطبي وتاريخية ابن خلدون .
وفي خاتمة عامة للكتاب بعنوان (من أجل عصر
تدوين « جديد) يصر أهم سلطات المرجعية التراثية
في ثلاث : سلطة اللفظ ، سلطة الأصل ، بضمها
(سلطة القياس وسلطة السلف) . سلطة
التجوز)

ويؤكد أنه (بالانتظام الواعي في فكر ابن حزم
والشاطبي من أجل ممارسة التجديد في تراثنا
الفقهى ، وفي إطار معارك فكرية حادة ، ينتفع
المجال لزعة ثلاث من السلطات التي تحكم العقل
المصري لا شعوريا . سلطة اللفظ ، سلطة
السلف ، وسلطة القياس) .

أما سلطة التجوز فيلتبس سيلا لزعتها لدى
ابن رشد في الانطلاق من النظام والترتيب اللذين في
العالم بوصفهما تحليلات للحكمة والعناية الإلهيتين
ودليلا عليها ، وبالتالي دليلا على وجود الله ، ثم
يضيف إلى ذلك مفهوم « طبائع العمران »
الخلدوني .

إن الجابري الذي أوضح أن العقل العربي قد
تكوّن أساسا من خلال التعامل مع النص ، يرى أن
الشيء الذي يجب أن يكون موضوعا للفحص والنقد
هو ذلك المسلك الذي سلكه الأقدمون في فهم
النصوص ، و (شبكة الآثار التي خلفتها فينا
سيرورتنا العامة الطويلة منذ « انشقاق » العقل
العربي ، أي منذ « عصر التدوين ») . وهو يرى أن
الحاجة تدعو اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تدشين
« عصر تدوين » جديد ، تكون نقطة البداية فيه نقد
السلاح ، نقد العقل العربي □ .

الرازبي ، وانحذت قالها النهائي المتكلس مع
الايحي ، فإن الطموح إلى إعادة تأسيس البيان بصورة
يتجاوز بها أزمته الداخلية قد ظهر قبل الغزالي مع ابن
حزم ، ليبلغ قمته على مستوى أصول الدين مع ابن
رشد وخطابه الجديد حول « مناهج الأدلة » وعلى
مستوى أصول الفقه مع الشاطبي وخطابه الجديد .
كل الجدة ، حول « مقاصد الشريعة » كان هذا في
المغرب والأندلس ، أما في المشرق العربي فقد ناضل
من أجل إعادة تأسيس البيان تأسيسا سلفيا جديدا ،
بإستلهم ابن رشد خاصة ، الفقيه الحنبلي الشهير ابن
تيمية) .

يعرض الجابري في الفصل الأول من هذا القسم
صورة اجمالية عن عملية التداخل كما تمت في علم
الكلام خاصة ، مشيرا إلى أن التداخل إنما حصل على
ساحة البيان ، الساحة التي أصبحت منذ لحظة
الغزالي تمثل « العقل العربي » الذي انتهى إلينا عبر
« طريقة المتأخرين » وروافدها وامتداداتها ، والذي
ظل منذ لحظة الغزالي ومازال مسرحا لصراع
المقولات واختلاط المفاهيم .

ويبين أن انبهارا أصاب العقل والمعرفة نتيجة
« طريقة المتأخرين » إذ تم النزول بالعلم الطبيعي
الأرسطي إلى مستوى التفسير الكلامية ، وصارت
كل فاعلية العقل أن يحفظ وينذكر . لا أن يفكر
ويستدل .

وفي الفصل الثاني يتناول الجابري المشروع الثقافي
الأندلسي ، مبرزاً جوانب من تراثنا الفكري
والاجتهادي ، مؤكدا أنها ما تبقى من تراثنا قايلا لأن
تنظم فيه في عملية التجديد والتحديث المطلوبة ، إنه
يدعو إلى استعادة نقدية ابن حزم وعقلانية ابن رشد

□ أكثر الناس قلقا في السجن ، هو السجّاد

(بربرد شو)

□ ما من شيء يثير الشجاعة في الشعب العظيم كاستهدافه للمخاطر

(نابلين)





مكتبة العربي

مختارات

صوراً فوتوغرافية، لأعمال فنان تشكيلي، ترصد تطوره ومراحل أعماله المختلفة. والفنان بدر القطامي من أهم الفنانين التشكيليين في الكويت ومنطقة الخليج العربي. وبإدارة تقديم أعماله في كتب تتيح له الانتشار بين قاعدة أكثر اتساعاً من رواد معارضه، وتتيح للقاريء العربي الرؤية والاستيعاب وهو جالس في مكتبته.



الكتاب: وحدة العرب في الشعر العربي
المؤلف: عبد اللطيف شرارة
الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية - سلسلة الثقافة القومية
عدد الصفحات: ٤٥٦ قطع صغير
سنة النشر: ١٩٨٨

يقدم الكاتب في هذا الكتاب دراسة أدبية، ونصيحاً شعرياً للتليل على وجود الشعور بالوحدة العربية في الثقافة العربية منذ أقدم العصور وتعاظمه، وعلى الرغم من أن الثقافة تنمو مع الزمن وتتكون وتتكامل وتتطور وتضيف وتعديل حسب الظروف الطبيعية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية فإن الثقافة العربية ظلت تحتفظ داخلها بهذه النزعة الواضحة نحو وحدة العرب، وقد كان الشعر أبداً للفنون العربية، وأحد أدوات التعبير عن الثقافة العربية ومضمونها، ومن خلاله ووفق نصوحه كانت الوحدة هي الملم والمهاجس والحلم والأمل والخلاص.

الكتاب: التطور العمراني في الكويت
المؤلف: د. إبراهيم ملجند الشلمين
الناشر: سلسلة دراسات في التخطيط والمعمارة
عدد الصفحات: ١٢٣ قطع متوسط
سنة النشر: ١٩٨٨

خلال سنوات التحضر الكبرى التي شهدتها الكويت تم تنفيذ كثير من المشروعات العمرانية الضخمة، وقد تمت هذه المشروعات وفق القواعد والنظم الغربية. وللمؤلف وجهة نظر يعرضها في كتابه من خلال التركيز على هوية الممارسة في الكويت، وخصائصها وملامحتها للبيئة، وكيف أن الشكل المعماري لمدينة ما هو إلا تعبير عن ظروفها وثقافتها الاجتماعية وظروفها الطبيعية. ينقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب، الباب الأول يختص بوضع الأسس العامة، والبحث عن جذور الممارسة المحلية، والباب الثاني يتضمن اقتراحات بتخطيط منطقة داخل المدينة القديمة وتصميمها، وتطبيق الأسس المحلية للممارسة والتخطيط، مع استخدام التقنية الحديثة، وفي الباب الثالث الأخير اقتراح باتباع أسلوب جديد للتنمية العمرانية.



الكتاب: الفنان التشكيلي بدر جاسم القطامي.
المؤلف: الريمان للنشر والتوزيع
عدد الصفحات: ٥٠ صفحة قطع كبير
سنة النشر: ١٩٨٨
كتاب جديد من نوعه في المكتبة العربية، يضم

الكتاب : السياسة والحيلة عند العرب
تحقيق: رنيه خوام
الناشر : دار الساني - لندن
عدد الصفحات : ٢٣٤ قطع متوسط
سنة النشر : ١٩٨٨

هذا الكتاب إعادة نشر للمخطوطة العربية المجهولة المؤلف المسماة «رقات الحل في دقائق الحيل» ، وهي مخطوطة مكونة من ١٥٢ ورقة ، يعود استنساخها إلى عام ١٠٦١ هـ / ١٦٥١ م ، وهي موجودة في المكتبة الوطنية بباريس . وقد قام المؤلف - المجهول - في مخطوطته بجمع طرائف الحيل ونوايرها ، وقد صكف على جمعها من بطون كتب معاصره وسابقيه ، بإذلا جهدا ضخما في القراءة والتجميع ، وقد قسم المؤلف كتابه إلى عدة أبواب ، اختص كل باب بحيل طائفة أو فئة من الناس ، بدءا من حيل الملائكة والجن ، وحيل الأنبياء والملوك والسلاطين ، والوزراء والقضاة والفقهاء والأطباء والنساء .

وقد بذل محقق الكتاب - رنيه خوام - جهدا واضحا في نقل المخطوطة ، ثم عتونها ، ووضع العناوين المناسبة لها ، ومقارنة الحكايات على ما هو متاح من كتب .



الكتاب : الاثراء الثقافي للأطفال
المؤلف : د . كافي رمضان ، ود . فيولا البيلاوي
الناشر : سلسلة الدراسة العلمية لثقافة الطفل / مطابع حكومة الكويت .
عدد الصفحات : ٢٨٤ قطع متوسط .
سنة النشر : ١٩٨٧

هذا الكتاب إضافة مهمة في مجال تربية الطفل ،

قامت بها المؤلفتان في محاولتهما لوضع استراتيجية تنمية ثقافة الطفل في الخليج العربي . وقد تناول الكتاب في جزء منه الاطار النظري لمفهوم الاستراتيجية وأساسياتها ، وضرورة التكامل بين الاستراتيجيات المختلفة في القطاعات المتباينة في المجتمع ، ثم تعرض لمفهوم الاثراء الثقافي للطفل ومراكزه ووسائله ، ثم انتقل بعد ذلك للحديث عن بناء استراتيجية تنمية ثقافة الطفل العربي ، بدءا من واقع ثقافته الحالي إلى مقومات بناء الاستراتيجية في أهدافها ومبادئها وخطتها .



الكتاب : الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد القيسي
المؤلف : محمد القيسي
الناشر : المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت
عدد الصفحات : ٦٤٣
سنة النشر : ١٩٨٧ .

يضم الكتاب الأعمال الشعرية الكاملة لمحمد القيسي ، بدءا من ديوانه الأول «دابة في الريح» ١٩٦٨ ، حتى «منزل في الأفق» الصادر في ١٩٨٥ . والقيسي واحد من الأصوات الشعرية الشديدة التباين في وطننا العربي ، وعلامة جديدة بعد مرحلة رجال الحرس القديم وفرسان الساحة الإعلامية الآن ، وهو شاعر صاحب رؤية وموقف ، وله قاموسه الشعري الخاص به جدا ، وهو شاعر لم يكن الشعر بالنسبة له ترفا أو لعبا بالكلمات ، ولا وظيفة ونجومية ، لكنه كان هما وأداة وحيدة في مواجهة متخ القسوة والظلام وغياب العدالة .

قال عثمان بن عفان : وجدت الخير مجموعا في أربعة : التحب إلى الله بالنوافل ، والصبر على أحكام الله ، والرضا بتقدير الله ، والحياء من نظر الله عز وجل .

مجموعة

العربي - العدد ٣٦٠ - نوفمبر ١٩٨٨ م

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٦٠
نوفمبر ١٩٨٨

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة
المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان
التالي
مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ -
الرمز البريدي ١٣٠٠٨ الكويت - مسابقة
العربي العدد ٣٦٠ ، واخر موعد
لوصول الاجابات البناء هو ١٥ ديسمبر
١٩٨٨ .

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي

العدد ٣٦٠

جبل افرست في عني عن
التعريف ، ترى ما الاسم الذي يطلقه على
هذا الجبل سكان المنطقة الواقعة على
الحدود بين نيبال والنيث . علماً بأن الاسم
(افرست) هو الذي أطلقه عليه
الانكليز ، واشتهر به الجبل خارج
المنطقة ؟

أي الجبال التالية يحظى بأكبر عدد
من المتسلقين سنوياً ؟
* جبل فوحي (او فوجياما) في
اليابان
* كلمنجارو في تانزانيا
* جبل ماك كنلي في الاسكا

ترى لو قسنا ارتفاع الجبال اعتباراً
من مركز الكرة الأرضية - في باطن
الارض - فأى جبال العالم يكون أعلاها ؟
* افرست * موناكيا * كمبرازو
في الأنديز

ترى كم عدد الذين نجحوا في
بلوغ قمة جبل افرست من جمهور
المتسلقين الذين حاولوا بلوغها ؟ وكم
عدد الذين فشلوا في بلوغها لأنهم ماتوا
اثناء المحاولة ؟
* ١٣٠ متسلقاً بلغوا القمة و (٥٠)
متسلقاً ماتوا .
* ٥٠ متسلقاً بلغوا القمة و (٥٠)

متسلقا ماتوا .

• ١٥ متسلقا لطفوا القمة و ٢٥ ؛
متسلقا ماتوا .

• جبل موناكيا في هواى • جبل
افرست • جبل الكنيسة

من المسلم به أن حرارة الجو
تنخفض في أعالي الجبال عما هي عليه على
سفوحها ، ولو كنت من متسلفي الجبال
لشمرت بانخفاضها أثناء صعود الجبل ،
تري كم درجة تهبط حرارة الجو بالتوسط
في كل ١٠٠٠ متر من الارتفاع .
• درجة مئوية واحدة • ٣ درجات
مئوية • ٥ درجات مئوية

نملك لاتدرى أن لك أوزنا
مختلفة لا وزنا واحداً ، فوزنك على
مسطح البحر يختلف عن وزنك
على قمة جبل يقع في القطب الجنوبي ،
وزنك في هذين الموقعين يختلف كذلك
عن وزنك على قمة جبل آخر يبلغ نفس
الارتفاع ، ولكنه يقع على خط
الاستواء ، ففى أى هذه المواقع الثلاثة
يكون وزنك أكثر وفي أيها يكون أقل ؟

أى الجبلين التاليين أكثر ارتفاعا
من الآخر جبل حرمون أم جبل الشيخ ؟

ماهو أعلى جبل في أوروبا .
• الجبل الأبيض في سلسلة جبال
الالب •
• جبل البرور في جبال القفقاس

أى الجبال التالية يمكن أن نسمي
جبل الرجال أو الذكور المحظور صعوده
على الإناث ، ولا يسمح بزيارته للنساء
ولا حتى لإناث الحيوان .
• جبل اتوش في مقدونيا في اليونان .
• جبل اوليمبوس قرب أثينا في
اليونان
• جبل أرارات في تركيا

من المعروف أن الجبال لاتستكون
ببر عشية وضحاها ، وإنما تحتاج إلى
ملايين السنين لكي تظهر فوق سطح
الأرض على أن هذه القاعدة ليست بلا
استثناء ، فهناك صنف من الجبال لا يحتاج
لظهوره إلى زمن طويل . وقد يتكون
فحاة ويظهر ببر عشية وضحاها ترى
أى صنف هذا ؟
• الجبال البركانية • الجبال
الجلدية • الجبال المرجانية

أيها أكبر سنا أو أقدم عهدا .
الجبال المرتفعة أم الجبال المنخفضة ؟

أى الجبال التالية يمكن أن نسمي
جبل المراسد !

مسابقة العدد ٢٥٧

أغسطس

١٩٨٨

السكروبي المكون من لفظين (جم)
وتعني الثلوج ، و(لا يا) وتعني موطن ،
اذن همالايا موطن الثلوج .

يقع جبل المرست على الحدود بين
التبت ونيبال ، ونجدد الإشارة إلى أنه
سمى بهذا الاسم نسبة إلى السير جورج
المرست (١٧٩٠ - ١٨٦٦) الانكليزي
الذي شغل منصب كبير المساحين في
الهند .

تبلغ أطوال سلاسل الجبال الثلاثة
كالنتالي ، سلسلة جبال الأنديز
٧٢٠٠ كم ، وهي أطول سلاسل الجبال
في العالم بلا نزاع ، وسلسلة جبال روكي
٦٠٠٠ كم ، وسلسلة جبال همالايا
٣٨٠٠ كم . على أن سلسلة همالايا هذه
تتميز بارتفاعها وبكثرة القمم الشاهقة
فيها وإن لم تتميز بطولها .

تقع قمة آدم في جزيرة سيلان على بعد
نحو ٤٥ ميلا من كولبو ، ويقع جبل آدم
في جزر فوكلاند في أقصى جنوب المحيط
الهادي ، ويبلغ ارتفاع هذا الجبل
٢٣١٥ قدما . أي أقل من نحو ثلث
ارتفاع قمة آدم البالغ ٧٣٦٠ قدما .

أول رجل تسلق الجبال في التاريخ
رجل فرنسي اسمه « انطوان دي فيل »
كان ذلك سنة ١٤٩٢ وبأمر من الملك
شارلز الثامن ، أما الجبل الذي تسلقه
فكان جبل (انجويل) الواقع قرب مدينة
جريفويل والبالغ ارتفاعه (٢٠٩٧)
مترا .

ونجدد الإشارة إلى أن الجبل
الأبيض أهل جبال الالب قد تأخر تسلقه

إنها جبال أطلس التي تقع في المملكة
المغربية والجزائر وتونس أيضا . وهي
تبلغ من الارتفاع في أعلى قسمها ١٣٦٦٤
قدما .

الأوز ، ولطالما شاعدهو يطير ويحلق
على قمم يزيد ارتفاعها على ٨٨٠٠ متر
وذلك في الهند وفي بلدة دهرادان على
الأخص . أما النسور فقد وجدوها
متجمدة على ارتفاع ٨٠٠٠ متر على
سفوح جبل المرست الجنوبية .

تبلغ الجبال الجليدية من الضخامة
أكثر مما تبلغه جبال اليابسة . وقد بلغت
مساحة أضخم جبل جليدي - وهو الذي
اكتشفوه سنة ١٩٥٦ في جنوب المحيط
الهادي - (٣١٠٠٠) كم^٢ ، أي مايزيد
على مساحة بلجيكا .

سلسلة جبال همالايا تستأثر بأكثر
القمم الشاهقة في العالم ، تلك التي
يتجاوز ارتفاعها ٢٤٠٠٠ قدم ، فمن
مجموع ١٠٩ قمة في العالم ككل تستأثر
جبال همالايا ب ٩٦ قمة ، ولا عجب إن
سميت هذه الجبال بهذا الاسم

الفائزون في مسابقة

المسدد ٣٥٧

أغسطس ١٩٨٨

الجائزة الأولى : المصنف السلي /
القيروان / الجمهورية التونسية .

الجائزة الثانية : مازن أمين / كفر
سوسة / دمشق / الجمهورية العربية
السورية .

الجائزة الثالثة : محمد قاسم حودة البنا /
المدينة المنورة / المملكة العربية
السعودية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ - آسيا علي سليمان / القاهرة /
جمهورية مصر العربية .

٢ - رشاد محمد عبدالرحمن مجلوب /
الحسرتوم / جمهورية السودان
الديمقراطية .

٣ - محمد مروان جميل / مدونة أم حبيبة
الوسطة للثلاث / دولة الكويت .

٤ - قصبة عبدالقادر صالح / بريد /
المملكة الأردنية الهاشمية .

٥ - أحمد عارف القسبي / بيروت /
الجمهورية اللبنانية .

٦ - صالح صبري حمزة / واسط /
الجمهورية العراقية .

٧ - فاطمة القروي / حي البطمان /
البحر الأبيض / المملكة المغربية .

٨ - محمد جاسم صالح الصبيحي / حلة
الحفرة / منطقة عمان .

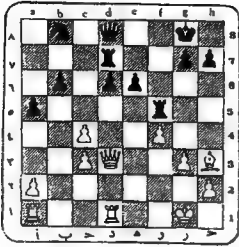
حتى سنة ١٧٨٦ ، وقد قام بتسلقه عالم
الجيو لوجيا جاك بالمت والطبيب ميشيل
بكاردي في آن واحد معا .

١ إنه جبل (٢٢٢٢ م) الذي قامت
البعثة الأمريكية بقياسه في ربيع عام
١٩٨٧ ، فسميت بـ ٢٢٢٢ نسبة إليه ،
ويعرف هذا الجبل باسم آخر هو
شوجوري ، وقد سموه سابقا جولدن
اوستن يقع في باكستان ويبلغ ارتفاعه
الذي جرى قياسه من قبل البعثة بأحدث
الأجهزة وبالاعتماد على الأقمار الصناعية
ما بين ٢٩٠٦٤ - ٢٩٢٢٨ قدما ، علما
بأن ارتفاع افروست لا يزيد على ٢٩٠٢٩
قدما وفلك وفق آخر قياس له سنة
١٩٧٣

١٠ في البلدان الجبلية يزيد عدد المستن
المعمرين على صدمهم في سائر البلدان
الواقعة على السواحل أو في السهول أو في
الوديان

١١ جبل سنجار ، وهو يقع على الحدود
بين العراق وسوريا ، ويمتد من الغرب
إلى الشرق ، ويبلغ ارتفاع أصل قممه
١٤٦٠ مترا ، ويسكن هذا الجبل قبيح
يسكنه ملة تولى الشيطان مزيدا من
احترامها أو تقديسها ، هم لا يطيقون
سماع أحد يلعن الشيطان وإذا اتفق وأن
سموه تشاجروا معه أو ولوا الأدبار .

١٢ فناء الأطفال ، ناهيك عن
صراخهم قد يتسبب بانهيارات ثلجية
هائلة . ويعرف السويسريون ذلك حق
المسرفة ، من ثم كان حظر الفناء
والصراخ على أطفالهم وحرصهم على
المحافظة على السكون ما أمكن .



معركة بلاسلان



الدورة من أبرز اللاعبين السوفيت المعاصرين ، وهو من أصل أرمنى ويحتل حالياً المركز الأول بين اللاعبين الأرمن بعد وفاة بطل العالم الأسبق تيجران بتروسيان (١٩٦٣ - ١٩٦٩) . وقد حقق فاجانيان في هذه الدورة أربعة انتصارات وتعادل في ثمان من المباريات فأصبح رصيده ثمان نقاط .

والجدير بالذكر أن فاجانيان وكاربوف من مواليد نفس السنة وقد شاركه بطولة العالم للناشئين في عام ١٩٦٩ . واحتل المركز الأول بلا منازع في بطولة هاستنجز البريطانية في عام ١٩٨٣ بعد أن تفوق على أقرب منافسه بتقطين ونصف النقطة ، كما أنه احتل المرتبة الأولى كذلك في مباراة ببيل بين المناطق عام ١٩٨٥ التي شارك فيها ١٨ كبار أساتذة العالم الكبار .

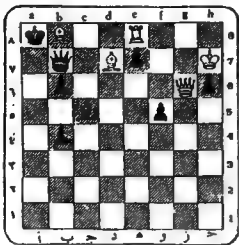
وقد لعب فاجانيان في مطلع عام ١٩٨٦ المباراة نصف النهائية للتأهيل للمابقة بطل العالم أمام مواطنه اندريه سوكولوف (٢٧ سنة) ومنى فيها بأربع هزائم متلاحقة مما يجعل من انتصاره الحالي على سوكولوف رداً لاعتباره بعد تلك الهزيمة النكراء . والدور التالي من الافتتاحية المروقة باسم « هدجرهوج » بينه وبين البطل البريطاني « هوير » مثال على أسلوبه الهجومى المتميز .

□ ر . فاجانيان ■ ر . هوير
١ - ح - و ٣ ح - و ٦
٢ - ج - د ٤ ج - د ٥

من المباريات الشطرنجية الكبرى التي اقيمت في العام الماضي دورة ليتغراد الدولية في الشطرنج والتي امتدت من الثاني والعشرين من شهر مايو إلى السابع من شهر يونيو . وقد أحرزت الدورة التي شارك فيها ثلاثة عشر استاذاً دولياً كبيراً وفق طريقة الدوري من جولة واحدة ، وصنفت الدورة وفق لوائح الاتحاد الدولي للشطرنج في الفئة ١٤ ، مما يجعلها واحدة من أكبر مبزريات العام المنصرم وأكثرها إثارة وتشويقاً

وقد حفلت هذه الدورة بالمفاجآت غير المتوقعة ، ولعل أغربها فوز اللاعب السوفيتي الكبير رافائيل فاجانيان بالمركز الأول على الرغم من مشاركة العديد من أبطال العالم الذين يتقدمون عليه في هذه الدورة ، ومنهم على سبيل المثال البطلان السوفيتيان اندريه سوكولوف وأرتور بوسويوف اللذان يحتلان المركزين الثالث والرابع بعد بطل العالم الحالي جاري كاسباروف وبطل العالم الأسبق أناتولي كاربوف واللذان جاءت نتائجهما في هذه الدورة غنية لتوقعات جميع المعلقين والمحليلين الحاضرين في المباراة ، إذ جاء أولهما في المرتبة السابعة بعد أن منى بثلاث هزائم متلاحقة ، وجاء ثانيهما الذي لم يحقق سوى انتصار واحد في الجولات الاثني عشر التي لعبها في المرتبة الثامنة برصيد لأول قدره ست نقاط وللثاني قدره ٥ . ٥ نقطة فقط .

ويعتبر البطل رافائيل فاجانيان الفائز في هذه



مسألة العدد رقم (٣٦٠) نوفمبر ٨٨

مات (٣)

مهداة من القاريء وانيس يعقوبيان (حلب)

حل مسألة عدد رقم ٣٥٨

سبتمبر ٨٨

١. ح (أ) - ب ٦ - م - ٧١

٢. ح - ج ١٨ - م - ٨١

٣. ح (د) - ب ٦ - م - ٨٥

٤. ف - د ٦٥ - مات

٣. ز ٣ - ب ٦

٤. ف - ز ٣ - ب ٧

تعرف الثقلان الأخيرتان بالفيانشيتو وتهدفان للسيطرة على الوسط من بعد .

٥. ت

٦. ح - ج ٣ - ف - هـ ٧

٧. د ٤ - ج ٤ د ٤

٨. ٤ د ٤ - و ٤ د ٤

٩. ف - ز ٥ - أ ٦

١٠. ف ٦ - و ٦

١١. و - د ٣ - ت

١٢. ر - و ١ د ١ - ف - هـ ٧

١٣. ح - ز ٥ ! (بديعة) ف ٥ - ز ٥ (مضطرا)

١٤. ف ٧ - ب ٧ - ر ٧

١٥. ف - هـ ٤ - و ٥

١٦. ف - ز ٢ - ر - د ٧

١٧. و ٤ - ف - و ٦

١٨. هـ ٤ - ف ٣ - و ٣

١٩. ب ٣ - ج ٣ - أ ٥ (للثنا ؟)

٢٠. هـ ٥ - و ٥ (خطأ فاحش)

٢١. ف - ج ٣ - يستسلم (أنظر الشكل)

الفائزون في حل مسابقة الشطرنج العدد ٣٥٧ (أغسطس ١٩٨٨)

* الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١- قاسم منير / الشعبية / الكويت

٢- فاطمة الكوش / فاس / المغرب

٣- محمد عبدالرحمن بن مالك / حضرموت /

اليمن الديمقراطية

٤- رضوان بن جماعة / صفاقس / تونس

٥- محمد صالح حسن قوجفار / جدة /

السعودية

* الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١- محمد فتحي الشرقاوي / شبين

الكم / ج ٢ ع

٢- أحمد خالد الحسين / دمشق / سوريا

٣- عدنان سعيد الجبش / الخالدية / الكويت

٤- محمد علي صالح / الأنبار / العراق

٥- هبة توفيق العبد / عمان / الاردن

حوار القراء

العربي - ص. ب : ٧٤٨ الصَّفْصَاة - الرمز البريدي : 13008 الكويت

الموصلات الكهربائية

نشرت « العربي » في العدد ٣٥٣ (أبريل ١٩٨٨) مقالا للدكتور سعود عياش بعنوان « الموصلات الكهربائية الفائقة تخرج من الصفيح » . وقد تلقينا رسالة من السيد (ايلاف عبدالكريم المصري) ضمنها نص حديث اذاعي حول نفس الموضوع ، أذيع في أواخر عام ١٩٨٧ من إذاعة ألمانيا باللغة العربية من كولون (ألمانيا الاتحادية) وطرح السيد المصري الملاحظات التالية في رسالته :

(١) أنه بالمقارنة بين الحديث الاذاعي ومقال الدكتور عياش نجد إما تقاربا يكاد يكون حرفيا أو تباعدا رهيبا ، مما يجعل على الاعتقاد بأن يكون الدكتور عياش قد قام بالانتباس من الحديث الاذاعي الألماني .

(٢) مدى دقة وصحة المعلومات الواردة في مقالة الدكتور عياش ، وبخاصة فيما يتعلق بتحقيق ظاهرة الموصلية الفائقة على درجة ٢٤٠ كلفن (٣٣ درجة تحت الصفر المئوي) ، ويتساءل إن كانت مثل هذه القفزة الكبيرة قد حصلت حقا .

(٣) طلب نشر مقال حول العناصر نصف الناقلة (الاسم الشائع في معظم الأدبيات العلمية العربية والمعاجم هو أشباه الموصلات) المستخدمة في صناعة الأجهزة الالكترونية .

العربي

نشكركم على رسالتكم وما حوته من مشاعر طيبة ، ونشكر لكم جهودكم في استنساخ نص الحديث الاذاعي المشار اليه . وردا على ملاحظاتكم نذكر ما يلي :

(١) استلمت « العربي » مقال الدكتور عياش في أكتوبر ١٩٨٧ ، أي قبل شهرين أو أكثر من إذاعة الحديث العلمي في إذاعة ألمانيا ، وهذا لا يترك مجالاً للاعتقاد أو الشك بأن يكون مقال الدكتور عياش قد تضمن مقتبسات من الحديث الاذاعي الذي تشير إليه . ومن الواضح أن مقال الدكتور عياش كتب قبل ظهور نتائج جائزة نوبل في الفيزياء لعام ١٩٨٧ التي منحت للباحثين مولر وبدنورز لجهودهما في مجال الموصلية الفائقة ، بينما كتب الحديث الاذاعي عقب الاعلان عن النتائج .

(٢) هناك دون شك عدد من الحقائق والمعلومات العلمية والتاريخية المشابهة قد وردت في مقال الدكتور عياش والحديث الاذاعي ، والأمر هنا لا يتجاوز حدود أن الكاتبين قد استماتا بنفس الحقائق والمعلومات . وإذا أتبع لك الاطلاع على أي

عَلَى هَذِهِ الصَّفَحَاتِ .. تَرْجِبُ "العَرَبِيَّةُ" بِنَشْرِ مَلاحِظَاتٍ وَتَعْلِيقاتٍ قَرَأَتْهَا الأَعْزَاءُ عَلَى مَا يَنْشُرُ فِيهَا مِنْ آرَاءٍ وَتَحْقِيقَاتٍ

من المقالات الأخرى المنشورة ذات الطابع التعريفي بهذه الظاهرة العلمية الجديدة
فستجد نفس الحقائق والمعلومات تتكرر بصورة أو بأخرى .

(٣) أما فيما يتعلق بدقة وصحة المعلومات الخاصة بدرجة الحرارة التي تحققت
عندها ظاهرة الموصلية الفائقة فقد ورد في مقال الدكتور عياش ، ثم جاء التطور
المثير في مارس ١٩٨٧ حين أعلن عن تطوير مادة تحتفظ بظاهرة الموصلية الفائقة حتى
درجة ٩٤ كلفن ، ثم توالى أخبار الاكتشافات والتطورات المثيرة ، وجاءت أنباء
غير مؤكدة عن تحقيق الظاهرة عند درجة ٢٤٠ كلفن ، أو ٣٣ تحت الصفر
المئوي . وعلى الرغم من أن أنباء تحقيق الظاهرة لم تكن قد تحققت إلا أن الأخبار
التي توالى فيها بعد تعدد أكثر إثارة . نحيلك هنا على تقريرين نشرنا في نفس الدورية
العلمية « سينتيك أميركان » (تصدر المجلة مترجمة للعربية باسم « مجلة العلوم »
عن مؤسسة الكويت للتقدم العلمي) ، ففي عدد أكتوبر ١٩٨٧ ورد في إحدى
المراجعات العلمية في النسخة الانجليزية ما يشير إلى تحقيق بعض سمات الموصلية
الفائقة في إحدى المواد المطورة عند ٣٢٥ درجة كلفن أو ٥٢ درجة مئوية فوق
الصفر ، وفي فبراير ١٩٨٨ ورد في نفس المجلة أن بعض سمات الموصلية الفائقة قد
اكتشفت في إحدى المواد عند ٥٠٠ درجة كلفن ، أو ٢٢٧ درجة مئوية .
(٤) نأمل أن تتمكن من تحقيق رغبتك في نشر مقال حول أشباه الموصلات في
أحد الأعداد القادمة .



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

في الممد / ٣٥٣ / أبريل ١٩٨٨ من مجلة العربي :

نفى الدكتور سعد مصلوح عند نقده كتاب « رسالة في الطريق الى ثقافة » للعلامة
محمود محمد شاكر أن يكون لغزو نابليون لمصر أي علاقة بالكنيسة والصليبيين ، ورده
إلى الصراع الديني الجشع ،

يقول الدكتور مصلوح ص ٤٦ : « ... ويستبين من ذلك أن نابليون لم يكن
رسول الكنيسة والصليبيين إلى مصر بالأصالة ، ولكنه الصراع الديني الجشع ،
وأحلام التسلط والغزو ، وغطرسة المستعمر وغروره » .
ومعلوم أن نابليون بعد احتلاله مصر زحف إلى فلسطين لغزوها أيضا ، وحاصر

لماذا
احتل
نابليون
مصر؟

حوار القراء

مدينة عكا شهرين كاملين ، لكنه فشل في تحطيم أسوارها المنيعه ، ورد على أعضاء
بغض غبار الذل والانكسار عن جيته .

وهذه الحقيقة - مع أهميتها - أهمها الدكتور مصلوح ، ولم يلتفت إليها البتة .
ولعل السبب في تركها ظنه بأن احتلال مصر ومحاولة احتلال فلسطين أمران لا علاقة
أحدهما بالآخر . ومهما يكن السبب فإني أعتقد أن محاولة احتلال نابليون لفلسطين
جزء من مؤامرة خطيرة حيكّت خبوطها في فرنسا بين نابليون واليهود

ولن نلقي القول جزافا بغير دليل ، بل سأقتل نصّ وعد نابليون لليهود الذي
ألقاه في أثناء حصاره لمدينة عكا . ولعله يؤيد ما نقول ، وهذا هو نص الوعد : (إن
العناية الإلهية أرسلتني الى هنا على رأس جيشي هذا ، وقد حملت هذه العناية الإلهية
نشر العدل وتحقيقه مطلبي ، وتكفلت بظفري المستمر ، وجعلت من القدس مقر
العام . وبعد قليل سوف تجعل مقرّي في دمشق . وسوف أكون جارا لبلد داود)

يتبين لنا من هذا الوعد أنّ نابليون لم يأت إلى مصر بخشع وطمع دنيوي كما قال
الدكتور مصلوح ، إنما جاء - لونيح - ليجمع مفرّة في دمشق . وليكون مجاورا لبلد
داود ، ومعيدا لمجد أجدادهم الذين كانت محالقتهم تشرف أسيرة وروما !!
لكن العناية الإلهية ردت غائباً ، وجعلت حلمه هشياً تذروه الرياح .

أحمد محمد الفاضل
معهد الفتح الاسلامي
دمشق - سوريا



الأستاذ الدكتور رئيس التحرير ،

لولا ما ألمس من رحابة صدر المجلة أمام ما يوجبها من ملاحظات فنية وغير
فنية لما بحثت بهذه السطور ، فأنا واحد من قرائكم . أعشق هذه المجلة وأتابعها
بشغف ، ومن هذا المنطلق أمل تقبل اقتراحي . أو تصويب وجهة نظري فيه ، فأنا
أتابع العربي منذ ثلاث سنوات ، واستطلاعات المجلة معظمها عقلية وعالمية ، وقلما تتم
بالدنن العربية وعاداتها ، والأماكن الأثرية ببلدومعرفة القراء بالتطورات فيها .

القارئ : رابع كمال حودة
دمياط - جمهورية مصر العربية

استطلاعات عربية

- نشكرك على رسالتك ، ونود أن نطمئنك بأن المجلة حريصة جدا على أن يتضمن كل
عدد منها استطلاعا ينقل للقارئ الصورة الحقيقية عن قطر عربي شقيق . والتنوع في
الاستطلاعات أيضا مهم حتى يعطي الجميع على اختلاف أذواقهم ومشاربهم بعض ما
يجبون على الأقل .

العربي

العربي في العراق

وصلت للمجلة رسالة لطيفة من القاريء الدكتور فاضل حسن أحمد من قسم الهندسة المدنية بكلية الهندسة بجامعة صلاح الدين بأربيل بالجمهورية العراقية . يتساءل عن سر اختفاء مجلة « العربي » بسرعة من المكتبات في أنحاء القطر . ولكونها مجلة الأولى المفضلة يطلب بزيادة كمية المرسى منها إلى العراق . ونود الانفاة بأن المجلة ستمود إلى ما كانت عليه وبالكمية التي تكفي لتكون بين يدي الجميع إن شاء الله في أقرب فرصة ممكنة . وهذا وعد من المجلة .



القاريء زين السيد علي الرفاعي من محافظة الدقهلية - مركز دكرنس - ميت بجاهد بجمهورية مصر العربية ، لديه مجموعة من أعداد العربي زائدة عن حاجته ، ويرغب في إهدائها لمن تنقصه هذه الأعداد ، وهي ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٢ ، ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٤٧ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ . ويمكن لمن يود الحصول على عدد منها أو أكثر مراسلة القاريء على عنوانه مباشرة . وشكرا للقاريء زين السيد علي الرفاعي .

أعداد زائدة من العربي للأهداء



• القاريء محمد خضاجي - الوجه القبلي - محافظة قنا - فرشوط - جمهورية مصر العربية يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع عن محافظات صعيد مصر ، مثل محافظة قنا ، وأسوان ، وسوهاج .

• القاريء : عيدالحكم الجوهري من صنعاء بالجمهورية العربية اليمنية ، يقترح أن تقوم المجلة باستطلاع مصور عن الجمهورية العربية اليمنية لتعريف القراء على النهضة الشاملة التي تشهدها اليمن في جميع المجالات ، وأن يتم تناول شخصية ، (محمد محمود الزبيدي) في باب (تاريخ وتراث وأشخاص) بصفته ثائرا عربيا قضى حياته في النضال والجهاد .

• القاريء : شاكر العمار - جامعة دمشق - سوريا . يقترح فتح باب يسمح للقراء بطرح الأسئلة العلمية في المجلة في شتاف العلوم كالطب والعلوم والأدب وغير ذلك .

اقتراحات



إن ما يميز استطلاعات « العربي » اظهارها الوجه الآخر للمتطقة المعنية وإنصافها ، والكشف عن جمالها المدفون . وقد حدثني صديق فقال : إنه لم يكن يعلم عن كينيا شيئا سوى نيروبي ووحيد القرن ، حتى قرأ عنها في « العربي » . فقلت له : صبرا وسوف يأتي المزيد من قارة أفريقيا السوداء . إن شاء الله .

العربي في أفريقيا

القاريء : محمد ثاني عبدالكريم
الرياض - المملكة العربية السعودية

حوار القراء

تصلنا بين فترة وأخرى رسائل من القراء الأحرار ، يطلبون تزويدهم بطوابع البريد التي تصل المجلة ، ومنهم القارئ هشام علي الطوخي من محافظة كفر الشيخ - جمهورية مصر العربية ، والقارئ الرئيس عبدالرزاق من القنيطرة - بالملكة المغربية . ونحن نأسف لعدم تمكنا من تلبية رغبتهم نظرا للصعوبات الفنية في ذلك .

• القارئ يسار علي شعبان - وادي العيون - حماة - سوريا ، يطلب من المجلة نشر مقال عن ظاهرة الأطباق الطائرة أو الأجسام الطائرة المجهولة الهوية .

• القارئ أمين سلمان - بيروت - لبنان - يحمد الله أنه منذ بداية صدور « العربي » وهو مستمر على قراءتها ، وأنه لاحظ تطور المجلة في الأعداد الأخيرة من حيث التنوع والأبواب الثابتة وغير الثابتة : لكم جزيل الشكر .

• القارئ عمر أبو زيد - الخرطوم - السودان . يشكو من قلة الأعداد التي تصل إلى السودان ، وأن السعر الذي تباع به غير السعر الموجود على المجلة ، ونحن نقول : إننا نعمل الآن على زيادة كمية نسخ « العربي » التي ترسل إلى السودان ، أما السعر الرسمي فهو الموجود على المجلة .

نشكر القارئة عشرة سلطان محمد - شبرا - القاهرة - على اقتراحها ، ونود الاقادة بأننا نعمل به ، ولكن في بعض الأحيان يتحتم نشر مثل هذه الرسائل .

ردود

قصصيرة

الثقافة العالمية

مجلة مترجمة الجديدي في ثقافة والعلوم المعاصرة

- تعتمد في نشرها على الترجمة من مختلف الدوريات العالمية .
- هدفها إقامة الصلة بين تفكير العربي وبين الأجناء المتصورة للثقافة العالمية المعاصرة .
- ميزتها الأساسية في اختيار الترجمات هو الجريد وانها هم .

• تصدر دورية كل شهرين عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت

رئيس التحرير
د. سليمان دلاهي

رئيس التحرير
أحمد مكي

1 2 3 4 5 6 7 8 9 10

كلمات أفقية

- ١ . من أئمة النحو واللغة ، من باليد .
- ٢ . غاز نادر خفيف تنفخ به المناطيد .
- ٣ . ثني ، كلمة تحدث صوتاً انفجارياً ، حيوان لبون تتخذ من جلده الفراء .
- ٤ . غنيات ، ثار وهاج .
- ٥ . نقلة مزدوجة لإبعاد الملك عن الأخطار في لعبة الشطرنج ، جاهل بالقراءة والكتابة .
- ٦ . قائد قراطحي اجتاز جبال الألب .
- ٧ . شجريكثر قرب الماء ، أمة في صيغة الجمع .
- ٨ . النور والضياء .
- ٩ . ثاة ، الجبل تصاعد منه الحمم .
- ١٠ . ملح يستخدم في الصباغ ، الاسم الأول لأديبة لبنانية مشهورة .

	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
ا	ح	م	د	ب	ن	ا	ج	ا	ح
و	ا	د	ر	ي	ن	و	ا	د	ا
ن	ا	ح	ا	ل	ا	ن	ع		
س	ا	ر	ز	ي	ر	ح	س		
م	ا	م	د	ب	ن	ا	ح		
و	ي	ا	ص	ع					
ط	ن	ج	ة	س	م	ر	ا	ن	
لا	ن	ن	ر	ت	ب	ك			
را	ج	ب	و	ت	ا	ن	ا		
س	و	ا	ب	ا	ل	ي	ن		

نوفمبر ١٩٨٨ م

مقدمة
لتاريخ الفكر العربي في الإسلام

تأليف
د. أحمد سليم السعيدان

٥٠٠
فلس

الكتاب ١٣١

حوليات كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب • جامعة الكويت

رئيس هيئة التحرير: د. عبد المحسن مدع المدعج

دورية علمية محكمة، تتضمن مجموعة من الرسائل التي تعالج بأصالة موضوعات وقضايا ومشكلات علمية تدخل ضمن تخصصات كلية الآداب

- تقبل الأبحاث باللغتين العربية والانجليزية بشرط ألا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة مطبوعة من ثلاث نسخ
- أن يمثل البحث إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه الخاص وألا يكون قد سبق نشره.

توجه المراسلات إلى: رئيس هيئة تحرير حوليات كلية الآداب
صندوق بريد: ١٧٣٧٠ الخالدية - الرمزي ٧٤٤٥٤ الكويت

رئيس التحرير:
د. بدر جاسم العتيوب



مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

- على الدورات التي تهتم المنطقة أو المساهمة فيها وإصدارها في كتب
- يعطى ثوبها ما يريد على ٣٠ دولة في جميع أنحاء العالم

● الاشتراك السنوي بالمجلة

- أ) داخل الكويت ٢٠٠٠ دولار
- ب) الدول العربية ٢٠٠٠ دولار
- ج) الدول الأجنبية ١٥ دولار

- مجلة علمية فصلية محكمة تصدر ٤ مرات في السنة
- تسمى بشؤون منطقة الخليج والجزيرة العربية
- السياسة، الاقتصادية، الاجتماعية، الثقافية، العلمية
- صدر العدد الأول في يناير ١٩٧٥

- تقوم المجلة بإصدار ما يأتي
- أ) مجموعة من المنشورات المتخصصة عن منطقة الخليج والجزيرة العربية
- ب) مجموعة من الإصدارات الخاصة والمنطقة
- ج) سلسلة كتب وثائق الخليج والجزيرة العربية

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير على العنوان الآتي:

ص.ب: ١٧٠٧٣ - الخالدية - الكويت - الرمز البريدي: ٧٢٤٥١

لدى جامعة الكويت - الكويت

هاتف: ٨١٢٩٥
٨١٢٩٧
٨١٢٩٨
٨١٢٩٩

تصديدها
جامعة
الكويت



مجلة العلوم الاجتماعية

مجلة فصلية أكاديمية
تغني بنشر الأبحاث والدراسات
في مختلف حقول
العلوم الاجتماعية

رئيس التحرير
د. فهد ثاقب الثاقب



منبر بارز للاكاديميين العرب
تتوزع أكثر من (١٠٠٠٠) نسخة
للوزع في الكويت ولخارج مجلة العلوم الاجتماعية

بتوجيه جميع المراسلات إلى: رئيس التحرير
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت ص.ب. ٥٤٨٦ صفاة 13055
الكويت - هاتف: ٢٥٤٩٤٢١ - ٢٥٤٩٣٨٧ - تليكس: ٢٢٦١٦٢ - KUNIVER

المجلة العربية للعلوم الإنسانية

● تلبي رغبة الأكاديميين والمثقفين من خلال
نشرها للبحوث الأصلية في شتى فروع العلوم
الإنسانية باللغتين العربية والإنجليزية، إضافة إلى
الأبواب الأخرى، المناقشات، مراجعات الكتب،
الطرائير.

● تحرص على حضور دائم في شتى المراكز
الأكاديمية والمجتمعات في العالم العربي والخارج،
من خلال المشاركة الفعالة للاستشارة المخصصة في
تلك المراكز والمجتمعات.

● صدر العدد الأول في يناير ١٩٨١.

● تصل إلى أيدي ما يزيد على عشرة آلاف
قارئ.

فضيلة: محكمة

تصدر من جامعة الكويت

رئيس التحرير

د. عبد الله أحمد المهنا

المحرر: كلية الآداب، قسم قسم اللغة الإنجليزية
الشرح: مكتب ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

المراسلات توجه إلى رئيس التحرير

ص.ب. ٢٦٥٨٥ الصفاة
رمز بريدي 13126 الكويت

تدقيق فحمة الاشتراك مع قسمة الاشتراك الموجودة داخل العدد.



يتركز الطفح الجلدي الناشئ عن
الحماق أو جديري الماء في الحنجرة



يبدأ طفح الحصبة بالظهور خلف
الأذنين، ثم ينتشر إلى الوجه

كذات الرئة القصبية ، والحنانوق
& croup ، والإسهال، وفي حالات نادرة يؤدي
إلى التهاب الدماغ .

ولا ضرورة لاستعمال المضادات الحيوية « لأن
المرض ينشأ عن الحماق وهي كائنات لا تؤثر فيها
المضادات الحيوية » ، وقد نلجأ إلى هذه المضادات
عند ظهور مضاعفات جراثيمية ، ويستعمل لهذا
الغرض المضاد الحيوى « ارثرومايسين » . أما الوقاية
فممكنة باستعمال اللقاح الذى يتكون من حمات
الحصبة الحية المضعفة ، ويعطى جرعة واحدة تحت
الجلد في مطلع السنة الثانية من عمر الطفل . ومن
الجدير بالذكر أن الأطفال الذين يولدون لأمهات
أصبن سابقا بالحصبة يكونون محصنين ضدها عل

بطانة الفم ، وغير مكان لرؤيتها بوضوح هو بطانة
الحنك قرب الرحي العلوية الثانية .

ويعتقد أن هذه البقع تنشأ عن نخر أو تلف بعض
خلايا بطانة الفم ، وتسمى « بقع كوبك » نسبة إلى
الطبيب الأمريكى « هنرى كوبك » ، ١٨٥٨ -
١٩٢٧ م ، الذى وصفها وذكر أهميتها التشخيصية .

بعد ذلك يظهر الطفح الجلدى ، وأول ظهوره
يكون خلف الأذنين ، ثم ينتشر في الوجه (صورة
رقم ١) ، ثم ينتشر في الجذع خاصة الظهر .
ويكون لون الطفح أحمر غامقا ، ويستمر نحو خمسة
أيام ثم يزول . وفي العادة يزول المرض تلقائيا ، غير
أنه في بعض الحالات يؤدي إلى ظهور مضاعفات

إن هذا المرض لا يحتاج إلى علاج إلا عند ظهور مضاعفات ، وإذا وجدت الحامل مصابة في وقت مبكر من الحمل وجب الاجهاض .

ولابد من التأكيد على أهمية وقاية النساء من هذا المرض ، وذلك باللقاح المكون من الحملات الحية المضخفة ، ويجب إعطاء هذا اللقاح لجميع الفتيات في عمر ١٢ - ١٣ عاما . إن الفترة الوقائية التي يمنحها اللقاح غير معروفة على وجه التحديد ، ولهذا يجب إعطاء اللقاح لكل امرأة لا تحمل أضداد المرض - حتى إن كانت قد أعطيت اللقاح سابقا - ، وذلك بعد الولادة شريطة ألا تحمل مرة أخرى إلا بعد أكثر من ثلاثة شهور من إعطاء اللقاح .

الحماق أو جدبى الماء

فترة الحضانة لفترة حضانة الحصبة الألمانية ، بعدها تظهر الأمراض ببيئة حمى وألم في اليأس والبطن ، ويكون ألم البطن في بعض الحالات شديدا يشبه الألم الناشئ عن التهاب الزائدة الدودية . بعد يوم واحد من هذه الأعراض يظهر الطفح الجلدي ببيئة يقع حمراء في وسطها حويصلات صغيرة تحوى سائلا كالماء ، وقد يتقشر هذا السائل فيغدو عكرا ، ثم يتحول الطفح إلى قشور بعد جفافه ، وفي العادة يكون الطفح مركزي الانتشار ، أي يظهر على الجذع أكثر من الأطراف « صورة رقم (٢) » إن الطفح يظهر على قطع واحدة تلو الأخرى ، ولهذا ترى مختلف مراحل لدى المريض « البقع والحويصلات ، والقشور » .

ومن المعروف أن هذا المرض يكون شديدا حينما يصيب البالغين ، وقد يؤدي إلى بعض المضاعفات كغزو الجراثيم للطفح ، وذات الرئة . وفي حالات نادرة يؤدي إلى التهاب الدماغ فيؤثر بشكل خاص على « المخيخ » المسؤول عن توازن الجسم ، ولهذا

مدى ٦ - ٩ شهور بعد الولادة ، وذلك نتيجة لانتقال الأضداد « Antibodies » من الأم للطفل عبر السخند « placenta » .

الحصبة الألمانية

لم يكن هذا المرض يثير أى اهتمام لدى الأطباء حتى عام ١٩٤١ حينما اكتشف الدكتور « ن . م . غريغ » N.M.Gregg ، في استراليا ظاهرة مرعبة ؛ فلقد وجد أن إصابة النساء الحوامل بهذا المرض في الشهور الأربعة الأولى من الحمل تؤدي إلى ظهور مضاعفات خطيرة على الأطفال . ومن هذه المضاعفات ؛ العمى ، الصمم ، تشوهات القلب ، وغيرها . وقد يموت الجنين داخل الرحم أو يولد ميتا غير حيح ويستريح ، أما إذا أصيبت الحامل بعد الشهر الرابع من الحمل فليس هناك خطر داهم .

إن أعراض المرض تظهر بعد فترة حضانة تتراوح ما بين ٢ - ٣ أسابيع ، وتكون ببيئة التهاب في البلعوم وفي ملتحة العين ، وتتضخم الغدد اللمفاوية في أسفل المنطقة القفوية من الرأس ، ولا وجود لبقع كوبك . ثم يظهر الطفح الجلدي الذي يكون أفتح لونا من طفح الحصبة . ومن مضاعفات الحصبة الألمانية التهاب المفاصل وهو شائع لدى البالغين وأقل شيوعا لدى الأطفال ، وقد يستمر هذا الالتهاب فترة طويلة أكبر من فترة أعراض ومضاعفات المرض الأخرى ، وقد يملأ المصاب مرة أخرى بعد عدة شهور من الشفاء ، وأكثر المفاصل عرضة للالتهاب هي مفاصل اليدين والقدمين . إن بعض حالات الحصبة الألمانية لايرافقها ظهور طفح جلدي ، لهذا يجب أن نضع هذا المرض في الحسبان عند شكوى أى شخص - خاصة الأطفال والبالغين - من مفاصل دون سبب ظاهر ، ومن المضاعفات الأخرى النادرة قلة الصفيحات والتهاب الدماغ .

« لسته وأزالت غشوته » ، فانتظر بعد ذلك كيف يكون تلين الإنسان وإزالة غشوته . فهل يخرب بعد هذا لأولئك المتطهرين أهم المتطهرين بالتطهير وهم يعملون إلى ما لا وجود لحصته في لغة العرب ؟!

والأمر متصل ، والإساحة إلى اللغة العربية قائمة متجددة ، ومن الأمثلة القريبة العهد على ذلك محاولة البعض إشاعة كلمات أجنبية - من جهل أو فساد ذوق - وإخفاها بلغة الكتابة ، فعلا عن الرطن بما في لغة الحديث الثقيلة السمجة . ومن تلك الكلمات - وهي كثيرة - كلمة « كوتفرنس » الأجنبية . فقد وردت في عنوان رئيس في إحدى الصحف ، ثم جاءت في سياق الحديث التفصيلي ، دون أن توضع بين علامتين ، بل دون أن يكون لاستعمالها ضرورة ملحّة أو غير ملحّة . قيل : « اجتمع الكوتفرنس التاسع عشر للحزب » وقيل : « وفي جلسة أس من جلسات الكوتفرنس التاسع عشر ... »!

وكلمة « كوتفرنس » انجليزية تعني : مؤتمر أو اجتماع ، وكلا المعنيين يقيدان في اللغويين اللقاء الحاشد الذي يقصده تدريس قضية أو قضايا عامة أو خاصة ، وهما كلمتان حريتان فصيحتان ، يعرفها كل العرب على اختلاف حقولهم من التعليم . فما الذي جعل كاتب الخبر يشيح بوجهه عنها ويمجد إلى كلمة أجنبية لا يعرف معناها عدد كبير من قراء جريته ؟ هل هي الرغبة في التظاهر بمعرفة لغة أجنبية ؟ أم هو الداء المضال الذي أصاب بعض المثقفين أو أدهياه الثقافة عن برطنون بلغة لا هي عربية ولا هي أجنبية ؟!

الذي يدوس الطعام ويدقه ليخرج الحب منه ، وهو السدياس ، وقلبت السواوياء لكسرة الدال . والدواوس : البقر العوامل في الدوس . يقال ألقوا الدواوس في ييدهم ، والدواوس شدة وطه الشيء بالأقدام حتى يفتت كما يفتت قصب السناييل ، فيصير تيناً ، ومن هذا يقال طريق مدروس أي كثر عليه الوطء بالأقدام - والحيل تدوس القتل بحوافرها إذا وطتهم .

يتضح من المعاني التي يدور حولها الفعل « داس » أنه أولى بأن يدخل لغة الكتابة ، ويشيع فيها كما هو شائع في لغة الحديث . ولا ينال شيوعه في لغة الحديث من فصاحتها شيئا .

وهناك فصل آخر يؤدي المعنى نفسه : وهو الفعل « دحس » . وقد جاء في معنى هذا الفعل : دَحَسَ : وَطَأَ وَطَأً شديداً . فالدحس : شدة الوطء ، ودحست الإبل الطريق تدحسه دحسا : وطته وطأ شديداً . وطريق دَحَسَ ومدحس ومدحوس : دحسته القوائم ووطته وكثرت فيه الآثار . والمدحوس من الأرضين : الذي قد كثرت به الناس ، ورعاه المال حتى أفسده ، وكثرت فيه آثاره . والمدحاس : الطريق الذي يَتَنَّهُ الحمار . يقول الدكتور مصطفى جواد في « تل ولا تقل » : وإذا وطئت السيارة الإنسان وطأ شديداً قتله أو كسرت بعض أعضائه فصار غائبا : أي إذا دحسته .

ومما يضحك في استعمالهم « دحسه » بمعنى داسه ، ودحسه . أنه لو حسبنا أن « دحس » موجود وأنه متعمد ، أو أنه موجود وعديته بالمعززة وقلنا : دحسته السيارة أو دحسته إدعاساً ؛ لكان ذلك بمعنى

الصحبة والأصحاب :

قيل لأبراهيم بن آدم : لم لا تصاحب الناس ؟ قال : « إن صاحب من هو دوني آذاني بجعله ، وإن صاحب من هو فوقني آذاني بكبريائه ، وإن صاحب من هو مثلي آذاني بحسده » .

جمال العربيّة

□ صفحّة شعريّة □

□ هكذا غنى الأسياب □


مرحى غيلان

للشاعر بدر شاكر السياب

السابعة من عمره ، فمهذته جدته لأمه ، وقامت
على تربيته .

دخل أكثر من مدرسة ابتدائية في جنوب العراق .
وفي عام ١٩٣٨ التحق بمدرسة البصرة الثانوية .
وكانت جدته هي التي تروى شؤونته . وما أن فرغ من
دراسته الثانوية في عام ١٩٤٣ حتى التحق بدار
المعلمين العالية في بغداد ، وكانت كلية جامعية
مرموقة في ذلك الوقت ، ولم تكن جامعة بغداد قد
أسست . لم يتعد السياب عن أحداث العراق المهمة
التي عاصرها ، فقد قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني
في عام ١٩٤١ ، فأيلها وتأثر برجائها ، وعندما
أخفقت وأعدم عدد من قادتها رثاهم بدر . على أن
دراسة في دار المعلمين العالية قد فتحت أمامه . وهو
المحب للثقافة والمعرفة - أفاقا واسعة . التحق لأول
الأمر بقسم اللغة العربية وآدابها ، ثم ما لبث أن
تحول عن دراسة الأدب العربي إلى دراسة الأدب
الانجليزي ، وفي القسم الأخير عرف السياب
الشاعرين الانجليزيين ت اس . بيوت ، وأديث
ستويل ، وقد قدر هذين الشاعرين أن يتركبا أثرا
على شعر السياب لا يستهان به .

لقد فصل السياب من دار المعلمين العالية في عام
١٩٤٦ بعد أن تزعم حركة إضراب في الكلية وقفت

 بدر شاكر السياب واحد من رواد الشعر
العربي المعاصر ، خرج - وآخرون غيره -
على عمود الشعر ، وهجر القصيدة التقليدية في
جانب كبير من شعره ، وشق لنفسه - متأثرا بالشعر
الانجليزي - طريقا يتمثل فيها يعرف الآن بالشعر
الحديث ، على اختلاف في تحديد المدى الذي توحى
به هذه التسمية . على أننا نمنى بها حركة الشعر الحر
الذي خرج على شكل القصيدة العربية الموروثة ، في
ثورة عارمة ، ما زالت أصداؤها تتردد منذ الأربعينات
حتى يومنا هذا . أما السياب نفسه فيرجع إسهامه في
تلك الثورة إلى عام ١٩٤٦ ، حين نظم قصيدة « هل
كان حيا ؟ » ، حيث صوّدت واحدة من التجارب
الرائدة في هذا المجال .

ولد السياب في عام ١٩٢٦ في قرية تدعى جيكور
في جنوب العراق . وهي قرية كانت غاملة الذكر ،
شأنها في ذلك شأن كثير من القرى النسية في
الريف العربي ، ولكنها بعد ولادة السياب ونبوغ
شاعريته غدت من أكثر القرى العربية ذكرا في
أوساط المثقفين بعامة ، وقراء شعر السياب
بخاصة ، ذلك أنه اتخذ منها رمزا غنيا للريف متغلا
بالدلالات والإيماء . لقد عاش بدر من حياة اليتيم إثر
وفاة والدته في عام ١٩٣٢ ، ولم يكن قد جاوز

من المسرح العالمي

مسلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢٣٠ أول نوفمبر ١٩٨٨

توراندوت

تأليف: فريدريك شيلر
ترجمة وتقديم: د. نبيلة إبراهيم
مراجعة: د. عز الدين إسماعيل

